

فاضل العزاوي

الأعمال الشعرية

الجزء الأول

منشورات الجمل

مكتبة
الفكر
الجديد

فاضل العزاوي

الأعمال الشعرية

الجزء الأول

منشورات الجمل

فاضل العزاوي، شاعر ونائر، ولد في العام ١٩٤٠ في مدينة كركوك في العراق. درس الأدب الإنكليزي في جامعة بغداد والصحافة والعلوم السياسية في جامعة لايبزج وحاز على درجة الدكتوراه عن أطروحة حول الثقافة العربية. عمل في الصحافة العراقية والعربية وأصدر مجلة «الشعر» ٦٩. نشر ما يقرب من عشرين مجموعة شعرية ورواية وكتاباً نقدياً (مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة، رواية ١٩٦٩؛ القلعة الخامسة، رواية ١٩٧٢؛ سلاماً أيتها الموجة، سلاماً أيها البحر، شعر ١٩٧٤؛ الشجرة الشرقية، شعر ١٩٧٦؛ الأسفار، شعر ١٩٧٦؛ رجل يرسم أحجاراً في بحر، شعر ١٩٩٠؛ آخر الملائكة، رواية ١٩٩٢؛ صاعداً حتى الينبوع، أعمال شعرية ١٩٩٣؛ في نهاية كل الرحلات، شعر ١٩٩٤؛ بعيداً داخل الغابة، نقد ١٩٩٤؛ كوميدياً الأشباح، رواية ١٩٩٥؛ الروح الحية، جيل الستينيات في العراق ١٩٩٧؛ فراشة في طريقها إلى النار، شعر ١٩٩٨)؛ الأسلاف، رواية ٢٠٠١، فضلاً عن الكتب التي ترجمها عن الإنكليزية والألمانية (صاحب الفخامة اليمينصور، رواية ١٩٩٥؛ سماء وأرض، مختارات شعرية ١٩٩٦؛ دماغ لينين، رواية ١٩٩٨). كما ترجم العديد من أعماله إلى اللغات الإنكليزية والألمانية والفرنسية. غادر العراق في ١٩٧٧ ويعيش منذ العام ١٩٨٣ في برلين ككاتب متفرغ ينشر أعماله باللغات العربية والإنكليزية والألمانية.

فاضل العزاوي: الأعمال الشعرية، الجزء الأول

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

كافة حقوق النشر والانتباس

محفوظة لمنشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) - بغداد ٢٠٠٧

© Al-Kamel Verlag 2006

Postfach 210149, 50527 Köln, Germany

Tel: 0221 736982. Fax: 0221 7326763

E-Mail: KAlmaaly@aol.com

الشاعر في العالم^(*)

في أعوام طفولتي اجتذبتني التراث العربي القديم، فأخذت بالايقاعات السحرية للغة القرآن وفخامة الشعر العربي الكلاسيكي وأسطورية عوالم «الف ليلة وليلة» والقصص الغرائبية الأخرى التي كنت أسمعها من الكبار، قبل أن أصل إلى الشعر العربي الحديث الذي كان قد انطلق من العراق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة. إنني إذ أفكر الآن في ذلك الماضي البعيد أشعر بأنني أدين بالكثير للتنوع الثقافي الذي كان قائما في مدينة كركوك الصغيرة، تاركا أعمق الأثر في تكويني الثقافي والشعري. فقد أعطتني تلك المدينة الواقعة في شمال العراق والمعروفة بآبار نفطها التي كانت تملكها شركة (IPC) البريطانية والتي يتحدث سكانها أربع لغات هي العربية والتركية والكردية والآشورية، إضافة إلى الإنكليزية التي كانت سائدة بين عمال النفط، ما لم أحصل عليه في أي مكان آخر من العالم: اللعب بالشعر مع الحياة.

(*) نشرت هذه الكلمة باللغة الإنكليزية كتقديم لديوان «في كل بشر يوسف يبكي» - In Every Well a Joseph is Weeping - الذي صدر عن دار نشر كوارترلي ريفيو اوف ليتريشرز في نيو جيرسي بأميركا في العام ١٩٩٧.

كان السكارى التركمان عندما يعودون في آخر الليل من الحانات إلى بيوتهم سيرا على الأقدام، وقد استبدت بهم النشوة، يغني بعضهم بصوت مرتل وعال رباعيات شعرية يطلقون عليها باللغة التركية إسم «خوريات»، يؤلفونها في اللحظة ذاتها. ما يكاد الشاعر ينتهي من إلقاء قصيدته عن الحب أو غدر الزمان حتى يرتفع صوت آخر من شارع أو زقاق بعيد ليجيب عليه برباعية شعرية تناسب الحال. فيرد عليه الشاعر الأول بقصيدة جديدة، يجيب عليها الشاعر الآخر أيضاً. وقد يتدخل شاعر ثالث ورابع في ذلك الحوار الشعري الذي يستمر فترة من الزمن بين أناس لا يعرف أحدهم الآخر. هؤلاء الشعراء كانوا ينسون قصائدهم الليلية تلك، بيد أن الناس الذين استمعوا إليها كانوا يحفظون أجملها وينشرونه في المدينة في اليوم التالي، بدون أن يعرف أحد اسم مؤلفيها المجهولين.



لم أكن قادرا بعد على كتابة الشعر، ولكنني كنت أعرف أن كل ما يحيط بي ينبض بالشعر، مما وفر لي ذخيرة هائلة من الذكريات والإنطباعات والأحاسيس التي ما زالت تتملكني حتى الآن. كان أحد أقاربنا، وهو درويش بشعر طويل ينحدر حتى الكتفين، غالبا ما يصطحبني معه إلى حلقات الذكر الصوفية التي كان الدراويش يقيمونها في كل ليلة جمعة في مساجدهم الواقعة في المناطق الكردية من مدينة كركوك. كنت أفرص على الأرض محدقا بدهشة في رجال يطعنون أنفسهم بالحرايب، بدون أن تتسكب قطرة دم واحدة منهم، أو يضربون بأيديهم على دفوف من صيجان كانت توضع فوق النار حتى تتقد حمرة. في أحيان أخرى كنت أشارك أنا أيضاً في حلقات الذكر

الجماعية، حيث يؤدي المرء برأسه أولاً ومن ثم بكل جسده حركات تتكرر إلى ما يبدو أنها بلا نهاية حتى يبلغ المرء ما يسمى بحالة النشوة، فاقتدا كل شعور بما يحيط به. في تلك اللحظة التي تنهار فيها كل الحدود التي تفصل الدرويش عن العالم، كما لو أنه في رحلة لا نهاية لها داخل الكون، يكون قد بلغ النقطة السحرية العليا التي يتركز فيها معنى الوجود كله. وهي تشبه بطريقة ما نفس النقطة العليا التي تحدث عنها أندريه بريتون، باعتبارها جوهر الشعر، رغم اختلاف الأهداف وطرق الوصول إليها. لقد قادني ذلك في فترة تالية إلى أن أدرك أن الشعر لا يرتبط بما هو سائد وظاهر في الحياة اليومية الا لكي يبلغ تلك اللحظة المركزة في الوجود الإنساني. إنها لحظة الكشف الكامل، رغم كل الغموض الذي يحيط بها، وهي المعنى كله رغم أنها قد تبدو بلا معنى خارج اللذة الحسية التي نشعر بها في الروح والجسد معا.



ولكننا إذا كنا نتجه إلى الأعلى فذلك لأننا نريد أن نهبط في الآن ذاته إلى آخر قعر في الحياة الإنسانية، لندافع عن الكرامة الجريحة للضحية في كل مكان بوجه جلادين ملطخة أيديهم بالدماء وآخرين يرتدون ثياب الملائكة. في منفاي الألماني المستمر منذ ربع قرن وقبل ذلك في سجون الدكتاتوريات العسكرية التي أمضيت ثلاثة أعوام فيها اكتشفت القوة المضمرة التي يمتلكها الشعر كمنار متقدمة طارده للذئاب العاوية في زماننا.

لا يوجد الشعر في منطقة خالية من البشر. إننا نكتب لكي يقرأنا الآخرون، مدركين أننا نعيش في عالم يمتلئ بالأوهام التي يروج لها

كهنة من مختلف الأصناف، يدعون معرفة الطريق إلى الفردوس. الأكاذيب نفسها تتحول إلى بضائع معروضة في السوق، بضائع أيديولوجية، بضائع قومية، بضائع مذهبية. إن كل ذلك يحدث من أجل السيطرة على روح الجمهور وعقله وكسب ولائه بأكثر الطرق بدائية وبربرية. لم يعد المرء يحتاج حتى إلى التفكير، إذ ثمة دائماً من يفكر بدلاً عنه. إنهم لا يقررون لك فقط نوع البدلة التي ترتديها وإنما كيف تمارس الحب أيضاً. ها هنا يأتي الدور الإستثنائي للشعر ليواجه الأكاذيب والدجل وينزع الأتعة عن وجوه بائعي الأوهام الكثيرين، عبر تأكيده على الحقيقي المنزوي تحت أكداس من الكتابة الدعائية السائدة والمكررة والغوص إلى قعر أعماق المحيطات لإلتقاط جواهره. وهو إذ يذكرنا المرة تلو الأخرى بما هو حقيقي في الحياة فذلك لأنه يضع المعرفة ضد الدجل والبراءة ضد البربرية والفرادة ضد التعميم والذاكرة ضد النسيان، وقبل كل شيء الإبداع ضد النمطية.

عندما نشرت في العام ١٩٦٩ «البيان الشعري» اعتبرت الحرية جوهر كل شعر يكتب في زمننا، ليس فقط عبر اعتبار الحرية مادة القصيدة وإنما أيضاً شكلها ولغتها، كتنقيض للعبودية المفروضة على العقل والمخيلة والتي تنجم عن تواطؤ الواقع مع الوهم. فإذا ما عدنا إلى تاريخ الشعر نفسه فسوف نجد أن الأشكال والمضامين وحتى اللغة كانت تتغير من زمن إلى آخر مما يلغي فكرة الشكل المقدس المبتذلة التي يدافع عنها بعض الشعراء والنقاد حتى اليوم. والأكثر من ذلك: إذا ما أردنا أن نعي حركة التاريخ نفسه، تلك الحركة التي أوصلتنا إلى حضارة عصرنا، فسوف نكتشف أن كفاح البشرية كان في جوهره دائماً كفاحاً ضد الأغلال والأوهام المقدسة التي التصقت بالثقافات خلال سيرها، كفاحاً

استهدف أساسا تحرير الفكر والعاطفة من سطوة الأكذوبة وإعادة الإعتبار إلى الحرية كمصدر لكل إبداع في التاريخ. إن هذا يفرض على الشاعر مستوى استثنائيا في فهم الحرية، سواء في ما يتعلق بالفرد أو الجماعة. ولأن عمل الشاعر نفسه هو انبثاق في الحرية فانه سوف يكون معاديا بالضرورة لكل ما هو ملوث ومدجل ومدجن في الحياة.



من السهل التعرف على القشرة الخارجية للقصيدة، بيد أن الأمر يزداد صعوبة حالما نحاول الدخول إلى الغابة الداخلية للعملية الشعرية، إذ لا شيء يوجد مسبقا، وإذ المعنى هو إشارة إلى معنى آخر أكثر بعدا وتخفيا. هذه السرية التي تملكها القصيدة تكاد تكون معادلة لنفس الهندسة السرية التي تتجلى في معمار الكون، حيث المعنى واللامعنى يشكلان بنية واحدة ويكملان بعضهما، مثلما الحياة والموت.

الشاعر يرى العالم دائما بعين المكتشف، حيث كل شيء ينهض أمامه للمرة الاولى، مثل كولومبوس جديد يصل إلى قارات لم ترها عين من قبل. وهنا لا يكون المعنى محددًا ونهائيا، وإلا فسد بعد حين مثل أي معنى آخر، وانما معنى مفتوح على معانٍ أخرى توحى بها القصيدة أكثر مما تبوح بها. الشاعر الحقيقي يدرك أكثر من غيره أن كل قول هو قول نصفه في الضوء ونصفه الآخر في الظلام، وهو يستمر ذلك حتى النهاية.

ولأن الشاعر يدخل كل مدينة للمرة الاولى، على العكس من الكاهن أو العقائدي الذي يرى ما كان قد رآه دائما، فانه لن يمتلك سوى عينيه اللتين سوف تعكسان لنا حركة الحياة الضاجة أو تخرقان الأعماق الداخلية، حيث البراكين الهادرة والبحار المضطربة دائما. وهو

ذلك يقلقنا، يصدمننا، يثير الشك في قلوبنا، لأنه يقلب المعنى كفعل سحري متحول إلى رؤية ورؤيا، كاشفاً في الواقع إمكاناته السرية لمختزنة. إن فعله يشبه، حتى بدون أن يكون مقدساً، فعل المسيح لذي سار فوق الماء، مثيراً دهشة متفرجيه. ولكن إذا كان المسيح قد راد بفعله ذاك أن يقدم واحدة من معجزاته لخرافه الضالة لتؤمن به، إن الشاعر يقدم لقرائه حقيقة الحياة، بدون أي مقابل.

ها هنا تلتقط العين الداخلية التي يفترض أنها تختزن أعمق معرفة إشكالات الإنسان الوجودية وأعماقه السحرية وطواطمه التاريخية، عبر خيلة الشعر التي تعيد تركيب كل شيء من جديد، صوراً تمتلك ألواناً خرى لا يمكن رؤيتها خارج القصيدة. وهنا أيضاً تبرز الفكاهة المأساة واللعب بالوظيفة والحلم بالواقع والملموس بالذهني والمعنى اللامعنى، كنفى للكتابة اليقينية العبوس الخالية من المرح.

كان نيتشه قد كتب ذات مرة يقول: «في داخل كل فنان حقيقي لفل يريد أن يلعب». ولكنني كنت قد عرفت قبل ذلك معنى طفولة لشعر وبراهته وقدرته على اللعب في صوت أؤلئك الشعراء المجهولين بي كركوك، الذين كانوا يذكرونني دائماً بأن الشاعر الحقيقي يلعب بلى قارعة الطريق من أجل نفسه قبل كل شيء، مبتهجاً بالعالم كاشفاً أسرار روحه أمام الآخرين، حتى بدون انتظار الإعتراف به. كل شاعر حقيقي هو في آخر المطاف شاعر على قارعة الطريق.

إنني أرى اليوم أيضاً، إذ أكتب أي قصيدة جديدة، ذلك الشاعر عائد من الحانة إلى بيته، يسير أمامي مترنحاً في زقاق ما، مطلقاً صيدته في الليل ليطرد النعاس عن عينيه والهموم من قلبه، ولكن بدلاً لينسى وحشة الطريق التي يعرف أن عليه أن يقطعها وحيداً.

سلاماً أيتها الموجة سلاماً أيها البحر

١٩٦٠ - ١٩٧٠

في شوارع الجزيرة العربية

؛

ها انذا اصرخ في شوارع الجزيرة العربية

هَبَطَ البحرُ إلى مملكتي. نهَضَ الساحرُ في رأسي، جزري مقلّةً،
غابأتُ تفرقُ في الماء. أنا العاشقُ يا وطني أكتبُ فوق الموجةِ
حبي، فلتكتبِ حبك مثلي في رملِ الصحراءِ على جسدِ العشبِ،
أمام الليلِ وفي أمطارِ العالمِ.

نحن الشعراءُ المبتهجين الممثلين سلاماً نخرجُ للنزهةِ في وادي
المنفيين، نغني كالأطفالِ نشيدك يا صحراءِ العربِ المسجونةِ في
الأحلامِ.

نسري في الريحِ إلى المدنِ الملعومةِ بالأعداءِ، نقاتلُ في ليلكِ
أسوارَ الريحِ، نقول: سلاماً يا قائدةَ البدو المحتشدين أمام خليجِ
المنفى.

في الريحِ وقفتُ أرى وطني ينهضُ من أعماقِ الأيامِ
في صحراءِ حياتي، مرمياً في أقصى جسدي -
نافذةً للمستقبلِ فيما الأجراسُ تغني لي
والعربِ المسرورون يأتون الي بمفتاحِ الماضي،
مجتازين الأنهارَ المفروشةَ بالطحلبِ والبردي
جيشٌ من فقراء العالمِ في وادي الآلامِ. سألتُ:

أفدُرُ أن أمضي نحو الله على مركبة الكلمات؟

ليعمّ العالم حبي!
ليكنّ وطني نهراً يعبر صحراء المدنِ المبنيةِ في الرمل!
ليكنّ سيفاً في عنقي!
ليكنّ بلطة جلاّد في أطرافي
أنا الواقفُ بين الموجةِ والموجةِ، بين القاتلِ والمقتولِ، دخانُ
حرائقِ ثوراتِ العالمِ في تاريخي. أتقدم نحو السّلمِ في معراجي،
أصعدُ -

أين الله الساكن في بيت التاريخ؟
وأين العربيّ القادمُ من نجرانِ المغلولة؟
أه أنتِ الأخرى، أيتها الممتدة حتى المستقبل يا طرفي
انفتحي، احترقي
في صوتِ الركبِ العائدِ من سيناء الأبديةِ
إنفتحي، احترقي
للبدو الرّحل في عاصمةِ الصحراء
ليعمّ الوطنَ الأسرَ حبي
فأنا الوثني الموعود أرى الرعدَ، أرى البحر الخالقَ يأتي،
أدفن نفسي في لجته، أغرقُ فيه وحيداً، أترددُ بين الحاضرِ
والماضي.
أسأل: هل أصعدُ أم أهبطُ في الماضي الذاهبِ نحو الأجسادِ
المصلوبةِ
في الواحات؟

ها أنذا أملُ أن أعبَرَ نهرَ الحكمةِ نحو ممالكِ آبائي،
أن أجلسَ في الفردوسِ الوحشي، أناجي أيامَ الإنسانِ القادم من
أعيادِ الفرحِ الغامر:
أعراسَ في الغاباتِ وأجراسَ في ساحلِ أفكارِي
تقرع من أجلي.

آه، حيث يمر التاريخ أمامي مغلولا بالنسيان رأيتُ الليلَ يهاجرُ
في قافلة تائهة في الصحراء
أيقظتُ رجالي، سافرنا في الأمطارِ إلى أوطانِ دون سماء
فراينا البحرَ امرأةَ حبلَى والملكُ المجنون
بالسيفِ يموت.

أيتها الأبدية في خيمةِ أجدادي، يا ناهضةً كالشمسِ المرة في
مملكةِ القديسين المخمورين من العشقِ، أنا العاشقُ في وجهي آلامُ
القتلى، في صوتي غضبُ الريح، أنا الطالع من نفسي، جسدي
الصحراءِ الفوضى الرملُ الموتُ الغابَةُ والمنفى. هل أهربُ من
نفسي أم أترك مرتعبا لذئابِ عاوية أبدا جسدي؟

مدنٌ في الواحاتِ من الجصِ، قبائلُ أسماكٍ في الماء
أطفالُ الله يصيدون اللؤلؤَ في خلجانِ البهجة.
الفوضى تصعدُ نحو قرى العميانِ
وأنا أبحثُ عن خارطةٍ لتضاريسِ حياتي
فيفورُ على قدمينا البحرِ الآتي

ونعود مع الموجة، مطرودين إلى مرتفعات النوم
أنا والقوضى.

أصعدُ بين طريقين وأمسكُ رسغَ الهضبة
أتجولُ ليلاً داخل أحلامي فالأقوي قنلى يأتون من الماضي
وجيوشا تزحفُ فوق جيبني
تتحركُ قربي غاباتٍ موحشةً
فأضئُ وأهربُ من نفسي.

أين الإنسانُ المطرودُ من الجنة؟
هذا الجالسُ في مقهى العالم يصطادُ الألفاظ؟
هذا القادمُ من حربٍ خاسرة؟
هذا الواقفُ عند بيوتِ المنفيين؟
تعالِ الي من النافذةِ المفتوحةِ في ليلِ حياتي
لنؤلفَ جيشَ العودةِ، حيث نقاتلُ في صفِ المنسيين
ونبني عاصمةً أخرى للعالم.

١٩٦٩

.

لنخرج إلى الشوارع

آلهة الليل تجيء التي متوجة برماد الأزمات الأخرى
لغة للقلب أنا، ملك دون رعايا
وسواحل قلبي مدن مسروقة
موتى يقتحمون رمال الصحراء العربية
وكتائب أشباح طائرة تعبر أحلامي
ذاهبة صوب مطارات ملغومة
أشهد أفراحي
المسها في سنوات الحب معبأة
أسفح أفكار عائمة
وأحرزها من قاموسي.

شبح يتقدم بين النسمة والنسمة
وحش يطفح في عقل السلطان
صوت يصرخ في صحراء العالم:
أين العالم في ذاكرة الأعمى؟
أه هذا جيلي

هل أقرأ هذا الجيلَ الحربيَ الناهضَ ضدي
موقوفاً في جثةِ خفاش؟
هل أنظرُ في أسنانه؟ أمسكُ ربطته بيدي؟ أعدمه في قلبي؟
هل أدخلُ في عينيه، أنا الخاطئُ في وطنِ الله
والصالحُ في مدنِ القتلة؟
هل أنهضُ قديماً في شعبي؟
هل أرفعُ رأسي
حيواناً مثقوبَ الجبهةِ يعوي في وجه العالم؟
هل أمضي في قاراتِ الوطنِ الملتفِ ببطانياتِ الريح؟
آه؛ أية صحراء
يدخلها هذا البدوي
يتعثُرُ فوق وجوهِ الأطفالِ
محشواً بالفزلِ الأموي.

الأمّةُ تبحثُ عن لغةٍ بيضاء
الكلمةُ تبحثُ عن معنى
والشرطةُ تبحثُ عنا في ماكنةِ الليلِ
مطرودين من الكلياتِ إلى السجنِ
محشوين خطايا وخرائطَ جنسيةٍ
محترفينِ الثورةِ في أحياءِ العمالِ وفي أرشيفِ الأمنِ السريِ
نحلّمُ أن نملاً أنفسنا بالأفعالِ
او ننسفَ وهمَ العالمِ بالعبواتِ
الشرطةُ في بيتي تقرأ أشعاري

الشرطة نهز

وأنا طفلٌ

او

سمكة.

مرتبكاً في قداسِ العربي

أتفاوضُ في رأسي

ها أنذا أصرخُ في الحربِ ولا أسمعُ صوتي

أركلُ أيامي، أسقطها، أسقطها عني

وأتوقُ إلى نفسي، أحلمُ في نصرٍ مهزوم

أملُ أن:

أدخلَ في قنينة

وأغيرَ أشكالِي

أسقطُ شيخوخةَ أطفالي

عن كتفي.

أيةُ آمالٍ تسقطُ من عشِ النسر؟

أيةُ أحلامٍ تخرجُ للنزهة؟

هل أقدِرُ أنا أنظرَ في مرآةِ الأبديةِ

وأشاهدَ صليبي؟

آه لستُ مسيحا في هذا الوادي العائم

لستُ مسيحاً في هذا المنفى الوثني!

أنا بظُ أشباحي وأسير إلى المقهى، أطلبُ شاياً فتغني أشعاري

للنقاد

أخرجُ نفسي للناس مثل شريط هوليوذي
لا بد من التشذيب: حصانٌ جادٌ في مجلسِ أخلاق
هل أخلقُ لحيةً أفعالي
أم أطلقُها كالأفعى؟
يخطر لي أحياناً أن أهبطَ في وادي جسدي
وأحدقُ في وجهي
فيما الماضي يدخلُ بيت التاريخ، يعانقُ ساحلَهُ
يسحب أقدامه حتى المستقبلِ، يصعدُ تلاً، يقرعُ ناقوساً، يُشعلُ
حرباً
ويسيرُ على الموجة، فائضة من تاريخي.

ما أعظم أيامَ البؤس!
ما أعظم أيامَ الأفاق!
ها أنذا أسقطُ في فخ الأحلام
ها أنذا أسقطُ في جيلي.

أحياناً أربطُ وطواطاً في ياقةِ ثوبي، في عنقي
أحياناً أصطادُ بلبلِ أشتات لغات
أحياناً أعرفُ أنني رجلٌ مرتبكٌ في غرفةِ ألغاز
أحياناً أمسكُ ذقناً في قارب
وأخلفُ أحزاناً في شارع.

ها أنذا أخطبُ فيكم، في الجمهوريين المحرومين من الأزهار

والملكيين الملعونين -
رجالاً في قاراتٍ غارقةٍ منذ عصور
لا يتلون صلاةً للأطفال المرميين على قارعة الواحات
في الثورين المغمورين
والعمال المضطهدين
ها أنذا أخطبُ بالمجانٍ أمام رجالٍ مغرورين
ها أنذا أعلنُ أنني معزولٌ كالنقطة
وحقيقي كالبحر
أرغبُ أن أمنحَ إسمي للشيطانٍ أو الله
وأولفَ أشعاراً تشعل في العتمة شمسا
أن أقفلَ خطين وأدعو أتباعي للثورة
في خندق هذا العالم
أنا ف. العزاوي
جندي مجهول في هذا الكوكب
او
مجنونٌ
يبحثُ عن قاراتٍ عذراء.

للمرأة في جسدي غرفة
للدولة في جسدي شرطي
للكاهن في جسدي إنجيل
للمراب في جسدي سيارة
أكتبُ إسمي في أسفار الرمل

أرصفُ للشمسِ حدائق
أبكي إذ لا أملكُ طائرةً أصعدُها في نزهااتي
لأغادرَ نفسي نحو الجنة.

في هذا الوطنِ المقفرِ مثل قواربِ مقتولة
أطرقُ أبواباً، أبحثُ عن جثةِ جيل
عن شهداءِ حلفاء
عن وجهِ صديقي العائدِ من سجنِ السلطان
عن صوتِ الحلاجِ الواقفِ في مستشفى السل
يحرسُ أمراضَ الفلاحين
أبحثُ عن حرية.

داخل رأسِ العالمِ آلاتٌ ومقاييسُ من المعدن
فلنجعلُ منها قبضات!

١٩٦٨

كائدرائية العصافير

عبرتُ رمالَ القوافلِ، بيني وبين القوافلِ عشقٌ قديم
تسلقتُ ظهرَ الجبالِ؛ أتيتُ إلى وطنِ ناني في الصحارى
تعريثُ من جسدي، صرْتُ صخرة
عبرتُ العصافيرَ في الليلِ تأتي الي وتدخلُ تحت قميصي
أنا العربيُّ الذي قتلوه، أنا الموجُ والباخرة
حملتُ معي مركباتِ الحروبِ القديمةِ والأوبئة
حملتُ معي الأزمنة
حملتُ معي الأمكنة
تقدمتُ، جلدي ترابٌ ووجهي هواء
تقدمتُ نحو المغارةِ، صرْتُ نبيا
وفي ظل نفسي ارتجفتُ
رأيتُ إلهي معي دون سترٍ
رأيتُه في الماءِ والصخرِ والعاصفة
صحارى القصائدِ في كلماتي تضيءُ
تعلمتُ كيف أكونُ وكيف أجيءُ
بنيتُ القبائلَ، جيتُ البوادي، ارتقيتُ الطريقَ
الى سلمِ الرب. هل كنتُ نهراً يفيضُ فأغرقُ فيه

ومملكة في الرياح؟

عائداً في الرمال بين منفى ومنفى أعدُّ رغباتي
وأحدقُ في الطيور التي تعبرُ أسوارَ الملوك
أقولُ لنفسي: خلقتُ من الحديد أشد قلباً!
وجدتُ الأجيالَ تضحكُ بهستيرياً في شوارعِ الفجر
والقتلةَ الغاضبين يتقدمون نحو مدنِ الحب
يأكلون النازَ في فنادقِ الخمرِ والحشيش
يقتلون أطفالِ التسعة
ليلةً
بعد
ليلةً.

صرختُ تحت أقدامهم،
علقتُني عند بابِ بيتي
فرايتُ أمي تحت صليبي يساقطُ فوق وجهها غبارُ الرأسمالية
وتقولُ: حرروا الجسدَ من العاصفة!

سائراً بين يثرب والقدس في الساعة ٣ مساءً
قبل ١٨٧٦ عاماً وقفْتُ أمام كاتدرائيةٍ للعصافير
كان بدو ملثمون
يحدقون في أعمدة التليفون
بغضب.

سائراً في القصيدة نحو النهار
سقطت نجمة

من يدي
في ظلام السماء
أين باب السماء؟

صاعداً سلمى الأبدى رأيتُ على ساحل الآلهة
فارساً يتقدم صوبي
يقول: أنا عربي
الفرات يجيء الي ويهمسُ في أذني: أنا عربي.
عائداً نحو بيت الصباح
سقط العربي
من يدي
في الرياح.

في سوقِ الوراقين وقفْتُ، رأيتُ نيويورك مخبأة في قنينة
والموجة تكتبُ يومياتها مقتنصةً نسيمَ البحر
موسكوفيون من أواسط آسيا يعبرون شيراز إلى وطني
باحثين عن مسيحٍ لم يأت بعد.
فصولٌ تعبرُ

وسادة الشمس يتجولون في صحراءِ جسدي السجين:
هل يُمكنُ أن أحلّم في معبدي الجديد؟
هل يُمكنُ أن أغسل صوتَ قراء اللغة العربية؟

آه، لم أعد قادراً على تناول الشاي، مخلوطاً بأريج أشجار
العصور

باباواتٌ من شمع يجلسون على قارعة الطريق
هتلزٌ من قشٍ تعتلفه الماشية يقفُ فوق كفي القاحلة
تجازرُ عربٌ من دمشق يقترعون على لحيتي
فتاةٌ عارية تغتسلُ في نهرٍ دجلة.
آه، كيف يُمكن لي أن أغسلُ صوت قراء اللغة العربية؟

هابطاً نحو مبني الجسد
ذاهباً في جناح الطيور
مقبلاً وعيوني أشعةً X
انحدرتُ من الجبلِ المستقيم
نحو توراة موسى
وجدتُ حزيراًن يبكي دماً
قلت: أين زهورُ الحدائق؟
أين الصليبُ الذي ارتقيه؟
هابطاً في البراري أرى الأرض تولدُ من جسدي
وبابلُ تُبعثُ باسمي
فأصعدُ أبراجها العالية
لأهدمها مرة ثانية
مقبلاً وخلايا دمائي انتظارٍ سقطتُ هبطتُ
إلى النهر صرْتُ صليبٌ مسيح
شبحاً نائماً في فخاخ الزمان

صرتُ شعباً وجرحاً وماء
وسماء سماء
وحدائق ريح.

أَيِّقِظُوا العربي الذي نامَ في جسدي ألفَ عام
أَيِّقِظُونِي، دمي ماءً بشرٍ وطين
أَيِّقِظُوا لغتي من عذابِ السنين
أَيِّقِظُوا وطني الوثني.

أتيتُ إلى وطني وتوجتُ نفسي شاعراً
أعطيْتُ للأرضِ من لغتي هواءَ الحقيقة
صرتُ نهراً ومجرى
تكشفتُ عن جزرٍ تغني
وصوتي مديّةً بين نهديها الفراتين
كفي على فخذيها
رأسي نهازاً أبدي.
توهجتِ الليالي - رأيتُ الجزيرةَ في الصحارى تُقدّسُ قاتليها
وجدتُك يا أرض أسلافي الغابرين
في المغاراتِ تحترقين،
قلتُ استقري
فوق كفي، كوني طائراً يجيء الي
كثعلبِ الريح، يخطف من يدي زمردةَ النهار.

الجزيرة العربية مليئة بالحدائق العامة
قبائل أطفال في العشب يلهون مع القديسين في المصانع
الجزيرة العربية شركة أرامكو وغلاف في المجلات الجنسية
الجزيرة العربية تفتسل بالنفط وتحرق في فجر آسيا
عبر طائرات مشبوحة لا تتقن الحرب
الصحارى مرهونة في البنك الدولي
والكلاب تنبح الريح
الرمال تبحث عني.

أيتها الجزيرة العربية، أيتها المقيدة بالقصائد
يا حديقة العالم يا ثقاب الخير والشر
الجميع يحبونك
الجميع يكرهونك
أيتها الجزيرة العربية إنني أسمع صوتك في السجون
أشهد عينيك الباكيتين على زجاج سيارات الملائكة
هل أنت مستقبلي حقا؟
أنت التي لا تعرفين الحرب
أنت التي لا تعرفين السلام.

أيتها الجزيرة التي بين يديك ولدت، تعلمت مهارتك
وفيك استقر شعبي المعبأ بالقنابل، تحت فخذيك
أقمت مدائن للحريم والسلطين والجمال المحملة بالهواج
وبكاء الشركس

ملأت رمالك بالملوك والأشباح
قطفت من نهودك زهرة الجنس
وجدتلك في الليلِ عباءة عاشق.

ياجزيرة الله القاحلة أين أنت؟

١٩٦٩

سلاماً أيتها الموجهة، سلاماً أيها البحر

في هذا البحرِ الواقفِ بين الساحلِ والإنسان
قلتُ: اترُكني يا وطني
فأنا أكرهُ أن أوسَمَ مثل نعاج الراعي، اتركني
امتلات أعماقي أسلاكاً شائكةً وانهارت في جسدي
أكواخُ البردي، اقتلعتني الأرضُ، جذوري استبخت
أتركني، اتركني، اتركني
لكن الوطنَ العائدُ من جبلِ الأحزان
أشعلني، أطفاني، أشعلني، أطفاني في النيران
صححتُ: تعالِ اقتلني، املاني عدلاً وجداماً وأكاذيبَ معلبةً
فأنا المدينةُ في الجرح
والشاهدُ إذ لا يوجدُ من يشهدُ في ليلِ الإنسان
مهترأً كالرمحِ الساقطِ من أجلك حررتُ وحوشَ العالمِ يا وطني
مسجوناً أطلقتُ سراحَ الريحِ، الريحُ اختبأت خلفي
دخلت بيتي
وجدتني في النارِ فقيراً مثل كتابِ أبيضِ يُتلى
في الضمّةِ الأخرى
من غسقِ الإنسان.

نعمة أسفاًز تُكتبُ، حيث يكون الوادي مبهوراً
 بطيور الغابة بين الأشجار
 وأخرى حيث يكون التاريخ مجرد أرقامٍ
 في كتبٍ يقرؤها الأطفال
 ليكونوا أبطالاً من قش
 والإنسان سلوقياً في حفلة صيد
 لا يعرف غير طريديته.
 نعمة في القلب أغانٍ لا يعرفها الشعراء
 وأحزانٌ تؤكلُ كالحلوى في مائدة الفقراء:
 أيا وطني ادخلني
 فأنا العاصي من كتفِ الريح أجيءُ إلى تلة هذا العصرِ
 وأعوي
 بين حروبٍ خاسرةٍ وحروبٍ لم أخسرها بعدُ،
 امنحني يدك المقطوعة، خذني لجحيمك،
 تحت سيوفٍ أمشي
 فأنا الأعمى ابتعثُ مصيري بنقودٍ زائفةٍ
 نمثُ طويلاً واستيقظتُ
 وها أنذا في مرآةٍ أشهدُ نفسي
 أقبلُ من وادٍ دون مياه
 أنفخُ في أبوابي
 أفتحُ أبواباً
 وأطوفُ الأسواقَ، يراني الحرسُ الطائفُ عند الأسوار
 أصرخُ فيهم:

وطني السائرُ في المنفى محترقا بالنار
لم يرجع.
هل ضاع وراء البرية؟
هل جاع كذئب في الرمل؟
هل مات أسيراً في الأغلال؟
ضحك الحراس فلم أسمع غير عويل الريح الوثنية.

فوق الأشجار نثر همومي
وأمام العالم ناديتُ الوطنَ المقتول
عانقتُ الوطنَ المقتول
ناداني: ابعذ عني
فأنا الوحشُ الآكلُ أحشاء بنيهِ العشاق
البحرُ الهائج في الأعماق.
قلتُ: سلاماً يابحرُ املاني أمواجاً
فعلى ساحلك الرملي يسيرُ التاريخُ أمام الأجيال
معزولاً، مُبتلِ القدمين
مثلي وأنا أبحثُ عن وجه خرفي العينين
في زحمة عصرٍ
لا يعرفنا نحن الإثنين.

ما من غفرانٍ في صفةِ الوطنِ المسلوخ
ما من أملٍ للعاشقِ بين قلوبِ الأبدية.

ثمة أسفازٌ محترقة
وعلى الكتبانِ بكتني الريحُ المنطلقة
ثمة أسفازٌ في الرأسِ وأخرى في الروح
وأنا بتروا رأسي
غرسوا أوتاداً في قلبي
قالوا: اذهب واخطب في أسواقِ الكرخ
وتوضاً برمادِ البحرِ العربي
فخرجتُ، رأيتُ جبلاً تهربُ فوق لسانِ الأنهار
وشعوباً تخرجُ من حطين
ورأيتُ جنوداً من طين
يقتلعون ذراعَ الريح.

ثمة أسفازٌ في الرأسِ وأخرى في الروح
وأنا بتروا رأسي في عرسِ الحلاج
في معركةِ الزنجِ الأولى
في أشعارِ المتنبّي وهو يغني في حفلةِ كافور
او يرقصُ في مجلسِ سيفِ الدولة
وأنا قتلوني يوماً في سيناء
عابنتُ دمائي
كانت تنزفُ من جرحِ علي
من منفي في الربيعِ الخالي
من جوعِ الفلاحينِ المر
من كل بيوتِ الطين

في وطني.

ثمة أسفارٌ في الروحِ وأخرى في الرأسِ

وأنا اقتلعوا روحي

في معركة الكوفة

في جبر الأحكامِ العرفية

في صيحاتِ المحتلين الآتين

من كل فجاجِ الأرضِ

في الشامِ وفي القدسِ

في وطني

في وطني.

ولأنني لا أملكُ رأساً

سقطت من حنجرتي الألفاظُ على الرملِ وهبت ريح.

ماذا أحملُ؟ ماذا أحملُ للأجيالِ وميراثي

حفنة رملٍ أو حفنة ريح؟

ولأنني لا أملكُ روحاً

أجلسُ في هذا المنفى

تحت شتاءِ الشيطانِ

محترقاً

مثل نبي مطرود

في شعبٍ مطرود.

أعطونا علفاً يكفي كل خنازيرِ العالمِ

أعطونا أوطاناً دون عيوب
أعطونا أسئلة لحروب
لم نربحها
أعطونا رباً لا يُؤكل
أعطونا عشباً لخيول ميتة
أعطونا خلاً في جردل
أعطونا أحذيةً أوسع منا
أعطونا جذرياً للزينة
أعطونا أسواقاً كاسدةً في الجنة
أعطونا جلادين جميلين كليلاً عربي
أعطونا شهداء.

ليقاسمني خبزي، ليعذبني، ليقبلني
هذا الواقف بين الأوثان، خفياً كالشهوة
هذا الممنوع من الموت كعصفور الروح: تعال الي أميراً
فلاسيمك راتحة العشب المحروق على هضبات الفجر،
لذلك يعشقك الأجداد، اجذبني فيك أكون مليكاً.
نادتني الوديان، دخلت خباء نجوم، جدلاً أشعلت شموعي
وشربت الخمرة من حبك، خفت عليك من الأعداء فخبأتك بين
دموعي.

مهموم كالبرية صوتي
أجلس والبحر على مائدة الليل وأبني أطفالاً
للأجيال تُنادي المستقبل

ولنا يا وطني ميراث العصفور المحروم من الحب.

آبٍ وطني كالريح، جميلاً كالقطن المنفوش، متيناً كالنخلة
بيكي، أعطيه زهوراً، يعدو فوق العشب، يراه البدويون،
يقولون:

تعالِ اسكن معنا تحت ظلال الكرم
يهجرني، يهجر أبناءه، يضحك: لستُ حماراً
كي آكل من تين الأمراء
- : لكنا فقراء
مثلك يا وطني

فقراء نيس في البرد إذا ما جن الليل
وندخن تبغ الذل
نفتح أبواب القلب، تطير فراشات الحقل
في ليلك يبدو الإنسان وحيداً يا وطني.
يأتيني وطني ممطياً فرسا سوداء يلوح لي من أقصى السهل
بيديه، أقول: سلاماً!

يهبط في فيملؤني
أسأل كالطفل: لماذا لا نعرف أين تكون؟
هل تجلس في مقهى القرية
ويصافحك الشرطيون؟
هل تعرف كيف يموت الشعراء؟
هل تشبع حين نجوع؟
يضحك مني وطني، يضحك مني وطني

حتى تدمع عيني وأجوع.

هل يُمكنني اللحظة أن أجلسَ في زاويةٍ من حانٍ
لأنادي جيلي؟

اقربوا مني، اقربوا مني

شكراً هذا يكفي،

إبتعدوا عني، ابتعدوا عني،

شكراً هذا يكفي.

فأنا خنزيرٌ جبليٌّ طاردي الشيطان طويلاً ودخلت نقابات لا
أعرفها،

وقفزت من الأسوارِ كقطِ مفزوع

تابعني الحراسُ، خلعتُ الإنسانَ الميتَ عني

ولبستُ الإنسانَ الناهضَ في نارِ العالم.

هل يُمكنُ أن أطلبَ أحزاناً بالصدودا؟

شكراً، هذا يكفي

فأنا أعرفُ نفسي، لو قُدِّرَ لي أن أفعلَ شيئاً

لاخترتُ الغابةَ، إذ في الأحلامِ قطارِ يعبرُني

إذ في المدنِ الغابةُ تُسجَنُ،

والأسواقُ تكونُ حدائقَ للموتى

والإنسانُ طريقاً مهجوراً للأمال.

فلتنتظِرْ يا وطني المجلود

عبرِ عواءِ الأرضِ إلى الأطفالِ يغنون نشيداً أُممياً

في مملكةِ الجوع
ولتخجلُ من صوتي المطرود.
فتعالوا يافقراءِ الأرضِ تعالوا
وكلوا من جسدي الجوع
وكلوا من جسدي الموعود
فأنا أولمتُ مصيري للجوع
وعبرتُ ظلامَ العالمِ جندياً في جيشِ المنسيين.

١٩٧١

ساحر في السلاسل

إنتباه: تقاطع طرق

«صباح ٧ آذار عام ١٩٦٧»

إنتبه قد لا تكون أنت نفسك
في القطارِ تقرأ صحفَ الجريمة
في البيتِ تواجه التلفزيون
في المقهى تحتفي بالصعاليك
في المكتبِ تغازلُ اليتيمات
برجوازي فقير في السجون
ومشاعب فوضوي في السجلاتِ الرسمية
تعاشرُ امرأةَ ليست لك.
وأخيرا من الذي يقول
إن اسمك فاضل أيضا؟

١٩٦٧

غرف التعذيب

الصحراء تنتظرنني هناك
والقراصنة هنا في هذه السفينة الغارقة
أفتش معهم في غرف الزمان السرية
عن رجلٍ متكئ على جدار في معتقل بعيد
ومناضلٍ
ميت
منذ دهور.

الجزر جميلة دائماً
غرف التعذيب
أحياناً
حين يتعب الجلاد من العمل
ويتوق إلى الكسل مثلي
أنا الشاعر.

١٩٦٧

القصيدة التي تأكل نفسها

إنهم لا يجيئون، لا في القصائد ولا في كلمات السفر
إنهم لا يجيئون، لا في القصائد ولا في كلمات
إنهم لا يجيئون، لا في القصائد ولا في
إنهم لا يجيئون، لا في القصائد ولا
إنهم لا يجيئون، لا في القصائد
إنهم لا يجيئون، لا في
إنهم لا يجيئون، لا
إنهم لا يجيئون
إنهم لا
إنهم

١٩٦٦

السعادة في الشوارع

يصعدُ الأطفالُ عمارةَ الطبقاتِ الإجتماعية
ويحدقون في الفضاءِ الخارجي بنبل
حيث يوظف الأصدقاء المعدنيون
السعادةَ في الشوارع
وكالعادةِ يمكنُ للرجل
أن يذهبَ إلى البيت
ناسياً
رأسه في فندق.

١٩٧٠

داخل حديقة ممنوعة

في دفتر الزيارات نكتب أسماء العائلة
إذ الحب والسجون
العصافير والبواخر
تقسيمات غير ضرورية
في هذه القارة.

من أجلكم يا أصدقائي
أدخل حديقة ممنوعة
وأقطف أزهارا
بيضاء زرقاء حمراء
صفراء
سوداء
خضراء.

لكم أود أن أقبلَ روزا لوكسمبورغ
من
شفتيها.

١٩٦٧

ناظراً إلى نفسي بالميكروسكوب

باحثاً في المخابئ عن مساءاتي المعتمة
ترفعُ الرماحُ المضمخة بالدماء جسدي الغض
للطيور المحلقة عالياً
في سماء قارة آسيا البعيدة.

إمرأة سيناريو، أرملة متقلصة من الحزن
تعكران هواء العالم
تفحصان بالميكروسكوب
هوايات حروبنا في كابوس يحلمنا دائماً
بدون بلاءات محمولة في تقارير سرية
يكتبها جواسيس يتناولون الجعة في نوادي الموظفين.

أأقدرُ أن أعقدَ صلحاً
مع رؤوس مفسولة تخرجُ من البانيو، وعليها الصابون
وقرودٌ في قطار السابعة والربع
مقبلة من العام ١٩٤٠ الذي وصلتُ فيه إلى العالم بالصدفة ذات
ليلة ممطرة؟

وجه بدون تعابير
بدون راتب تقاعدي
بدون ثلوج موبوءة
ليلة باردة، صيف محنط
باردة/ ليلة محنط/ صيف
ليلة/ محنط
باردة/ صيف

أيكفي أن أرتشف مع الأشباح
قهوة السعادة
في بيت الآمال المؤجلة
لأعثر على جواهر حياتي الضائعة؟

١٩٦٨

أسراب عصفير

من قارة
تتحرك باتجاه الحب
يخرج شعب عسكري بوردة
ويعبّر أغباشا منحدره من تل
إذ يمكن للسابلة أن يروا أسراب عصفير
تحلق فوق ساقية.

١٩٧٠

هناك

هناك جندي يعانقُ صديقه على رابية
حيث ينزف الدم من ابتسامة مكبوتة
هناك أعرابي يجذفُ في نهر
مادا يده إلى كتفي
ليشكرني على ما فعله الزمان به
هناك أحد ما يعرفني منذ الأبد
يكتب لي قصيدة حياتي
ويقدمها لي ضاحكا.

١٩٧٠

أنبياء في ليل اورشليم

للفرس البيضاء ذات الأجنحة
أسجد في منعطف العالم.
ياكاهن اللعنة
هب وجهي القاتم
رغبة اوديسيوس، وهو يعبر البحار.

مقامر الجملة يأتي غاضبا
يسوط وجه الحب بالخرافة
ويركل الفراغ.

٧ فرسان أغاروا، دفنوا نبيهم
في ليل اورشليم
وهاجروا.

حقيقة الحضارة
يفضحها نرسيس في نبوءة القديس.

تلهبُ القصيدة
في جسدي
ويرقصُ القاتلُ والمقتولُ في مملكتي
على طولِ تم.. تم
تم.. تم.. تم.. تم.. تم
فيسقطُ الظل على العبارة
معلماً زاويةَ الإسقاط.

١٩٦٦

مؤامرات

القصاصد

تُكتبُ مع وصفاتِ الطيبِ المحلي
والأنيقات

يحتفلن بموتِ فانтомاس
الذي كتته دائماً.

المعطفُ الجلدي

والبلوزةُ الفرنسيةُ المهربةُ من ايران
لفقراءِ المدن.

إنهم يغلقون يدي

ويفتحون فمي.

لم تعد المؤامراتُ الأبويةُ مجدية :

خمس رصاصاتٍ في الجدار

تسع كلماتٍ في المنفى.

إنهم يموتون
بلا اعتراف
ويعارسون الشعر
من أجل جلودهم.

١٩٦٧

أغنية للجسد في الأبدية

أيتها الأبدية
واقفة هناك في البراري
تحديقين في السلام الأبدي
إقتربي من جسدي المغلول
هذا العذاب المتفخ
والإرتباك البشري
لإقتنص لحظاتي، هاربة
تفلت من بين أصابعي
مثل أسماك في نهر.

١٩٦٨

الريح، الريح، الريح

بين الفكرة والكلمات
هجرة أجيال
وقصائد أحلام
وسعاة
الكلمات سيول
فلنوقفها
ولنبداً فصلاً آخر
عن جيل آخر
يولد من سهل رماد
من ربوة فردوس مهجورة.

يا صوت الجيل العاثر
يا مكتشف العري بقلب الشاعر
أسرع أسرع بي عبر الغابات المذعورة
واجعل من قدرتي اسطورة
احرقني ثم احرقني
فوق روايي عاموره

إحفر فوق جيبني شارة
أسدل وانس، اسدل فوق البحر ستارة
فأنا
أكره أن أسقط في معركة التاريخ
ها هو ذا الإنسان
يهبط من ماضيه ويسقط في النسيان
الريح، الريح، الريح
لن تفرغ أشرعتي بعد اليوم
فإني، إني أخبركم
أني نفسي الريد
ح، الريد
ح
الريد
ح

١٩٦٥

السائر فوق خط التماس

١ - المرأة المسلسلة

للمرأة المُسَلَّسَة

تُخْتَصِرُ الأبعاد.

أنباتِ العلائق

عن منحنى السُدْمِ

في الجسدِ السرعةِ

الحل: أن نوقف

هذا الذي يجيء

مقرباً من حلزونِ الوجه

ليس تماماً وفق قانونِ أكيدٍ ما

يوغَلُ أحياناً مع المجرى

تستيقظُ الحركة

بفعلِ خطِ التماس.

٢ - الطوفان الأخير

في لحظةٍ

وتُفعلُ العالم.
من أجلكم يُكْتَبُ هذا الفعل
يا إخوة السهولة
تكتنظُ حتى حافتي بالكلمات
أرسِلها: مساحةُ الدائرة
تُبَطِّئُ نصفَ القطر
أعرفُ أقطاري فقط.

من الذي يريدُ أن يموتَ
تحت خيمتي
في الطوفان الأخير؟

٣ - عيون الأجداد

محتلةُ كتلةُ اللعبة
تحتشدُ الأجسادُ في المعادلة:
ي = ٢ / ١ جذر الإبتداء + مسافة العالم
إذ في اعتسافِ العمَدِ الواقعي
ثمة من لا يُفهمُ الموتى
ما للجدودِ من عيونِ أسرة
من الذي يمسكُ كفي ساحبا إياي نحو البحر؟
من الذي رأى هنا في دربنا العلامة
واكتشف اللعبة والسِر؟

٤ - في ثكنات العصور البالية

ينصهرُ المكان في الزمان
مثل نهر فائض
رغم التدخّل الإضافي
للصانع الجالس فوق عرشه القديم
فأوهَم اللولب في دورانه المريب
بكتلة الكثافة
كيفما اتفق لي
واضعا كفي الأخوية
على العصور البالية
تمر ورائي
وأحدسُ أن البحرَ سيكون لي
وحدّي.

أخيرا سنذهب الليلة
باحثين عن السعادة
الى أقاصي ثكناتِ الجسدِ المادي
لنُكسِبَ المعرفة
كيمياءَ الهموم.

١٩٦٦

عابر القوس

من الذي يقتلُ هذا الجسدَ - الصحراء؟

الليلُ في هبوطه المنحرف؟

الحب في القلبِ الذي يرتجف؟

الظل؟ الأضواء؟

من الذي يقتلُ هذا الجسدَ - السماء؟

القوسُ إذ نمر متعبين تحت جسره الطويل

القوسُ فوق نهرنا الكليل

لا شيء إلا القوس

لا شيء حتى القوس.

١٩٦٦

مهنة السيد أدورد لوقا

تفتعلُ الأسطورةُ في سفرِ التكوين
يمتهنُ السائحُ بيعَ الأتعةِ الجلديةِ
فيما الملكُ الأعورُ في شرفتهِ المنهارةِ
يتحدثُ عن غزو الحبيشين.

يُختَمُ الفصلُ بضحكةِ جان جينيه
يتحدثُ طلابُ المعهدِ عن مخرجةِ عرجاء
تصبغُ خديها الحمراء، في ضحكيتها التلقين
يُخجلُ فراشي قسمِ الموسيقى
يجتازُ السيدُ أدوردُ لوقا
مكتبةَ الخلائي
لكنه يرسبُ في الإلقاء.

في فندقِ زيا ينسى المستشرق
زوجته، يشربُ في البارِ نبيذَ التفاح
معتماً قبةً من قشٍ حائل
بضطهدُ الصيفُ أجانا كريستي، تكتبُ عن بابل

قصتها البوليسية.
في الفصل الثالث من كوميديا الأخطاء
يتعذب كل الأبطال، يموت اللص
يتعلم شحاذاو بغداد الرقص
في ملهى الأوبرج.

يا وجه يهوذا الأسخريوطي
هب وجهك معنى ما!

يقتل الناس أمام المذبح
وأنا أنفج من عتبه بيتي
أصطاد صقورا للتحنيط
وأفكر في مقتل شخص لم يولد بعد.

الفكرة تُقلق رأس الشاعر بالأوزان
يذهب للسوق فيأتي بالميزان الذهبي الموعود
يحفظ كل الأبحر في مقهى الطلبة
يخجل من فعلن، مفعولن، فعلان
يلتقط الأصوات المتقلبة
في حنجرة الماضي
يكتب بيتين من الشعر، يضيء الهوة
بين الحاضر والمستقبل، يلهب بغلته الجنية
بالسوط ويرحل كالحرثة

فيما الحب... اللعبة
الشعر... الكذبة
الرجل... القعبة
يحتفلون الليلة في نادي الإنسان الدولي.

من أجل الشعر يمزق أقمعة التاريخ المقلوب
من أجل الكلمة تختزل العالم
أنهض في هذا المنفى
خارج شارات الحرفة
أجلد وجه الشعراء.

١٩٦٥

في ليل بغداد

في بغداد أرى ألفَ مسيح
يرجمهُ اللوطيون
بصيحُ
فلا تسمعه الرياح.

١٩٦٥

في الطريق إلى مملكتي

بيضاء هي الفرس في الريح
تخبُّ مقبلَةً من الأفق
بفارسها القديم
بيضاء هي السفينة في البحر
محملةً بصناديق الأزمنة الجديدة
وبضائعها القديمة
طالعةً من الرماد
كنافورات هندسية أستحمُّ بمياها
أنا الذي سأوحدُ أفعالي بعدي
لأوزع ظلي على العالمِ كله
بدون منة.

السفينة التي صارعت الأمواج طويلاً
ستبلغُ أخيراً تخومَ ضفتي البعيدة.

١٩٦٦

أقواس

الكهوفُ التي غمرتها المياه
قد مشاها الرجل
حيث قوسُ الزمان
ينفعل
مرة واحدة
ويعودُ سواء.

إنني الرجلُ المسألة
عند بحر أجيءُ
عاصفا فأضيءُ
في مسافةٍ وجهي غدُ
مرة أوجدُ
مرة واحدة
لحظةً المقصلة.

كلما يُقتلُ الشاعرُ
تستعيدُ الطقوس

فرحة الإبتداء
وتنظُّلُ السماء
تُمطرُ.

عاشقُ اللحظةِ المبهمة
جرّد الشعرَ من بؤسه
واستعادَ هواه
في الكهوفِ التي غمرتها المياه.

١٩٦٦

الصقر في الريح

١

للصقرِ الصاعدِ في الريح
جسدٌ من ريح
أتنزهُ في وادي الريح
أكتبُ أشعاراً عن رجلٍ يذهبُ في الريح
وأولفُ أحلاماً عن قاراتٍ تضربُها الريح
هل كان الصقرُ امرأةً في الريح
تُنجبُ أبناءً للريح؟

٢

أعرفُ أفراحك إذ تنهضُ بي يا أسبوعي
هل تعرفُ أحزاني إذ تسقطُ بي يا أسبوعي؟

٣

الشاعرُ في مستشفى الكلمات
يتمددُ فوق سريرِ القاموس.

أعوامٌ مقلبةً من مدنٍ داخل قنينة
أفتحةً للموتى، أسمدةً للحبِّ وأشجارَ للزينة
أيُّ غنائٍ للموجةِ في الساحلِ، إذ تحملُ أحجاراً كبريتية
أو تفرشُ رملَ العالمِ بالآهاتِ.

ساحرةُ الغابةِ في فستانِ السهرةِ تضحكُ للموجةِ
مغتماً أنظُرُ - سلّمٌ مضطربٌ في أعضائي
عاصمةً للماءِ وأبناءً للشقراقِ، بكاءً بين الكَلِمةِ والكَلِمةِ
صمتٌ محتقنٌ في ضحكةِ أجدادي.
هل أجرؤُ أن أمسكَ هذا البحرَ الواقفَ جنبي؟
أن أذهبَ في ماضي الأمواجِ إلى نفسي؟

في الليلِ تجيءُ الشمسُ إلى جسدي، تدخلني
أجراسٌ والبحرُ معي، أسمعُ في الضجّةِ صوتي.
أشرعةً من كتان
عاصفةً في صحراءِ تهبُّ على الأشجارِ
خضراءَ كعيني وحشٍ في غابةِ
أحلمُ بالموجةِ والغابةِ.
يا ساحلَ أيامي، يا مملكةً تتألقُ في الريحِ
ها أنذا أفتحُ كفي للريحِ

حفنة رمل للريح
فيما الأجيالُ على الساحلِ تُزِيدُ غاضبةً في الريح.

٧

حلفاء مضطربون أمامي
يقترعون على رأسي
في الريح.

١٩٦٩

في مدن مهجورة

ها أنذا أرفعُ بين الأوجهِ وجهي
أخدشُ أعماقي، أبحثُ عن سوط
ألهبهُ في وجهِ الشعراء
فأرى الزمنَ الموطوءَ يغني
عن آلهةٍ تحقدُ مرة
ثم تموت.

الآشوريون يعودون بلا رايات
وكلابُ المدنِ المهجورة تنبح
تتكاثرُ دون خجل
وعلى جدرانِك يا بغداد
ينمو الطحلبُ والعوسج.

يا أبناء اللعنة
البحثُ المجنونُ عن المعنى
لم يُخَصِبَ امرأةَ عاقر.

كلّ شتاء أرجعُ
أوهجُ في صوتي الرؤيا
لي من سُخطي فرسٌ تتخطى
جدرانَ الدنيا.

١٩٦٥

اغنية إلى ف. العزاوي

لم أتقن الموت
كان ف. العزاوي يحدقُ في أنفي دائماً
لذلك ضربوه حتى الصمت.
الثلجُ فوق قبعة الحوذي
البوليسُ يتحرى الحقيقة
والزنجي يسيرُ متأبطاً نفسه في شارعِ السعادات الصغيرة.
علبُ الليلِ مليئةٌ بالشمس
والأمُّ الحزينةُ بدون بطاقة سفر.
الرجلُ يحدقُ
والفتاةُ نائمة
الفتاةُ الثانية في البيت رقم ٢
الفتاةُ الثالثة في البيت رقم ٤
عند نقطة التفتيش.

١٩٦٧

حلم عن الحروب القادمة

حين يتفرجون على الجرائم في المهرجانات العامة
تكون للحروب قوائمُ تترك آثارها
على خرائطِ الجنرالاتِ الرملية.

شعوبٌ كثيرةٌ تغامرُ في السير ليلاً عبر المستنقعات
حاملة في أيديها فوانيسها المطفأة.
رأيتُ شعباً
يلتهمُ أحلامه
بالكافيار.
لم أكن في أي شعب.

أحسبُ أن حروبي الكثيرة مؤتمرات لصيادي الأخطاء النحوية
لدوري كرة القدم
للقصيدة التي تحجّل فوق بلاطات الأباطرة والملوك
لعشاق الأيديولوجيات والمذاهب
ولكن بدون مناقسات شريرة.

محلقة أبدا كالنزوة

في

أ

س

ب ضائع

و

ع

أسمع

جلبة الموت الأبيض

في فهرست الجسد.

١٩٦٩

في غابة بدائية قبل مليون عام

شمس تآلق في عشب مانت
يرتجف الماموث الصامت
تحت سماء الزمن الماضي
فأكون هناك
أنظر في العصفور يغني لي
أرحل، تأتي أجيال أخرى
تتعقب آثاري
يرجع خنزير الماء إلى النهر،
أفكر في امرأة أتفسها
وأموت.

في الليل نعود
أبدا نحو الأفق المظلم عبر الغابة.

١٩٦٨

القصيدة

أنت يا من تختفي في زخرف اللحظة أنصت
للخطى تنأى وللأرضِ تجيء
إنني الصانعُ وجهي أزلُّ
صوتي الصارخُ في غابة أسلافي
يُضيءُ
إنني الشاعرُ في قلبي البدائي
كلماتٍ وصحارى وقنانٍ وسيولُ
إنني أهرمُ، في الرحلةِ يأتيني الزمان
كنذيرٍ من صحارى مقفلة
إنني أفتحُ نفسي في مهبِ الريحِ، صوتي يتحدى
كلَّ شيءٍ
يسقطُ الليلُ على جمجمتي
تعوي ذنابُ اللحظات
فوق فجرِ الطرقي
يا نبيَّ القلبي
في مراثي الدمِ والحمى النذور
شعراءُ الزمنِ المحترقِ.

أنت يا من تختفي في زخرف اللحظة
أنصت
لهموم الشاعر المنسي
في ليل القصيدة.

١٩٦٥

نهايات

لا شيء جدير بالألفة
إلا هذا الخط المكبوت
تحت جبين الأطفال المصعوقين
إذ ينهضُ محتفياً بصراع الطبقات
ديناصور.

أين السيفُ النابتُ في جمجمتي؟
أين مريخُ الله إلى الإنسان؟

أنتم يا من جئتم
أنتم يا من عثتم
أنتم يا من متم
أنتم يا من...
كفوا.

في أجنحةِ المصفور
ذهب الحلمُ إلى معتقلِ الشبان

عاد إلينا مقتولا.

ها أنذا أسمعُ موسيقى
في ليلِ السجناء
والأجواقُ تغني.

فوق المائدة الأخرى
في بيتِ العالم
يتكهنُ هذا الحبُّ الموروث
بنهاياتٍ ليست مختومة.

١٩٦٦

القتيل

فمرّ أزرقُ والأفقُ خيولٌ ووجوهٌ لا تغيب
وجموعٌ فجأةً تعدو فينصبُ اللهب
ونقاييُ بلا قبعة يهتفُ إنا لن نموت
فيموت.

فمرّ أزرقُ والأغصانُ تهتز كثيراً
وعلى الأوجهِ خوفٌ
فجأةً ينغرسُ الخنجرُ في أضلاعِهِ، يسقطُ ظلُّ
فيضيءُ النجمُ في عينه شيئاً
ثم يغفو.

أيها القلبُ الذي غنى انتصارَ الشعبِ
غنى أمله
أنت لم تسقطُ على العشبِ وحيداً
فوق ماضي القتلة
أنت أعطيتَ جموعَ الفقراءِ
وطناً يولدُ في كل مكان.

زهرة،
قبةً في الأرض،
والأشجارُ تشربُ
من دماءِ الرجلِ المنسي، ذي الوجه المعذب.

نجمَةُ الفجرِ على عينيه تخبر دون نامة
فلقد مات وحيداً، مانحاً للكونِ حلمه.

١٩٦٠

السجين رقم ٩٠٧

في زنزانه سجني أشهدُ ساعةَ أيامي واقفةً
أدخلُ في ظلمتها وأكونُ مليكاً مطرودا
بسهرُ في بابِ الليل
أسقطُ في الفتياتِ المعتوهات
ونساءِ الكليات
إذ يعشقن بصمتِ الأطفال
وعذابِ السجناء.

في زنزانه سجني
أتحرى عن لحظة حب
في وجه العالم.

١٩٦٥

نهر الزمان

في جُرفِ النهرِ
الزمنُ الضائعُ
لا يُسترجع.

يتحدُّ الماضي بالغفران
والحاضرُ بالرغبة
ولذلك أخرجُ،
في كفي حربةً أسلافي
أتصيدُ أيامي
في أسواقِ العصرِ السوداء
أقتاتلُ في ظلِّ المدنِ
من أجلك يا حبي
يا حافظَ أحلامي
يا معطفَ أفكارِي
يا وطني
من أجلك أذهبُ للموتِ
إذ

تلخ العالم يغمري
إذ
شمسُ المعنى تتد
لى
من غصنِ الزمنِ.

١٩٦٥

إنحراف الجزيرة

أحاورُ أزمناً الإنهيار
عن الرجلِ المختفي في مسافاتٍ لحظتهِ المقبلة
أراها أن أسيرَ وحيدا
وأن آكلَ المرُّ من سدره المنتهى.

صقورُ الرياحِ القديمةِ
تحلقُ أعلى الجبال
تجرجزُ ظل الزوال
وراء الزمانِ الكسير
وتتركني عند نبعِ مرير.

هناك سأجلسُ أغرفُ من بئرِ قلبي
لأبلغَ نفسي.

أنا السائح الوثني الأصيل
أقامرُ في المدنِ القاحلة
كريحٍ أهاجرُ أبعدَ من كل ماضٍ

كدافنِ موتى
عن العالمِ المحتضر
فكلُّ مدينةٍ
صداقةٌ غمدِ سيفِ
وكلُّ طريقِ
مفازةٌ خوفِ.

تكف الجزيرة
أخيراً
عن الإنحراف القديم.

١٩٦٥

قوافل تائهة في صحراء

المجوس في الصحراء

في جسدي شوارعُ ترتجفُ
وأمةٌ تعترفُ
بعارِها، بما أضاعت من سني الحياة
ليلاً على وسادةِ المحاربِ الغاضِبِ
يا عالمي الصحراءِ، يا قصيدةَ كاذبةً في شفتي كاذبِ
يا حانةَ الشيطانِ
يا خطواتِ الذئبِ في أزقةِ الفئرانِ
يا لعبةَ الشطرنجِ بين الموتِ والميلادِ
يا جرحنا المعادِ
قلِ اننا جحافلُ تبحثُ عن معنى
قلِ اننا نسكُتُ إن جعنا
نسكُتُ إن تهنا
نسكُتُ إن متنا
قلِ اننا قافلةٌ تائهةٌ
تبحثُ عن دليلها بين ظلامِ العصورِ
قد حطمتُ أصنامها التافهةِ
وهاجرت تطوي الغيافي، تدور

وقدمت لقاتليها الندور
وصالبي أبنائها المشردين الزهور.

في تُكْنَاتِ نَفِينَا
فِي مَدِينِ لَا تَقْتَدِي بَرِينَا
أَوْثَانُهَا مَصْبُوغَةٌ بِالشَّمْسِ وَالْحَنَاءِ
وَفِي مَآقِيهَا تَضِيءُ الظَّلَالِ
تَجَمَدَتْ دَمُوعُنَا
تَشْرَبُ مِنْهَا اللَّيَالِ
أَهْلَةٌ بِيضَاءِ.

فِي اللَّيْلِ سَرْنَا تَحْتَ ظِلِّ الْمَدِينِ الْمُحَاصِرَةِ
فَوْقَ الدَّمِ الْمَطْلُوعِ فِي السَّفُوحِ
فِي الْفَجْرِ أَشْرَفْنَا عَلَى أَقْيِيَةِ الْمَرْمَرِ فِي طِيْبَةِ
أُودَيْبُ فِي صَفُوفِنَا يَقُودُنَا
أُودَيْبُ وَهُوَ يَعْبُرُ الْبَحَارَ وَالتَّلَالَ يَزْهُو بِطَلَا
مَنْقُذُنَا الْمَغَامِرُ الْفَتَى الَّذِي أَضَاءَ فِينَا الْأَمْلا
قَدْ أَوْقَدَ الشَّمُوعَ فِي الْأَلْغَازِ:
يَا أَيُّهَا الْوَحْشُ الَّذِي تَزَلَزَلْتَ طِيْبَةِ
بَيْنَ ذِرَاعِيهِ وَلَمْ تَعْشَقْ سِوَاهِ
إِنَّهُ الْإِنْسَانُ
فَافْتَحْ مَغَالِيْقَ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَنَامُ مَصْلُوبَةً
لِكَيْ يَزِفَ قَمَرُ الزَّمَانِ

شراغه، لكي يُطَلَّ في دموعِ شعْبها نِسان
بحملُ في ضحكته القرنفلَ المغسولَ بالألوان
أوديبُ هبَّ جمالنا في ظلمةِ الصحراء
بحيرةُ نغرف منها الماء
هَبنا دمَ الحقيقةِ الأولى
هبَّ شعْبك المرتزقة
أفعمه لا تفضحُ الأسماء
هبَّ أمكِ الثكلي
وجهاً ترى الناسَ به واقنع بما تُبلى
لأننا المجوسُ في ليلِ الليالي نعبُرُ الأنهار
وكالأسارى تُحرقُ الأفكار
أعصابنا
ترددُ الصيحةُ في جموعنا
فيرجعُ الصمتُ الصدى
بدرينا
مبللاً بدمنا
متقدا.

من نحن؟ هذي الحياة
تعلمُ أنا حفاة
تعلمُ أنا عراة
تعلمُ أنا حفتةً منهكة
وصوتنا الخافتُ في الأحشاء

يُطلقه الأموات.

نصبتُ نفسي للضياع ملكاً
تحيطُ بي حاشيتي
يزدردون كلمتي ويشربون صامتين من بقايا لغتي
صلبتُ ظلي مرةً تحت سماءِ مدني
علمتهُ أن ينحني
وأن يقول: لا، نعم، لا، لا، نعم
علمتهُ الأسماء
علمتهُ البكاء
فما ربحتُ، كيف يربحُ النبيُّ نائراً
في وطنِ الشيطان؟
صرحتُ في الفصول
ليعبزَ الربيع
يحملُ في أمطاره يسوع
يسيرُ فوق الدمِ والدموع
صرختُ في العراق
وقلتُ: يا جمهوري العظيم
لقد رقصتم تحت كل مشنقة
لتصلبوا العراق.

أيا عراقُ يا عراقُ
من يمنحُ الصغارَ خبرَ يومهم؟

وكيف ينمو القمح؟ كيف تهطل الأمطار؟
ومن يحب؟ من يعيش؟ من يكون
لو مت يا عراق؟
وما مصير ركبنا؟
ونحن في احتراقنا
مهردون بالعري
بالموت في محكمة للسرقة
مرتجفون في ليالي السفر
بين ارتخاء القوس والتوتر
فاختصري
يا قدمي المسافة الأخيرة المحترقة
و..... انتظري.

في الليل سرنا بين قيظ الصيف، برد الشتاء
خيولنا جامحة والأفق سكين على الزبدة فوق الحدود
والشمس برتقالة صفراء
ونحن لا نستطيع أن نعود.
قوافل الأعداء في دروبنا ترصدنا
قد أحرقت قبل العبور الجسور
ولم يعد بد من المعركة

أيتها المملكة
ملعونة أنت

لن يشتروا صمتي
ولن أخونَ الحياة.

يا سفناً تعدو وما من شراع
يحملها لمرفاً يوهجُ في موتِ بنيه الرجاء
ويمنحُ البحرَ دموعَ القتل
تفحّمي تفحّمي تفحّمي
ليلَ البحار الطويل.

مايس ١٩٦٣

قضية هاملت

١ - الملك الجديد

لأنني هاملت
أشكُ في حقيقتي
أسخرُ من نكبتها المؤدبة
أحلُم كلَّ ليلةٍ بالموت
أفلسُ المأساة
أبحثُ عن جواب
أقرأ في كتاب
حكايةٍ أخرى
بقتلُ فيها الملك العادل
وعندما ألعنُ في مناهتي القتلَ والقاتل
أسقطُ بين الحبِّ والمأساة
فأذرعُ الشوارعَ المكتبة
لعلني...
لعلني...
وأطفئُ الرجاء

أوقد قنديلاً من الكلمات
أعبرها جسراً
أهين في شتامي الأموات
ليسلكوا صحرائي المقللة السوداء.
خدعت فالدليل لم يعد
سمرت مثل قنفذ في قفص الأبد
زحفت في صعلكة المحارب الجريح
أبحث في القفار عن مدد
لكنني خسرت،
كلُّ نائرٍ بسيفه ذبيح
أضاع شمساً ما
أضاع في غربته دليله
ومات بالحمى
تسحقه سنايك الخيول.
لكنني
أظلُّ رغم كاهني الأعلى
يصيح بي: كلا
ورغم ما دفنت من قتلى
فوق هضابٍ وطني
أفسر الألغاز والرموز
أبحث عن مدينة تضم في قلاعها الكنوز
أفتحها قسراً.

٢ - الوحش ذو الأطراف السبعة

أسقط في قضيتي
أنهض في قضيتي
أصرخ في الريح على أعمدة الصليان
أغيب في الأسماء أو
أركض في كنيسة النسيان
أصبح بي:

قد مت، هذا زمن نبيع فيه الحب
نبيع حتى الموت
فلينحِب الموتى على أبواب بغداد
فقد مات هنا من حزنه الدفان
وأزهر الشوك على وجوهنا
وسقطت حضارة الإنسان.

- : أنصت لما أقوله هاملت

أنصت ولا تجزغ

- : أبي، أبي

من بدم الفناء لطحك؟

من غمد الخنجر في قلبك وانتهاك

شموخك الجريح؟

- : أنصت لما أقوله هاملت

عند انتصاف الليل، إذ تضطرب الكلاب

وَيُضَلَّبُ الْأَسْرَى عَلَى الْأَبْرَاجِ
وَعِنْدَمَا تَأْفَلُ فِي غَرْفَتِكَ الشَّمْعَةَ
سَيَزْحَفُ الْمَوْتُ عَلَى أَطْرَافِهِ السَّبْعَةَ
إِلَيْكَ فِي وَقَارِهِ الْقَدِيمِ
مُخْتَبِئاً فِي شَفَةِ الْمَسِيحِ قَبْلَ الصَّلْبِ
إِرْفَعْ يَدَا لَلْمَوْتِ وَأَشْرَعْ رَمْحَكَ الْمُنْسِي
نَحْوَ الْبَابِ
وَاطْعَنْ بِلَا رَحْمَةٍ
لِيَشْرَبَ الْغَبَاؤُ مِنْ عَيُونِكَ الْعَتَمَةَ
وَيُزْهِرَ الْقَرْنَفُلُ الْمُنْفِي فِي الصَّحْرَاءِ
لِتَلْبَسَ الْجَرِيمَةُ السُّودَاءَ
قَمِيصَهَا الْمَفْسُورَ بِالدَّمْعِ
قَمِيصَهَا الْأَبْيَضَ.

٣ - داخل المعبد

على جوادِ جامعِ أشهبِ
مسافراً إلى بلادِ غسّلتِ قصائدي جيئها
أرى هناك معبداً أدخله
أقول: يا مستقبلي كفى كفى
قاتلكَ القديمُ قد مضى إلى منزله
فدغِ رواياتك عن نفسك، دغِ منفاك، دغِ ماضيك، دغِ
روايةَ الشيطان للشيطان
كفى، كفى

هذا زمانُ الوحشِ يعوي في دمِ اللهِ على الجدران.

١ - القضية

مُعلِّقاً عرفْتُ في قضيتي خسارتي وقلت:
ليذهبوا إلى الجحيم، ثم سرْتُ، عدت
أبحثُ عن قضيةٍ أُخرى
تُعِيدُ لي الوَقَارَ في محكمةِ التاريخِ بين الناسِ
ليذهبوا إلى الجحيم، ثم سرْتُ، لذت
بخطوتي،
أسخَّرْتُ من فكاهةِ الشيطانِ
وكان في الوجوهِ بعضُ صمتِ
لأنني حلمت
بأنني اتهمت
بمقتلِ الملكِ
شربتُ في هياكلِ الكهانِ
خمرَهم، صليت
أن
أقتلُ
الملكِ.

٢ - صوت الكورس من العالم الأسفل

لأننا موتى
نُضَلَبُ في تمثالنا العاجزِ
نجوسُ في بيوتنا الأجرُ مبهورين

نقيعُ في العتبة
نهزُ كالكلاب
ذبولنا
لا تقربُ الحاجز
نشملُ من كذبة
تُضيءُ أمجاداً من الأوهامِ في الأسفار
أشكالنا تسبحُ في الفضاء
متحدين في اختلافٍ، إخوةَ أعداء
مختلفين في اتحادٍ - غدنا صحراء
توهمنا بالماء
نسلكُ في القفار
معارضِ السنين
مرتجفين، نحملُ الأسرار
عن كاهلِ الدنيا
لأننا موتى
نخافُ أن نحيا
أكتافنا تنوءُ بالصخرة
وإذ نجوعُ نقضمُ النعناع
مضطهدين دونما أتباع
نُضيءُ بالعبرة
وجوهنا الزرقاء
نُقتل لو نادى على أسمائنا الأحياء.

هاملت
يا خائضاً عبر سواقي الدم
نسأل في صوتٍ من الآلام أن ترحم
جموعنا تبحث في المرأة
عن وجهها القديم
لأننا سفينة أضاعها الساحل
جيوشنا مقهورة
لن تعبّر الظلمة
لتصرع القاتل.

٦ - صوت الممثل

هذا أنا
مغترب في وطني
هذا أنا
حجارة
مستقبلي يرفعه اللصوص والجنود
على الرماح، أشهد الحضارة
تنهض في القيود
وصوت جيلي المستحيل
إذ يعبر الحدود
تعدمه الشرطة بالرصاص
في ساحة التفتيش
هذا أنا

مزقتُ في مستقبلي
 أقتنعة الحاضرِ والماضي، دخلتُ جزراً، بنيتُ آبائي على جثةِ
 أجيالٍ، حملتُ وردةَ الأحزانِ للأسرى
 مرغتُ في معاركِ الطلابِ وجهي، في السجونِ،
 في ندى المنفى وفي الأحلام
 فما ركعتُ، ما اختبأتُ من دمِ النهارِ
 وما انحنيتُ عاري الساقينِ كالصنم
 رقصتُ في الحفلة
 برأسي المزدوجِ الأخضرِ
 ووجهي المصبوغِ بالحناءِ
 لصورةِ العذراءِ
 وهي على الصليبِ في كنيسةِ خافتةِ الأضواءِ
 حدقتُ في شوارعِ النيونِ في بغدادِ
 حدقتُ في السماءِ
 تُمطرُ في جبينِ شهرزادِ
 فما رأيتُ وطني
 أسريتُ في مركبتي
 أبحثُ عن مغارةٍ للطفلِ
 أبحثُ عن ميلادِ
 أبحثُ عن أرضٍ بلا مأساةِ
 فلم أجدُ
 سوى صراخِ هاملتِ العقيمِ في الأمواتِ
 - : أبي، أبي

سأفضح الجريمة السوداء
لكنتي تعبتُ من هاملت
من دوره المجنون
في لعبة الملك
صليتُ أن أكون
لمرة واحدة هاملت
لأقتله
لأسدل الستارَ فوق أمه العاهرة الشمطاء
والشبح المغفل الميِّت في السرير.
هاملت
يا طفلي الذي تحبه السماء
كفى سخافاتِ
فبعد اليوم لن تقتلَ، لن تُنصتَ
إلى أيبك الحاقِدِ السكير
أُسكتُ!

١٩٦٤

المعلقة الثامنة التي لن تعلق أبدا

دمُ الماضي على الأمواج والأشعة البيضاء تنتظرُ
تُمزقُها الرياحُ فلا يبينُ من الشواطئ - يغيبُ المطرُ
معايرها - سوى الأشجارِ في العناتِ تتجِبُ
تُولوُ في السهوبِ الرِيحُ والسحبُ
سوى الأبراجِ تُغلقُ، يحرسُ الخفرُ
قناطرها، ويذبلُ في الدجى القمرُ
فتغربُ المرافئُ، تُطفىءُ الأحزانُ - لا نجمة -
قناديلَ الليالي وهي تنحدرُ
وراء البحرِ والظلمة.

تَعِيننا من نداءِ البحرِ، من راياتنا السوداء في الأفقِ
تَعِيننا من مطافِ شدةِ أعيننا إلى صاريةِ القلبي
فأوغلنا حيارى سائرين وراء قافلةِ تلوحُ على ذرى الماضي
مجللةً بذكرها
تبعناها وفوق رؤوسنا نجمة
تُضيءُ خُطى مواكبنا، خُطى الأجيالِ، عابرةً مدائنَ تجهلُ الرحمة
عرفنا الحبَّ في كلماتِ بخارِ

شربنا من دم الأنهارِ في أشعارِ ثوارِ
دمِ النسرِينِ يزهو غِبْ أمطارِ
عرفنا الموتَ فينا، في مهبِّ الريحِ والناهِ
تراثيلَ نبيِّ تائهٍ عاري
عرفنا أننا الموتى بلا وطنٍ ولا دارِ
بلا نعي كمنجاتٍ ولا أفراحٍ قيثارِ.

تعبنا من تجارِينا ومن مدنٍ بلا ذكرى
حللنا مرةً أخرى
بمعبدينَا القديمِ وبالأسارى، ينزفون أسى
بالتيذِ والنساءِ، أيا سُكارى حزنُهم أبدي
محاجرُهم مجوَّفَةٌ
حيارى، حاملين رمادَ أغنيةٍ عن الدنيا
خلال دمِ الزمانِ نلوذُ بالرؤيا
إذا جُبْنَا الليلي دونما لُقيا
إذا ظمِئَتْ قوافلنا فلا قطرة
إذا سرنا إلى سيزيفَ بالصخرة
فمن يمنحنا السلوى؟
ومن يشهدُ في المرأةِ يوما ساحراً يسمى
ليعبِرَ هذه الأرضَ الخرابَ ويردَمَ الحفرةَ؟

عبرنا قلعةَ التاريخِ لم نحفلُ بألهمّةٍ من الأحجارِ
ولم نحملُ من الأسواقِ تذكارا

فُجِعْنَا، أَطْفَأَ الْبَحْرُ مَا قِينَا
سَقَطْنَا مَرَّةً أُخْرَى
نَوَامِيسُ الْبَدَاوَةِ فِي الصَّحَارَى تُشْعِلُ الْفِكْرَةَ
أَيَا بَدْوِي، يَا بَدْوِي هَا جِئْنَا
إِلَيْكَ بِلَا هِدَايَا دُونَمَا ذَكَرَى
أَتَيْنَا فِي قِصَائِدِنَا حَقِيقَتُنَا
حَمَلْنَا الْحَزْنَ فِي حَدَقَاتِنَا وَالْحَبَّ وَالْخَوْفَا
وَلَدْنَا بِالْخَطِيئَةِ نَجْهَلُ الْعُرْفَا
أَيَا رَبَّ الْعِظَامِ تَوَهَّجَتْ هِينَا غَوَى السَّفَرِ
لِنَلْعَنَ كُلَّ مَاضِينَا
وَنُوغَلَ فِي مَدَى الْبَصْرِ
فَتَحْنَا أَلْفَ مَمْلَكَةٍ وَخُضْنَا أَلْفَ مَعْرَكَةٍ
وَمَا زَلْنَا بِلَا مَجِيدٍ، حَدَاثُنَا بِلَا زَهْرَةٍ
وَجَفَّ الْمَاءُ، لَا قَطْرَةَ
هُوَ الْبَحْرُ مِنَ الصَّحْرَاءِ إِذْ يَأْتِي بِقَافِلَةٍ مِنَ السَّفِينِ
بِكُوكِبَةٍ مِنَ الْفَرَسَانِ، أَضْلَعُهُمْ مَخْشَبَةً، وَأَلْهَمَهُ مِنَ الْوَتَنِ
يُضِيءُ الْقَلْبَ بِالْحَسْرَةِ
فَأَحْلُمُ هُوَ ذَا وَطَنِي.

وَخَيْمِنَا عَلَى الْعُرْفَا، كَانَتْ مَرِيئُ الْعِذْرَاءِ
تُنَاجِي طِفْلَهَا الْمَصْلُوبَ فِي خَزَنِ
تَرشُ جَبِينَهُ الشَّمْعِيَّ بِالصَّلَوَاتِ وَالنَّرْجَسِ
وَأَنْصَتَا

سمعنا صوتها المائي مُختنقاً، بكينا أول الأمر
شربنا من محبته نبذاً فاقع اللون
سألناها: أهذا كل ما في الكأس من خمير؟
فلم تسمع شكاوانا.
لعناها، لعنا طفلها الحالم
ومجدنا يهوذا الأحمق الخائن
وسرنا مثل قافلة من العميان.

رحلنا، إننا الغرباء في التاريخ نمضي مثلما الأشباخ
لعنا عالم الأحياء والموتى وقامرنا على البحر
كسبنا الجولة الأولى، خسرنا زهرة العمر
وواجهنا جبال الثلج والنجمات تحترق
وراء السهل ليلاً يغسل الشفق
مدينتنا،
وأعيننا مع الأيام تنتظر
مواكبنا.

فقدنا روحنا في خيمة الظلمة
عبرنا الموت، لا صوت ولا نعي ولا نامة.

لأنا قد تحدينا قدامتهم
عذاب الحب يُديننا من العالم والمنفى يُعزينا.

بكينا صفق الأعداء

تشابكنا مع الإخوة
لعنا أمنا الصحراء
خدشنا البحرَ في قسوة.
صُلينا دونما تهمة
أيا كلماتنا الصليانَ يا راية
حملناها ندى يزهو وأحزانا
أضيني وجهَ قتلاتنا
أضيني وجهنا الآخر.

أيا جيلي، أيا جيلي
مسيح مات في المنفى شهيداً دون ترتيلٍ
مسيح آخر آتٍ فمن يحميه يا جيلي؟

١٩٦٤

إنني أوْمَنُ بالريح

كإلهٍ بدوي في الصحارى يتغرَّبُ
هدت للمنفى من المنفى، عذاباتُ الليالي في دموعي
العنُّ الحاضرَ في الماضي وأجتازُ جنوبي
أنهاوى فوق برجِ الليلِ، ما زالت عيوني
ترقُبُ

مركباتِ الفتحِ في الزحفِ، طوابيرُ الصعاليكِ العرايا
تحدى كلُّ ما جاء به التاريخُ، تُضَلِّبُ
نعيرُ الليلَ لتنسى وجهَ ماضيها المضيبِ
ظُلْمها المغيَّبُ في كلِّ العرايا يتعذبُ
لجُ الآفاقِ، أسري في المفازاتِ، مماتي
كان بدءاً لحياتي

ابتدائي كان ميراثَ انتهائي
بافتحج أبوابك السبعة، قد جاء المجانينُ السكارى
أ مدينة

حللت بالصمتِ عينيها وأغفت في أغانيها الحزينة
تعزى وهي تستقبلُ آلافَ الأسارى
تخفى في مراثيها اللعينة

تتوارى في حياءِ.

بعضُ صيادين في الشاطئِ كنا
في شباكِ الليلِ نصطادُ السمكُ
ونُعاني وحشةَ الأيامِ، نقتاتُ المرارةَ
غير أنا قد غرقنا
جرفَ الموجُ مُنانا فهويتنا في البركُ
وحملنا إنتصاراً كان مُراً كالخسارة
فضحكنا وخجلنا.

هتَفَ الشاعرُ: دونكيشوتُ خذني
فأنا صانعُ ثوراتِ، حصاني في البراري ليس يتعبُ
جُبِثُ كل الكونِ كي أبلغ نفسي
وتصعلكتُ على قيثارتِي في كل لحنِ
إيه، دونكيشوتُ خذني.
فأجابَ الفارسُ المهزورُ: كلا أيها الوجهُ المضئِبُ
فأنا أؤمنُ بالريحِ، وفي الريحِ سأذهبُ.

بعدهما خضتُ نهارَ الموتِ أعمى
أتخفى بإهابِ الفأرِ والوجهُ مدمى
سرتُ في ظلمةِ أيامي ألومُ
إنتظاري وضياعي في دُجى الصحراءِ، لا أخجلُ إسما
هزني صوتُ مصيري
مالئاً نفسيَ وهما

إنها الصحراء تمتد، فهل تَطْمَحُ أن تمتلك الصحراء يوماً؟

عندما أبدأ بالمأساة أجتزُّ العُقْمَ
باعتاً كالظِّلِّ، أشتاقُ إلى ميلادِ أجيالٍ جديدةٍ
سالكاً في الريحِ دربي، في الحُلْمِ
خالصاً أزمنةَ الموتى البعيدة
تلقي الظلمة والنورَ على وجهي فأغفو
كلُّ ما عشتُه شكُّ، كلُّ ما قلتهُ إفاكٌ يرتطم
في ضلوعي. ليس غير الموتِ يحبو والألم
من أكيدٍ في حياة المتهم.

أبها الجيلُ الذي عشتُ مصيره
أبها الجيلُ الذي يطفحُ حيرة
أبها الجيلُ الذي يحملُ صلبانَ الحضارة
أبها الجيلُ الذي أعطى نهاره
في دمِ الله لمنفى الكلمات
هب حكايانا نشيدَ الأغنيات
وارتعاشاتِ نبيٍّ في الجحيم
هب أغانينا طريقاً للنهار
بمنحِ الوجهِ القديم
ظلُّ معنى
يهدمُ المنفى ويجتازُ الحصار
أبها الجيلُ الذي عشتُ مصيره.

دائرة العقرب

أقنعة البوذي

وجهُ البوذي أمامي، محترقاً بالنار
يتعينُ في لحظةِ أزمةٍ
بين الفاعلِ والفعلِ.

إن كان الليلُ بلا ساحلٍ
والحبُّ صديقا متروكا في منفى
فلنركعُ للزمنِ السائحِ فوق الأزمان
حيث الماضي والحاضر يرتجفان
في بيتِ المستقبلِ
والعالمُ مأخوذاً يتصيدُ أحلاماً مقتولة
في ذاكرةِ النسيانِ.

إن كان على الشعرِ الملتهبِ الصوت
أن يسكتَ في سوقِ الصفارينِ
فمعنى المعنى
ألا يوجد.
نافذةُ الغرفةِ تفتحُها الريحُ أخيراً

أُتسللُ بين الأوجه، أبحثُ عن رجلٍ
راهنَ في معركةِ الصمتِ على رأسي
مزقَ أقمعةِ الأجيال
في وجهي
سازَ ولم يتركِ عنوانه.

في شفةِ العاشقِ أغنيةٌ تعبى
تحدثُ عن موتِ نبي في السجن.

الليلُ العائدُ من حفلةِ رقص
يسمعُ موسيقى حورياتِ البحر
شبحٌ يبحثُ عن قنينةِ خمر
في الحانةِ بين الأشباح.

في زوبعةِ الأصواتِ الفضية
تحدثُ عن تكعيبِ الشعر.

طرقاتُ في الباب، وفي النافذةِ امرأةُ الحداد
تتنصتُ باسترخاء
لهومِ الشاعرِ والقراء
الجلادُ الجلادُ الجلاد
زمنٌ موصومٌ باللعنة
في جبهةِ قديسٍ مرتد

هذي الحكمة كانت في سوقك يا بغداد
لكنني لم أسأل عنها.

في ٢٠٠٠/٧/٦
سأجللُ تاريخي بالكلمات
ليكفُ العالمُ عن تعليقِ الأموات
في أزمنةِ الأحياء.
من يُقنعني اللحظةُ أن أصمت؟
أن أشتقَ هذا الصوت؟
أن أ حذفَ هذا التاريخ المفروض؟
لا شيءٌ يجيءُ سوى الموت
سأغامرُ بالدنيا لو صفقة
تمسحُ عن أهدايي هذي الدمعة.

في ٢٠٠٠/٧/٦
سيكون لنا ما نتركه للأحفاد
فافترسوا أحجية العالمِ
يا شعراء اللعنة
فالحكمةُ عرت في سوقِ النخاسين
جلدُ التنين
واشتاقَ الملحُدُ للجنة.

في هذا اليومِ: السبت

في هذا الشهرِ الدافئ: آذار
في هذا العام: الخامس بعد الستين
في هذي الغرقة من بيت مُغلق
في هذا الشارع في البتاوين
الموقف:
أن أنهي هذا المقطع
أن أفتعل الصمت.

١٩٦٥

الغد وحده لا يموت

واقفاً في مدينٍ دون قلاع
تتلوى في الهواء
يحتفي بي الرجل الجالس في مقهى الطريق
ضاحكا يقذفُ بي في بئرٍ تيارِ الحياة
كاميرٍ يستعيدُ الذكريات
حيث لا شيء سوى جسرٍ إلى الماضي المسحوق
ورنيٍ يسقطُ من نافذةٍ ما
في خليجٍ صاخبٍ بالفجرِ والعشبِ وغاباتِ الخزامى.

نحن لم نأمل هنا شيئاً ولن نأمل شيئاً
من طواحينٍ تدور
منذ آلافِ العصور
كلُّ شيء ضاعَ والنجمُ الوحيد
لم يكن وعداً جديداً
فطيرُ البحرِ تبني عشها في الريحِ
والأيامُ في الوحدةِ ترنو
نحو أيام بلا معنى تُعيد
صورةَ الوحشِ القديمِ

يحكمُ اللصُّ أئينا بالحديد
لم يكن موتاً جديداً
أن يضيعَ الناسُ في ساحاتِ وهران الكثيرة
أن يضيعوا عبر طيبة
أن يموتَ البحرُ صلباً
أن يكونَ الليلُ دربا.
إنه يحترقُ الليلةَ في صوتِ قديم لا يغيب
حاملاً في طبقِ الموتِ صباحاً رأسَ يوحنا المُدتمى
والصليب
لم يزلْ كلُّ مساءً
يختفي خلفه آلافُ الضحايا الأبرياء
أيها الموتُ الذي يعرفني: أين الضحايا الأبرياء؟
سقطَ التاريخُ في الصحراءِ، صارت لغةُ العشقِ هباءً.

أيها الماضي تسربلتَ بلبغزِ الموتِ، كافحتَ وهادنتَ تقدّم
إنه الحاضرُ يحلّمُ
أيها السرُّ الذي أغلقَ قلبي
أنا أدري، أنا أدري
لم يزلْ نيرون يمشي بين شعبي
لم تزلْ أقدامُ سيزيف الجديد
تتلوى
لم تزلْ صخرتهُ تردي رفاقي
لم تزلْ تسقطُ في بئرِ العراقِ
لم يزلْ نيرون يسعى نحو قتلي

٥ احتفالٍ وثني
الم أكرة زماني
الم أشرب لساني
ير أن الناس لا تحيا بلا دمعٍ بعصري
دماء الله تجري
٥ احتفالٍ وثني.

ثياً في هجرتي الموجة تأتي من دم الليل القديم
خل الحفلة أو أجدش أعماق البحار
أصبح:

و ذا الماضي يموت
بر جلد الفأر في صحراء ربح
و ذا الماضي يموت
على الماء يد تكتب أسماء الطيور.
رجة تأتي -
الموجة والبحر، سلاماً أيها البحرُ تقدم
أجرف القلب الجريح
فازات العصور.

كذا
فيل هذا العالم الوحشي في لحظة حزين
كذا
مقط سيف الحب في قلب المغني.

١٩٦١

المعلم الدموي

١ - السائح

سائحاً أعبّر وديانَ الزمان
فأرى العالم في الموتِ يُدان
أيها الناقدُ إسقرع -
ها أنا القادِمُ لا تاريخَ لي
من لا زمانٍ أو مكانٍ
لغتي مبهمةٌ، أنبيءُ أن الإختيار
ليس سهلاً.

٢ - أنت أيها الرجل أنت

أنا الذي ولدتُ في المغارة
جئتُ الى العالم
جئتُ بلا صورة
صنعتُ أسطورة
أرصدُ بين لحظةٍ ولحظة
أفعالي المهادنة

في مدن اللصوص والقراصنة.

مواجهاً سواحل الحقيقة
أضياءً للشعب الذي يقتلني طريقه.

٢ - الضحية

للذي يعبرُ هذا الدرب وحشاً
موغلاً في الدم بين العرق والجلد النباتي
أيها المشترك الليلي في كل حياتي
أنا أعطي للضحية
موتها النازف حتى ينتهي الموت
على وجه الضحية.

١ - الرجل

ها هي الرياح في الجمجمة
تبرق الرياح في الجمجمة
ها هو الموت عند الرجل
ينتهي الموت عند الرجل.
عادةً يتأمرُ هذا الرجل
ثم يدخلُ قبلي المدينة.

٥ - الأكلة والصورة

الرجلُ الباحثُ عن نفسه
في صورة الآلهة

قد عشقَ الآلهة
ونسِيَ الصورة.

٦ - الغرفة

قفل الغرفة جسر للصوص ينتظرون
والظلمة حياةً نسكنها بالمقلوب
إذ لا أحد منا يعرف ما السر.
لكنني أكشفُ أحياناً أوراقِي
وكبري في ليلِ الإنسانِ أمر.

١٩٦٦

مرارات

غربة يوليسيس

البحرُ كقلبِ الناسِ حزينٌ، والأمواج
تنأى، وسفيتهم دون ظلال
تنكسرُ والريأُن تشد يداه حبالَ الليل
حيث الأمواجُ تمر وتعقبها الظلمة
وسفيتهم تنأى، تنأى، والآمالُ تموت
والحورياتُ من القممِ الزرقاء
بلمهين الذكرى:
ها ضائعٌ لا تنسِ الحب، فزوجتك السمراء
ما زالت تجلسُ في العتمة
تحلمُ في وحدتها بالعطرِ العابقِ، يأتيها منك وأنت وحيد
تفضمُ أغصانَ الصبيرِ ويؤلمك النسيان
ما زالت تغزلُ والجيران
ما زالوا تخذعهم بسمة
من ثغرِ بنيلوب الحالم.

فمرُّ الأفراحِ، رسولُ الوحدةِ يخبو دون ضياء
والقمحُ الأصفرُ في البيداء

يتحرقُ حزناً للمجهولِ القادم
 لك، للبحارة في الليلِ يغنون الصحراء
 والبحرُ لهيبٌ،
 سجنٌ،
 قلعةُ إعدام
 لا يُطفىءُ أعينكم، لا يُفرِّقكم، لكن ينساكم
 والجرحُ الدامي يقطرُ ذكري
 حيث السنبلةُ الخضراءُ تؤاخيها زهرة.
 يا زوجته هو يُحزنه أن تنسي حتى ذكره.
 يا حاملَ حزينِ القلبِ من الوطنِ المجهول
 البحرُ بلا أفقٍ،
 لكن سواحله ملأى باللؤلؤ والأشجار
 لكن غصونه تُعتمُّ بالأسرار
 وشراعك دغه يرف في الليلِ على بطلٍ مقتول
 عبرَ القاراتِ وحيداً،
 يحملُ فانوساً لم تُطفئهُ الريح
 في القلبِ مُضاءً، والقلبُ يصبح
 في الظلمةِ، في وطنٍ لا يملكه إنسان
 يرحلُ، تُشعلهُ الأحزان
 ينهضُ، تشربهُ النيران
 والدمعةُ في عينه عقيق
 لا زوجةً تبكيه الليلة
 ونداءُ يُسمعُ ثم يغيب

بأتي من أقصى الساحل، حيث الحوريات يُغنين العودة
والقلب حزين لن ينسى وعده:
عودوا فسفائثكم لن تُنقذكم

عودوا

فالعاشق تُفرحه نظرة

عودوا

أنا بينلوب الأفراح

قلبي قمرٌ يندى في غصنٍ صباح

القرية ما زالت موحشةً تغفو

لن تنسى من زرعوها في ماضيها زهرة

لن تنسى من ذاقوا من نخليها تمر

القرية ما زالت في الحقل تغني

إن مرت ريحٌ أو نسمة.

البحرُ بلا أفقٍ والغربة دارٌ ضياع

والأمواجُ الزرقاء تمزقُ في الريحِ شراعاً بعد شراع

ومسيحٌ يُصلبُ دون صليب

في القرية يصعدُ آلامُ الفقراء

والصخرةُ تبعه والأحقاد

نملاً قلبَ الإنسان

وسفينة تنأى في بحرٍ يُشعله البرقُ

ورياحٌ ما هدأت أبداً، ووجوهٌ ما عرفت رباً تشكو

ومن النجمة

بأيهم ضوءٌ تُرجفه الظلمة

من يُقذهم؟ من يُنهضهم؟
 هل يُدرِكهم ربُّ لا يأكله القلوق؟
 الغربةُ دون نخيل
 والقلبُ كليل
 يا قلبُ تفتَحْ، فالأعوامُ كحلِمِ الصيفِ تضيح
 لن تُشرقَ في هذا المنفى شمسُ ربيع
 البحرُ بلا أفقٍ، وإلهُ تصلُّبه الغربةُ
 هو ما وفى للحبِّ، ولكن لم يهجز حبهُ
 ما زالت زوجته تجلسُ في العتمة
 تذكره في ليل المنسين
 وهو المطعونُ بلا جرحٍ يُقدي قاتله المجهول
 والأعينُ ترتقبُ
 فيضيءُ البرقُ الخافتُ شيئاً
 يُخفيه السعفُ التعبُ
 حتى ليكاد... ولكن يلتهبُ.
 البحرُ يضح بعواصفه في أفق ينأى أبداً
 وسفيثهم
 تغرقُ
 تفر
 تغ
 ز

٤ - ٥ نيسان ١٩٦٠

المهراج والراقصة

الخمرة في الأقداح

وهو يغني لهب الغابات

في عينيها

- : يا راقصة الحانة

أنتِ الخطوة في ليل الأعمى

أنتِ الخطوة

أنتِ الـ

أعمى.

- : لا تسألني فأنا أعشق كل الناس

لكن العاشق قديس نادر.

المسرحُ تلهبه الرقصة

والدمعة تُطفأ في قصة

برويها سكير عاشق

يشدو يشدو
والنجمَةُ تخبو
شيئاً
شيئاً.

١٩٦١

روميو العجوز في الشرفة

يا لهبة الستين لو
أني بكيت ضياعي الليلي
من يُسقي دموعي
من يُلهم الموت الحياة؟
ومن يصدقني إذا قلتُ:

الزهور

تنمو وتضحك في ضفافي؟
إني نبي الشوق؛ هذا إعرافي
وليسخر الشبان مني.

- : روميو بلا جوليت، يا جوليتُ حني
يا رب ألهمها فأنت الشمسُ في ليل المسنُ
متقاعدٌ لا يتَمَنُ الشطرنج
يقضي الليلُ يُقسَمُ بالنجوم
لكن نجمَ الليلِ آفل.

١٩٦١

طيور في معطف الليل

«شذرات»

١

في شارعِ السعدون
يسقطُ
وجهُ الصنمِ البارد
يرشقه الصغارُ
بالحجارة.

٢

مُسافراً
أضحكُ في قصائدي الغربية
وبالسياطِ
أجلدُ الحقائق
مُتعللاً
أفراسي الكثيرة
في لهبِ الحرائق.

فردّ هو الشاعر
يرقصُ كالمهرج
في حفلة الخليفة.

في شارع الملوك
يبعُ صياداً من العمارة
أسمائه الميتة.

في الليلِ إذ تلتهمُ الكآبة
سعادة الأحياء
يستذكّرُ الأمواتُ في القبور
من كثرة الملل
أيامهم في حفلة الأجيال
حيث تمرُّ الدهور
صاخبة
وليس من أمل.

مهرجو الحفلة
يزوبعون لعبةً أخرى
في أذنِ الحاضر

يخنخنُ الماضي
قصيدةً مرة
عن ولدِ العاقر.

٧

المُحُ بين نخلةٍ ونخلة
ولادةِ العالم.

٨

لأنني أنثرُ أشعاري في الروابي
أحلُمُ بالأطفالِ والبراءة
تقتلني الجرائمُ المضاءة
في جزر الكلابِ.

٩

ملكٌ إنني، ولكنني بلا حاشيةٍ تدفعُ عني
قلقَ النزحِ الأخيرِ.

١٠

في عام ٤٠
ولدتُ، والحربُ تهزُّ العالمَ الجريح
ولدتُ تحت ليلِ آسيا،
رأيتُ آسيا
قصيدةً من طين

زاولت مهنة السفار في السنين
عبرت أنهارا
صُلبت في أقيبة الحنين
سجنت مرتين
شُردت ألف مرة ومرة
لكنتي
ما زلت في مقهى جنوية
أكتب للعراق
قصائدي الأخيرة.

١١

الجندي يدافع عن أرضه
والشاعر عن حرفه
والنائر عن شعبه
والكلب عن الكلبة
وأنا أصلب في الحلبة
أمنحهم حبي.

١٢

الرجل الطرطور
ذو الشارب المستطيل
واللحية الكثة
يحلّم بالجر وبالمجرور
ومقدم المستحيل.

عندما يسقط ظلُّ القافلة
 فوق منفى المدنِ المغتربةِ
 وتخبُّ الفرسُ البيضاءُ في جوفِ الصحارى
 يمنحُ البحرُ المدمى ساحلهُ
 كلُّ ما غتته من أجلِ السكارى
 شهرزادُ الحلوةُ المكتبةِ.

مات الملك
 عليه من أجيالنا
 اللعنة
 عاش الملك
 له الحياةُ والخلودُ والعلی
 والأرضُ والجنةُ.

عبر الأغصانِ الخضراءِ
 مرت ساعاتُ والفرسُ السوداءُ
 تعدو نحو القريةِ
 في الأعينِ ترتعشُ الفرحةُ
 العاشقُ مجروحٌ، لكن الأعداءِ
 عادوا، والعاشقةُ السمراءُ

المنديل الأصفر قد شدت جرحه.

ا فرساً ما بلغت أهلي

ا عاشقاً لم يعرف الفرحة

بني الهوى لمحمة

ليقطعوا ظلي

فرساً ما بلغت أهلي.

ملّوا من أجلي يا فرسان الحانة

ملّوا فدمي أطفأ ألوانه

لد في الليل نيتاً

حمل في عينيه زمانه

صباحاً أضلّب صعلوكاً

مب في البحث حصانه.

ني أكتب للغربة في أعينكم

فغ حزني

شراع، فانصتوا للبحر، للصوت المغني

جموح الفرس الخضراء في بركة ماء

ني أكتب شعري

رى في جسد الأرض السماء

فاسمعوا صوتي لأجلِ البحرِ ها أني أغني.

١٩

آن لوجهِ الشاعرِ المضحكِ أن يصمت
في زحمةِ الحروف.

١٩٦٥ - ١٩٦١

الأسفار

١٩٧٠ - ١٩٧١

نزهة المحارب

في البدء سمعتُ صريرَ المفتاح
يفتحُ في ليلٍ أفتالَ حياتي
لفخرجتُ إلى العالمِ من ثقبِ في جبلِ الريح
أسرجتُ مشاعلَ أيامي، لكن الأعرابَ الفقراء
ملاوا قلبي
فوقفتُ هنالك أنظرُ في أبناءِ الإنسان
يعدون كأيامِ الموتى
فوق خليجِ الشيطان.

مصلوباً في هذا الليلِ تهبُّ الريحُ من العالمِ، تعبرُ أصواتَ الأجيالِ
لتدخلَ في جيلي، إذ أخطرُ في الوادي، أنظرُ في تاريخِ الإنسان.
هنا علمني الحبُّ الصرخةَ في هذا العصر. هنا الموجة تهبطُ فوق
سخورٍ يغسلها زبدُ البحر. هنا علمني الحبُّ الغربةَ، علمني أن
امسكُ كف اللهِ وأمشي بين مفازاتِ العشاقِ، تُضيءُ سواحلَ قلبي

أجنحة تخفقُ بين الأشجار: تقدّم يا بحرُ الي، تقدّم في فرح
 الزهرة، في أحزانِ الفاتحِ بين المدنِ المقهورةِ واجعلني ملائكة
 للصحراءِ، أميراً مجتمعاً في زاويةٍ من عصرٍ يطردُ أمثالي.
 أو، كيف يكونُ الصلحُ مع الشيطانِ إذ النفسُ تغني اللّه؟ فقل لي يا
 بحرُ لمن أكشفُ وجهي؟ كيف أغني أو أنفخُ في أبوابِ العالمِ ما
 دام الحبُّ أسيراً في المنفى، ما دام السيفُ على عنقي؟
 أو، ها أنذا أسمعُ أجراساً وأقولُ:
 لتمطرُ أحجاراً هذي الغيمة
 ولينهضُ أبناءُ الثورةِ كالأفعى
 في هذا الليلِ الواقفِ في النار.

٢

إنني أدخلُ العالمَ الوثنيَ الجديد
 من ممري الدموعِ القديم
 من غبارِ الغزاةِ الأخيرين فوق الفرات
 يدخلون قبابَ العصور
 مانحين قصائدهم للصحاري
 ناثرين الهمومَ المضيفةَ فوق السهوب.

ودخلنا الجزيرةَ من بابها الأزلي
 مقبلين إلى واحةٍ بين نهرٍ وسهلٍ
 حيث يسقطُ ثلجُ الشتاءِ على قبعاتِ الجنود
 وجيوشِ المغولِ تطاردُنا والمجوس

ممتلين ظهورَ الخيولِ، معلقةً يدهم بالرماح
من منفى ومنفى تمزقنا الذكريات.

دل أرضٍ حصارًا، أضعنا الطريقَ، وقفنا حيارى عند بابِ الملوك
وعلى الماءِ سرنا تعذبنا صرخةُ الميتين:
علمونا الجلوسَ على العشبِ، نحن الخطاة
بهدهوٍ وصمتٍ
علموا شعبنا كيف متنا وصرنا حياةً جديدةً.

وقفَ السيفُ في عنقِ البحرِ، صار الطريقُ وراء القوافلِ، حيث
النساءُ يلاحقنا بالحجارة
طالباتٍ من البحرِ ألا يغيبَ على هضباتِ الليالي
ها هو العربيُّ القديمُ يحييُّ لنا من الزمنِ المتكومِ فوق الرمالِ
حاملًا معه الربَّ في هودجِ الذاكرة
معطياً مقلتيه إلى الكبرياءِ
رحلةً في السلامِ
الى جسدِ العنكبوتِ.

لافتحى البابَ يا أرضُ، إن دموعَ الجزيرة
فسلت جبهتي
إفتحى البابَ، حيث الحضارةُ تلبسُ جلدَ الطيورِ
إفتحى البابَ كي نعبّرَ الوطنَ الذي نام فيه الإلهُ،

وفيه رأيتُ حياتي تستقيمُ على خشبِ عائمٍ في مياهِ الحروبِ
إخلمي ثوبك القرشي، فللدائراتِ شجى قبلي
للورودِ أصابعُ تفتحُ عشقك قبل الطفولة
فأنا معك اليوم أجلسُ عند الحديقة، أسقطُ عن وجهك الزمير،
قناع الكهولة
لثقبُ جيني الزنابق ولتترب من هتافي الغيومُ
فأنا العربيُّ الذي قتلوه هنالك بين الصخورِ
دفنوه أمام الجماهيرِ في الناصرة
علقوا ثوبه الدمويُّ على سعفاتِ النخيلِ
مات تحت حذاء الخيولِ
بين جيلٍ وجيلٍ.

مطرٌ يغسلُ التراب، والعصافيرُ تجتازُ ضفةَ الأبدية
عند ليلٍ يزورُ بيتَ الحضاراتِ، طائراً في طريقِ البشرية.

٥

واقتربنا من السادة الواقفين على ظلماتِ العصورِ
داخلين احتفال الصعاليك بين الخيام
حيث شد المهرجُ جبلاً يسيرُ عليه
ومن الشرفة التاسعة
عرفتنا الأميرة، قالت لسيافها: هات لي بالغريب!
صعدتُ إليها، إلى البرج في القلعة السابعة
جعلتني أميراً أنا البائس الهزلي

جعلتني فقيراً أنا الملك العربي
فعلقت جسدي. ورايتُ المهرجَ يهوي ويغرقُ في دمه الجاهلي،
هبطتُ اليه، وقفْتُ قليلاً وقلتُ:
إيه طيري المحاربَ بين الصقورِ، لماذا اختبأتُ من الوحشِ بين
الحقولِ؟

ولماذا تخافُ الصعودَ إلى القارةِ المقبلة؟
ولماذا أراك هنا مثقلاً بالدماءِ أمام الشعوبِ السعيدة؟
لسمعتُ القتيلَ يقولُ:

ما شيئاً في الزمانِ صُلِبْتُ وفي كل مرة
كنتُ أقتلُ أبعثُ حياً وأُدفنُ ثم أقومُ
من دمي صارت الأرضُ زهرة
والنهارُ طريقي.

لجأة سقطَ الرأسُ مني وصارَ الغريبُ أنا
فكسرتُ مرايا الزمانِ
ونواميسه القديمة.

وارتحلْتُ مع القافلة
نحو منفى جديد.

لتكنْ لغتي رحلةَ القادمين من الأزمنة
فأنا العربيُّ المشيدُ من حجرٍ غامضٍ في القفار
زمرَّة الطيرِ تأكلُ من حدقاتِ عيوني

والغزاة ينامون في غرفتي
في خيول المغول تدوس على لغتي
تشرّب الماء من بئر زمزم
تسرق الحجر الأسود العربي
من فم الكعبة الحزينة
لتكن كلماتي طريقاً إليكم، وأنتم تريدون قلتي
تقطفون زهور الحدائق، تعتمرون رؤوس الخيول
فأنا رجل رُفعت حجب الغد عن صوته البربري
عن دم الجيل يسحقه القاتلون
بحداء الجنود يعودون من ثكنات الحروب
ذاهبين إلى أي مبنى قريب
ليغنوا السلام الذي لا يجيء.

٧

ناهضاً في العصور شهدت الجلاوزة الواقفين على قبر جدي
يدوسون صوتي، يمدون كفاً من الخشب الفارسي إليه، يقيسون
أبازه المظلمة
ورأيت الطيور على باب مكة تشرّب من جرجه الوثني.
أه، يا صوتي الوثني انتشر في الليالي الحزينة
إنتشر بين جيل وجيل
إنتشر في الصحارى
إنتشر في البحار
وانتشر في السهول
فالطريق طويلة.

عبرنا الطريقَ إلى الجاهليةِ
يث مدت إلينا السهوبَ الجميلة
حةَ العشبِ في واحةٍ يستظلُّ بها الهاربون
جدنا الجنودَ يبيعون أرقامهم لليهود
أينا امرأ القيسِ يبكي وحيداً، صرختُ وحيداً:

رجتُ من الأيامِ بيني وبينها
سبقتُ إلى المجهولِ يعبرُ ممطرا
جبتُ الصحارى بالدموعِ تخضبتُ
يث ملوكِ الفجرِ أصبحَ مقفرا
لى صاحبي لما رأى الدربَ دونه
يقنُ أنا لاحقان بقيصرا
لثُ له: لا تبكِ عينك إنما
ناولُ مُلكا أو نموتُ فنعدرا

زمانُ الدموعِ تعال معي نعبّر العالمَ المتفوسَ بين الظلالِ
برين المحيطاتِ في زمهريرِ الشتاء
كون لنا مدناً في الهواء
وإثيقُ عهدٍ جديد.

، الطريقِ الذي سار فيه المسيحُ رأيتُ صليبي
كأثُ عليه، حملتهُ بين العصورِ اليكم،

وها أنذا الآن أصعده لتكونوا شهودي الأخيرين ساعة صليبي
الأخيرة.

وسمعتُ المنادي يصيحُ:

يا سكانَ الأرضِ تعالوا، في هذي البقعة تُعقدُ حفلةً صلب

فلتأتوا من أوروبا، من قبرص واليونان

من يثرب، من سومطرة

من بابل والقفقاس

من هضباتِ العجمِ السوداء

وبلاذِ الكرد

من مصر وبادية الشام

فلتأتوا!

فلتأتوا!

ومع الصبحِ ضجتِ ميادينُ قصري من القادمين إلى مهرجاني

فعدوتُ إلى حقلِ قمحٍ وخبأتُ نفسي، ومرر من القلعةِ الحرسُ

الفقراء

بهدوءٍ إلى الساحةِ المعتمة

وأقاموا صليبي

وهناك رأيتُ الجنود

يسفكون دَمَ الزهرةِ الخائفة

فنهضتُ، صرختُ: كفى، غير أن الجنودَ رموني بعيداً ومضوا

فبقيتُ وحيداً مع الزهرةِ الخائفة

وحلمتُ بأنني أنا الزهرةُ الخائفة.

وقبل هبوط الليل في الأشجارِ
 قبل أن يشهد الشعبُ صليبي
 وتنطفئ الشمسُ خلف الأسوارِ
 زرتُ غار حراءِ وكلمتُ ماضي النبي الذي تُضيءُ صوته الأحلامُ
 فرأيتُ النورَ يُفرقُ صفحة الآتِيَن من غابة الرمالِ
 إذ تغيبُ النجومُ على غصونِ الليالي
 جاءني النبيُّ الأخيرُ وعانقني لنظِّل صديقين نقرأ باسمِ الجزيرة
 كتابَ السلامِ
 ذهبْتُ إليه، هربنا من الملحدين وراء ارتجافِ الرياحِ
 قاصدين المدينة.

إكتشفنا الطريقَ، إكتشفناه في ليلةِ المعراجِ
 ووقفتُ هناك أقولُ: الحقيقةُ بيثُ الرياحِ
 والمسافةُ ملغومةٌ بالخطى والقناديلُ على الأبراجِ
 أطفئتُ، أين شمسُ الصباحِ؟
 فأنا السرُّ بين الرمالِ
 وأنا وطنٌ سابحٌ في الدموعِ
 أين ظلُّ النبي المحاصرِ يخطو هنالك عبر الدروبِ القصية
 خطوةً
 في غيابِ الحضورِ
 خطوةً
 في اختلاطِ العصورِ
 خطوةً

في دم الأبدية؟

دفتُ السيفَ في قلبك يا بغداد، أشعلتُ دمي حلماً
عبرتُ البحرَ والأمواجَ في تاريخك المكتوبِ بالفقراءِ والثورةِ
بماءِ العقلِ والكبريتِ والحلاجِ والفوضى،
صرختُ افتحْ لي البابَ الذي أوصده المشنوقُ يا جلاذَ هذا العالمِ
المشبوح!

رأيتُ الموت. أدهشني مضيئُ الموتِ في العالمِ
إذ يجلسُ شعبٌ دون تاريخِ أمامِ عواصمِ الأمراءِ
رأيتُ حضارةَ الموتى بلا دُفانِ
سمعتُ خُطى تجوسُ رمالَ صحرائي
نهضتُ أمامِ آبائي
مليئاً بالأساطيرِ
ورعبِ الغربةِ الأولى.

عبرتُ من سهلٍ إلى ربوةِ
رأيتُ حراساً بلا أسماءِ
أوقفتُ أحلامي، هبطتُ في طريقِ العشبِ
واقتربتُ من خيمتهم
رأيتُ أن أكون قديساً - عبوراً نحو رأسِ الليلِ
كالرسمِ على الأسودِ
قصائدٍ للجنسِ في مرعى الطيورِ

إذ فمّ الوحشِ على فمِ العروسِ.
مشهدٌ مجنون.

أين أنا؟

هتفتُ: هذا العالمُ المقلوبُ ليس وطني

الحبُّ متقوِّعٌ بحزنِ الزهرةِ الفاتح

والعربيُّ غرقةً أغلقها الفاتح

مليونَ عامٍ؛ تاركاً أفكاره في سفلسِ الأطفال

يختبئون تحت ظلِّ صخرةٍ إذ تهبطُ الشمسُ على الجبال

وتذهبُ الفصولُ للصحراء

في نزهةٍ جديدة.

أمسكني الحراسُ في مملكةِ الموتى أمام هوةٍ مضيئةٍ

في شجرِ الغياب

سرنا معا نحو قرى تُدخِنُ الأعشاب

جردني الخوفُ من الصراخِ، أغلقتُ فمي

سمعتُ أصواتاً من الأجيال

تصبحُ بي:

أجنحةً أخرى بلا خفاش

أجنحةً أخرى بلا عصفور

بكيثُ، قلتُ: كل ما أراه في زمانكم

حماقةٌ سوداء.

وبعد أن أهانني الحراس

وسرقوا لساني

عدتُ إليكم ماشياً، مفرغاً من صورتي

كالغول، لا شكلٌ ومخلوقٌ من العصورِ لم يولّد ولم يلد
سوى نفسه، مفصولٌ إلى عشرة أجزاءٍ بلا أسماء
آتٍ من الخارجِ للدخولِ، مسنودٌ إلى الفكرة، مفعولٌ بلا فاعل
فلتخلقوا أبوابكم دوني أنا القاتل
فلتخلقوا أبوابكم يا سادة العصور.

١٢

في هذا العصرِ الساقطِ من أعلى مبنى في العالم
فوق هموم المنسيين انسبنا عبر خلايا الثورة نحو الريف
وعبرنا الأهواز، بنادقنا فوق الأكتاف
والبرديُّ يغطي الجزرَ البيضاء
ليكون لنا وطنٌ لا يجلسُ في مقهى
ويدخنُ نرجيلة.
بين الأشجارِ رأيتُ قتيلاً ينثرُ أسماكاً مقتولة
ومدائحَ للطلابِ المحمولين على سياراتِ الإسعاف
وجرائمَ مجهولة.
في الصيفِ دخلنا طنجة
بين صفوفِ المقهورين
مختارين رداءَ الغربية عند الحلفاء
نصطادُ الجنرالات الخشيين
نحن المشين على بركة طين
لكن الرياحَ رمتنا خلف الأسوار
فرجعنا أسرى في قافلة الملك المملوك

مشدودين إلى أيامِ الحبِّ
وتاريخِ الحرب.

١٢

من أجلك أيتها الحرية
أكتبُ فوق ذراعي
بدمي أسماءَ رفاقي الشهداء
وعلى خشبِ المدفعِ في الجبهة
أحفرُ أسماءك مبتهجاً
بلغاتِ العالمِ كله.

مجنونٌ أبديُّ أنا، أكتبُ أشعاراً لا تُقرأ أو تُنشرُ ضد عيوني
ضد يدي، ضد جموعِ الجلادين
ضد الشعراءِ المداحين
ضد يهوذا الأسخريوطي
ضد حروبِ الردة
ضد نهارِ العقربِ في دائرةِ النار
أنا مجنونٌ لي رغباتٌ معقولة:
١ - امرأةٌ تسلخُ جلدي في غرفة
٢ - أصنامٌ أهدمها لأكون جديراً بحياتي
٣ - شعبٌ يقرأ أشعاراً في الساحاتِ العامة.

آه، أيتها الحرية، يا جثمانَ أبي

أيتها الزوجة والإبن
أيتها المكتوبة في الماضي والحاضر والمستقبل
أنا شعبك محمولا فوق الأعناق
أيتها الحرية.

١٤

طالماً كالفجر أنظرُ في عواصفِ جسدي الممزق
أجلبُ وطيناً من سوقٍ أخرى.
أية إدارة تحرك منشآت العشاق القائمة في متاحف الأحزاب
المشتراة بالجملة
ربما المجازفة وحدها قادرة على شراء الآمال المؤجلة
حيث تبول السياسة دما، فنحن نقدر مجاعات البحر
ونعطي للمدن المجزأة تعاليم المقاومة وتقويم الأيام.
رصاصاً في كتفي
وأنا مضطجع على العشب
فيما العريف ينادي علي: أضرب وقف!
مفتاح فخري أنا للأفعال
أريد أن أرى وجه الله
بنادق، بنادق، بنادق
إن كنت تحمل بندقية جيدة
صوب إلى الرأس وانتظر
لتبدأ حياتك من جديد.

في طائرة تعبرُ قاراتِ العالم

أنثرُ أشواقي

منشوراتٍ يقرؤها عمالُ النفطِ بكاورباغي

أغسلُ مرآةَ البحر من الضجّةِ في رأسِ الأعمى

أعطي بغدادَ يداً ترفعُ رايةَ

أصدُرُ مرسوماً أقرؤه في ساعةِ حزنٍ

أشهدُ في المرآةِ صقوراً في مصيدةِ الأشباح

وأصابعُ تطفو في أغوارِ فضاءٍ مسروقٍ

داخلِ مبنى وطني.

وا أسفاه، وا أسفاه، لم يعد لعبد الرحمن الداخل

شقيقَ آخرٍ ليقتل، فقد رأيتهم يضربون عنقه ويمضون برأسه

الى السير بيرسي كوكس الجالسِ في شركة شيل

وهو يشنقُ الحاج نجم وكاظم الصّبي في الكوفة

باحتيالٍ جماهيري وقصائدٍ من الشعر العمودي

حيث يغني الشّبانة لحروبِ العمالِ العاطفية

تراتيّلهم المؤجلة.

قبل أن أبلّغَ عامي الخامسَ والعشرين

أمضيتُ ثلاثةَ أعوامٍ في السجن

مسروقاً من حبي ورفاقي في الكلية

ومعي في سردابي الأبدى

كنتُ أرى أشباحاً تتحدثُ عن ماضي الإنسان
كنتُ أرى عارفٍ يقضمُ أسنانَ الشيطان
كنتُ أرى قاسمَ يجلسُ في مقهى
ويدخنُ أحلاماً King Size بالفلتر
كنتُ أرى عبدَ الناصرٍ يخطبُ في الساحات
وأنا بين الفقراء
أخطبُ في ساحةِ سجنِي
عن أيامِ حياتي المكتوبةِ
بالأحزان.

١٧

وكالعادة يدلّفُ من خارجِ القاعةِ عصرٌ رائعٌ
داخلِ شاحنةٍ مليئةٍ بأطلسِ الشياطين.
من الذي ينظرُ إلى العماراتِ وهي بردائها الجامعي
تتزوجُ من حضارةِ الحيوان؟
أنا أعرفُ، ولكن هذا ليس مهماً.

ما يهمُ حقاً ونحنُ نقترّبُ من حافةِ السكين أن نخترعَ للجزيءِ
أسماءً تكونُ أصابع. إنني رجلٌ مهمومٌ، قابلٌ للقتلِ وإلقاءِ
الخطبِ، بينما لم يكن أمامِ حواءِ سوى احتمالٍ واحدٍ: أن تحب
أدم فقط. لو لم تكن للمعرفةِ خراطيمٌ لنا ديت: آه، أنتِ يا
روزاليندا، تعالي الي من الفن العظيم الذي يُكتبُ اليوم معكوساً،
من القصائدِ التي تُستعملُ مناقشَ للصوحِ الصحراءِ! آه، لنُدعِ
العالمَ يطرد كوابيسه، أما نحنُ فنسعمدُ بفعلِ رائحةِ الجثثِ داخلِ

التلاجات إلى اختراع
 وحشٍ خاص بنا.
 بقينا أن الحرية لم تذهب إلى المدارس الليلية
 ومع ذلك كان يمكن أن تكون مفيدةً
 في إضاءة الأشباح
 أو تجميل الدول في الإحتفالات على الأقل.
 لقد قررت توزيع الأمم من جديد، وهذا يعني أن اليابان ستسكن
 في إفريقيا والروس في جزر هاواي
 أما أنا فسأكون موجوداً معكم
 في الليل والنهار
 في كل عصرٍ
 وفي كل عاصفة.

١٨

أو، أيتها الأرض، يا معلمة الشجاعة والغربة
 إنني أهبط اليك حيث تعبر العاصفة فانتازيا الجسد
 ويقف الجنرالات على صخور دجلة الزرقاء
 محققين بأزواج مشنوقين بلا ذنوب
 إنني أعبرُ ممراتك، متبوعاً بألف شرطي سري
 يفقون أمام باب كلية التربية
 لأعلن في هذه اللحظة وفي الأيام المقبلة
 أن الحب يُقطر في القناني
 ويباع في الصحف والصيدليات

لإزالة الصلح
وأن البطالة وحدها
تجعلنا نكتب الشعر
وأن السجونَ والمواقف
تعلمنا
كيف نصادقُ شرطياً
في ٧ أيام
بدون معلم.

١٩

أية أغصانٍ تنبتُ في هذي الأرضِ الصخرية؟
الزهرةُ تسقطُ فوق بكاءِ الفردوس
والخوفُ يسجلُ في كتبِ المستقبل
أحزانَ الأطفالِ
والألفاظُ فقاعاتُ تُطرخُ في سوقِ الذكرى
كالجثةِ في بيتِ مهجور
إذ لا يوجدُ من يفتحُ شباكاً للنور
أية ضوضاء
داخل رأسِ الجندي العائدِ من حرب الزنج
تطرقُ جدرانَ الفجرِ الهابطِ من عرشِ النومِ
أشكالٌ في القفرِ، فصولٌ في الأعراسِ
الكلمةُ قطبٌ يسكنه شعبٌ يحبلُ أيامَ عذابه
والموتُ المكتوبُ ولادتنا، حيث الحب سفارٌ في المجهول.

أهي الأشباح تجوسُ الظلمة
أم أن الريحَ تغني خلف الباب؟

في الظلمةِ هذا الأسبوع رأيتُ شهوداً يقتربون من الأسبوع
ويقولون نعم للجوعِ أمام بيوتِ بيضاء
منحدراً في النهرِ تشيرُ الموسيقى للروح: وقوفاً
تحت ظلالِ الأغصان
في هذي الأرضِ المحروقة.

٢٠

علقتُ بلادي تحت خليجِ الشرقِ، رسمتُ عيوناً تقطرُ أنهاراً
وأقمتُ صحارى يخرُجُ منها شعراءُ مقرررون: بلادي كانت فيكم،
أين هي الآن؟ المحتلون ينامون على فخذيها، في الليلِ يراها
العشاقُ مكومة تتزفُ من جرحِ في نديها، يصاعدُ فيها قمرٌ مشنوقٌ
والأعداءُ يعيرون الأطفالَ وجوهاً خائفة. أه، آتِ زمنُ الإنسانِ من
الغبطةِ في غصنِ مقتولٍ، من صحراءِ تعاني آلامَ الطلوقِ، من
الحاضرِ في الغائبِ والغائبِ في الحاضرِ، آتِ إنسانكُ يا أرضَ
جدودي المنسيين ليكنسَ هذا الوادي من أشباحِ الليل. وقوفاً يا
جيلي بين المعمولِ والصخرةِ، بين القاتلِ والمقتولِ، فما الموتُ
سوى ومضٍ في ليلٍ مهجورٍ والقلبُ مغنٍ يطرده السلطانُ، وقوفاً يا
جيلي في الموجةِ والبحرِ؛ وقوفاً في وطنِ أشعلهُ كبريتاً، فلينهضُ
وطني وليصرخ: لن أدفنَ بعد اليوم قتيلاً حتى أشهدَ وجهي ثانيةً
في مرآتي.

واقفاً في جزيرة الظل إذ يصعدُ النعاسُ إليها
 رأيتُ نهراً يغني لنفسه بين الطيورِ
 نجمةً تعبرُ الغيمةَ الأخيرةَ
 والأرضُ ترتدي حُلةَ الموجةِ الأسيرةِ،
 فيما الهمومُ تدخلُ بيتَ الحياة، تمسكُ كفي ونجرحُ الغصنَ في
 الريحِ
 أيها الحبُّ يا نزهةَ المحاربِ
 عنواني الطبيعةُ والغامضُ المقدسُ إسمي
 فلتبخرِ باسمك المؤلفِ من وردةِ الدخانِ
 من الفرحةِ التي تعبرُ والكلمةَ التي تتلاشى
 بين الغيابِ وبينِي
 لتكن ألقَ الحياةِ الذي يمنحُ الحياةَ نهراً
 وقارباً للغريقِ
 لتكن في مفازتي وطناً ناهضاً يُضيءُ طريقي.

تموز ١٩٧٠

تعاليم ف. العزاوي إلى العالم

١
أشعلت مراكبَ آبائي للموجة ترقى في ساحلِ أفراحي
معراجِ الثورة، شاهدتُ حدوداً تُهدمُ؛ كانت روعي تقصدُ وادي
الفهم
تعاشرُ في ليلٍ أبيضٍ أشباحاً قادمةً من مدني
غارقةً في الماء؛ صرختُ: لأهرب
من هذا الجسدِ المائلِ كالشارية^(١)
لكن الصحراءَ رأيتني، تبعني كالأفعى
فعدوتُ إلى مملكةٍ أخرى
ورأيتُ البحر.

٢
هكذا دخلتُ الشوارعَ تحترق، والواجهاتُ الزجاجيةُ تُغلقُ بوجه
المظاهراتِ تُطالبُ بالخيزِ والعمل

(١) لم يكن الهروب ممكناً على الإطلاق. كانت الأسلاك مكهربة وجنود الراية يصوبون بنادقهم إلى ظهري.

رأيتُ الدباباتِ تمرُّ يقودُها جنودٌ فقراءُ، مسلحون بالرشاشات
رأيتُ طائراتِ الأعداءِ تتسلقُ كتفَ الوطنِ
مُلقيةً فوق رؤوسنا أطناناً من المنشوراتِ والديناميتِ والشوكولاته
لذلك جلستُ أمامَ حديقةِ الحبِّ، مفكراً
أن الأطفالَ يمكن أن يموتوا بلا مرضٍ
وأن الحروبَ تطلبُ من أصدقائها أن يقهروا الله؛ صديقنا
المتوحدُ الذي يقعدُ منذ الأبدِ على حافةِ الكونِ
ملقناً إيانا تعاليمه - الإفيون المجاني
ولهذا أقدمُ شكري
فالمخدراتُ باهظةُ الثمنِ هذه الأيامِ
وليس ثمة ما يشملُ
غير القصائدِ تُلقى في حانٍ صاحبٍ
مع شلّةٍ من الأصدقاءِ يفتحون الليلَ.

وفي هذا العصر، إذ تصبُحُ الذكرياتُ فيما بعد
تاريخاً يُقرأ في المدارسِ الابتدائية - ربما في الصفِ السادسِ
بالذات -

سرقْتُ للتسليّةِ ذات مرةً شرطياً من العام ١٩٦٧
غسلته بالصابونِ والديتولِ شهراً كاملاً
ثم زرعتُه في حديقةِ الوطنِ
بيد انه ظل شجرةً ميتةً إلى الأبدِ
وفي الصباحاتِ إذ أمر به كنتُ أقولُ له:
متى تزهر يا عزيزي الشرطي؟

- ليس الآن على الأقل، ليس الآن.
عندما مات بكيث كثيراً
فقد كان أوسع من وطني.

٢

ممنوع
أن أكتبَ أسماني
أن أرثي جيلي
أن أسرقَ شيطاناً من عاصمةِ الله
ممنوع
أن أحلمَ أني أحلم
أن أجلسَ كالأعمى وأجوبَ العالمَ في سيارةِ إسعاف
وأفكرَ أني رجلٌ يُشتمُّ في ساحةِ بيته
وأفكرَ أني رجلٌ دونَ مزايا
رجلٌ في مملكةِ المجهولين
بصرخُ: هذا صوتي
فيجفُّ على شفثيه الصوت
ويموتُ الموت.

أنظر، أكتب، إشهد

ممنوع
أن أجلسَ وحدي فوق رصيف أبكي حزني
ممنوع

أن أدخلَ مرحاضاً وأفكرَ في المستقبل

ممنوع
أن أحلمَ أني ف. العزاوي
أنى كرسىً مقتول
أنى وطني.

ولهذا أسرقُ قديساً ملتجياً من ملجأ
وأسافرُ بين دماءِ الممنوعين
نحو مرايا الروح
هذا صوتي.

٤

مرة إذ كان الليلُ يسير وراء غابة
سمعتُ أعرابياً يقول: أنا شجرة
قلتُ: كيف يكون ذلك وأنت عائدٌ من حزيران ثلاث مرات؟
قال: تعال معي.

وهكذا إذ سافرنا نحو الليلِ على عربة
سمعتُ القديسين يعلنون
أن العالمَ ممنوعٌ على الشهداء
إلا في حالاتِ الطوارئ
والمعاركِ الليلية.

٥

لماذا؟

لماذا؟ لماذا؟

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

لماذا؟ لماذا؟

لماذا؟

سقطت وأنت السماء تظللُ وجه الضحية؟
لماذا وقفتَ تحدقُ في الواقفين أمام الليالي؟
فقد كنتَ في جسدي صرخةً وقضية
وكنْتَ سؤالي.

لهذا تقدمتُ صوب فنارك، أعطيتُ سري
وفكرتُ أنك بي تملأ الأرض وبي تستقيم الحقيقة
وينهض موتى السعادة من عتمة السجون
وفكرتُ بالشعبِ يعبره الفاتحون
وفكرتُ أنني أقول الحقيقة.

تعالوا إلى وطني واسرقوه
تعالوا إلى وطني شاركونا المجاعة
كلوا من خبزنا المرِّ يا أنبياء اليهود
كلوا من دمي يا حجيج الهنود
كلوا أيها الفرسُ من لحم شعبي
فقد سقطت من حدودي الحدود.
تعالوا إلى وطني واقتلوه

تعالوا إلى جسدي واعبروه
كعابر ليل حديقة.

٦

لأنني غيمةً تمطرُ فوق جنازة البحر
أجلسُ اللحظة بين الزندقة والرياح
على كراسي المدن، فيما الطاعونُ يوفّر نقوده
لابتئاعِ شعبِ هائمٍ في الطرقات
فأرى تماثيلَ العالمِ كله
تهبطُ إلى الشوارع وتضاجع عشيقاتها
ليولدَ جيلٌ بلا امتيازات
تُدفيء أحلامه الشيزوفرينيا.
من أجل هذا وغير هذا ولكي لا تُفرطَ بدعاوانا
داخل عصرٍ جديد
قررتُ أن أكتبَ هذه الرسالةَ إلى نفسي:
كن غريباً

يعبرك مقاتلون من ألف جهة
والبحرُ منزها عن أيما قصدٍ ينادي رمالاً هي وطني
أن تُطفئَ الزبدَ الذي يُشكلُ دوائرَ الزمن
حيث تدخُنُ السعادةُ تعاسةَ الفقراء
ويكتبُ الحكماء عن:

* صناعة الطيور

* البروليتاريا في المدن السعيدة الجديدة

* الإنسان بلا أطراف
وحضارة الحب.

هالو فاضل العزاوي
هذا أنا أتحدثُ اليك من جرف الأزمة
ممتلئاً بالأسماك والجثث والدبابيس
حيث لا يوجد نفق.

تعال لنذهب إلى ديقول ونحدثه عن مايس ١٩٦٨
تعال لنذهب إلى جنرالات اليونان ونسمع موسيقى زوربا
تعال لنذهب إلى ناسيتيون وهو يأكل الشيوعيين
تعال لنذهب إلى عمان وننظر في كل العواصم العربية
تعال لنذهب إلى سجن ما
ونحدثه عن كل السجون
تعال لنذهب إلى لا مكان.

٧

في الفجر نهضتُ، رأيتُ ممراتٍ مقفلةً
وجداولَ آتيةً من صحراء
أسكتُ عصافير الغاية
أهديتُ الأطفالَ علومَ الأحلام
خلفتُ ورائي الأنهار تهربُ في أزمنة الجذب
وسمعتُ الأشجارَ تغني لليل
وسمعتُ الإنسانَ يعاني الوحشة بين الناس

والبحر يبارك بحارته في الريح.
يا وطني المسكوب على عاطفة الشرق قل لي:
كيف يكون الإسراء بدون جناح؟
كيف يكون الموت بدون شهادة حب؟
وعلى أرصفة الأحلام،
طيورك كيف تغادر
غابات القلب؟

٨

أنظروا، أنظروا
إلى
هذا
الرجل الرجل.

أعرف انه سيموت في أحد هذه الأيام:
السبت، الأحد، الإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة
وفي أحد هذه الأشهر:
كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، مايس، حزيران، تموز، آب،
أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول
أنظروا، انه يكتب أشعاراً
لكي لا يموت في أيام الأسبوع أو أشهر السنة.
ملاحظة:

من أجل اختصار هذا المقطع أرجو أن يضع القراء تاريخ اليوم والشهر الذي سامرت
فيهما فقط - بعد وفاتي بالطبع - بدل ذكر كل أيام الأسبوع أو أشهر السنة، تجنباً للملل.

بيان موجه من آخر خندق للثورة

قاتلوا معنا من أجل عالم أكثر سعادة
فنادق مجانية
تعالوا وناموا معنا على اسرة موحدة

ثورة عالمية في المدن والأرياف لتأسيس شركة المجتمع الحر
(ذ.م.م)

نعلم أننا نعمل من أجل:

- ١
- ٢
- ٣
- ٤

املاوا البياض بما يروق لكم من الأهداف فنحن نشق بكم.
اللجنة القديمة للثورة الجديدة

إقتادني جلاد حليق الرأس، ضخم كشجرة إلى مجلس سلطان
عباسي، لم أعد أذكر إسمه. ربما لم يحمل إسمًا على الإطلاق.
فطلب مني السلطان بأدب، مداعبا لحيته بأصابعه أن أصنع له
طائرة يغير بها على أعدائه المجتمعين في خراسان.
بيد أنني رفضت طلبه. ماذا تتوقعون مني غير ذلك؟ فأنا ضد
الحروب التي لا تقدم لي شيئًا. ولا أعرف كيف علم السلطان

بأنني أجد صناعة الطائرات الحربية.

قال لي السلطان: أنت ترفض إذا؟

قلت: طائرة، يا لك من أعرابي وقح، إذهب واركب جملاً، فما دمت لا تعرف من هو آينشتاين^(١) فإنك لن تتركب طائرة على الإطلاق. ترى كيف عرفت بوجود الطائرات؟ إن هذا لأمر مضحك حقاً.

ضربني الجلاد على قفائي بقبضة يده القوية فهويت على ركبتي. ومع ذلك تخاذل السلطان أمامي وقال مخادعا: حسنا، سأجمع كل فقهاء وأدباء وشعراء المملكة وأطلب منهم معرفة الرجل الذي ذكرت اسمه، ما اسمه؟ آه، آينشتاين، إنه أعجمي. بعد يوم واحد فقط سأقدم لك شجرة عائلته، ثم أضاف مستغربا:

ولكن لماذا تهتم بهذا الرجل؟

أجبت: لأنه كان أحد أمهر عمالي في صناعة الطائرات، إلا انه هرب مع جاريتي المفضلة، وهي شركسية الأصل، على بغل أسترالي إلى مكان مجهول.

هاج السلطان وماج وبدا عليه الإنزعاج وصاح: يا له من كلب حقير، خائن للأمانة.

ثم أصدر مرسوما خطيرا وخرجت الشرطة في ذلك الليل البهيم تبحث عن الخائن الحكيم والعالم العظيم.

أما العلماء والفقهاء والحكماء والشعراء فقد أخذوا ينقبون في

(١) تعمدت هنا إحراج السلطان، فكما تعرفون أن آينشتاين لم يكن حتى قد ولد حينذاك، وكان استحضاره يقتضي الحصول على آلة الزمن لإرجع جي. ويلز أولا، وهذا ما كان يشير في نفسي القلق والخوف.

كتبهم، باحثين عن أجداده الأولين حتى نوح، إذ لا يعقل أن يكون ثمة شخص آخر قد شارك نوحا سفينته، ولذلك لا يمكن البحث عنه بين الذين سبقوا نوحا في استيطان هذا العالم.

١١

أمل أن أخرج في الليل إلى بغداد من زجاجة الروح، أرى أشباحها تعمل في أروقة مفتوحة للحزن والعواصف التي تهب من سواحل التاريخ - ماذا قالت الأيام في نزهتها؟ أية صحراء تقيم حفلة؟ هنا العذاب لغة جديدة تطوف بين قارة وقارة، أحاول الخروج من وجودي الرماد. أنت وطن من نعم ولا، اقترب من عنكبوت تحت ١٠٠٠ قمر يزحف من وكرين للعواطف، انتبه، فإنني أرى مدينة تنهض من وراء نهر، من مفاصل القرى تصرخ: هذا زمن يقتل فيه الحب، حيث يخرج الماموث من حقله، ملطخاً بسفلس التراب، والموت يكون دفتراً يكتب فيه رجل يذوب: لا حد لها الحياة والموت هو الطريق، لا تمت، أنا الصديق يا موت أتي، شهوتي إلى الحياة أضرمت دمي، وحيدة القرن تجوب غابة عمدها المعلم المصلوب في عشائه الأخير غير أن صحف اليمين واليسار أغفلت خطابه، فلم تُشر إليه مرة واحدة ولو على زاوية مهملة في صفحة الجرائم، الرمال تحت قدمي والشتاء يعبر الطبيعة، الفصول باكيا: عميت لا أرى شيئاً. ترى هل غادر الفجر الجبال، حاملاً في راحته لعنة الحروب أم راح يجوب فوق بغلة العدالة القرى، مرتحلاً بين السجون والمباغي كي يكون ملكاً أو ربما مقامراً يجلس في كهفه أياماً، فلا يقول ما يقوله الغريب في أسفاره المقدسة؟

ارفع الستارة تجد رجلاً يقفُ في مواجهة الأنهار
تصبُّ في نفسها

ويحدقُ من مرمى الرمح بكتفيه

فلا يرى سوى عمارة مائلة على الرصيف

ولكن إذ يُطلقُ الليلُ كلابه

تغني الأغنيةُ أغنيَتها حتى النهاية

ويجلسُ الموتى على كراسيهم عند عواطفِ الشعوب.

حبذا لو فكرتُ في الأنهار، ولو متأخراً

لأن الأنهارَ مثل الآشوريين تمتلئُ غربَةً كلما مرت بالوطن

تجرفُ أفقرَ الجنودِ إلى الحرية

حيث امرأةُ الحطاب

تحلمُ مساء

بالنجوم التي تتساقط

لتضيءَ حدائقَ القرى

ومع دورة الزمن، وبدون مرايا في الحجرة

يكون فاضل العزاوي أكثرَ شيخوخةً من الله

يكون وجهه قاموساً للرياح الموسمية.

س: ماذا يعرف الناس عني؟

ج: غامضٌ ومكشوفٌ كنبوة نافسة.

س: هل يدري الرجلُ المؤلفُ من زهرة حجرية

أية صبوة في عيون الموتى؟

ج: حسناً، يود فاضل العزاوي أن يكتشفَ البحرَ ولو لمرة واحدة

في حياته، أن يسقط عصافيره الألف في غابة الحياة الجديدة،
حيث الوطنُ شارةٌ تعلقُ على كتفِ الرعاة، بينما لا يرى العشاقُ
ضرورةً لتقديم وصايا خاصة إلى سدةِ النار.
أنظروا!

كل هذه المقاولاتُ المقدمةُ لتشجيرِ القلب
لا تكفي لتقديم رجل واحد
إلى الحقيقة
وهي تنام فوق مشنقة مفردة.

١٢

أخيراً
وقفتُ على جبلٍ واقفٍ عند نهرٍ
بدوُرٍ على نفسه مرتين
وحيداً
نظرتُ إليه، وكنتُ حزيناً لحزني
صرختُ ولكن صوتي
تبرأ مني
تكسّر في الريحِ إذ كانت الريحُ بيني وبين الحياةِ
تغني
هبطتُ إلى النهرِ، جرحي معي، اغتسلتُ
وفي العشبِ مر النهار
كسلسلةٌ تُجرُّ على صخرةٍ طولها ألف عام
ودار على نفسه، ثم سار إلى النهرِ،

أغرق أعضاءه
وخذَ النَّازَ والماءَ
وخذني بالعذابِ العظيمِ.

١٤

لأن فاكهة الوهم تُعذبُ أكلةَ الواقع
لأن الحقيقة لا تجازفُ بالوصولِ إلى الملك
لأن المدنَ كما هي أجملُ
بدون برامجٍ للسياحة
أراقبُ الكراسي تقبُعُ هادئةً
تتحدثُ عن الذين يجلسون عليها
كاشفة لي أسرارهم.
أيُّ عالمٍ هذا الذي تتحولُ فيه الأحلامُ
إلى حلوى للولادات
والقنابلُ إلى هدايا للذكرى
تُعلقُ على صدورِ الفتيات!
أيُّ سلامٍ هذا الذي يملأُ الوطن
يجالسُ عشاقاً يقودون الحقيقةَ إلى المنفى
إذ القاراتُ مزدحمةٌ والإنسانُ هو الأمل!

بينما المدنُ متروكةٌ للرياح
اصطدمتُ، أنا الموجلُ منذ لحظةِ الولادة
بالواقعِ فانكسرَ وانسكبت مياهُه على الرصيفِ.

إبتعدتُ عن الليلِ فاقترَبَ مني
حك رأسه أمام البوليس والجرحى
ولم يكن أحدٌ يتسم لي
لم يكن أحد.
إفتحوا كل الأبواب
فأنا أعشقُ أن تنظرَ سالمة إلى الله وهي معي
- متى تكونين معي يا سالمة؟
- حيث لا نكون موجودين حتى في القصائد.

نمة زوارقُ،
أنظرُ إلى البحرِ تجدُ قمرأ
أمواجاً وحرياتٍ مختلصة
أهتفُ عالياً
ينحدرُ الرعاةُ من شفاهك
أهتفُ
بصمت.

شباط ١٩٧١

أنا الصرخة، أية حنجرة تعزفني؟

أصغيتُ للأشجارِ في الحدائق
سمعتها تُعول
أصغيتُ للطيورِ في السماء
رأيتها ترحل
أصغيتُ للإنسان
في غربةِ العصرِ، فلم أجده، لم أجده يا جيلي.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟
حتى أمتنعَ عن وجهك هذا الليلَ المحرقَ، يعبره الأعداءُ اليك،
يدوسون عليك بأحذيةِ الفولاذِ، يزورونك في النومِ، ينادونك
بالحبِّ وأنت ضحيّتهم.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟
وأنا الجالسُ في تلِ الغربةِ، أشهدُ في عرسِ الإنسانِ جنازةَ هذا
العالمِ
يحملها الفقراءُ مواكبَ في قاراتِ يحكمها الشيطان.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا أشهدُ جيلي يجلسُ في مقهى العظماء، يدخنُ إفيونَ الحرية،
يسحبُ جثته كالأعمى بين البارات، يسيلُ الزهري على كفيه، إذ
الجلادون يطوفون رؤوسَ المدنِ المغسولةِ بالنيرانِ الأبدية.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا أقرأُ كل صباح في الصحفِ اليوميةِ صوتك مقلوباً مثل نهارٍ
أسود، أقرأُ جوعَ الفلاحين يُغنون النايلاً في حقلٍ مهجورٍ بين فروع
الشلبِ المحروقةِ كالجرذانِ، أصابعهم تقطرُ في الليل سماً فوق
دماء الأرضِ الوثنية.

أين الوحشُ الواقفُ عند ضفافِ النهرِ؟ اعطوه ضحايا أخرى،
اعطوه عذاراكم، اعطوه دمَ اللهِ السائلِ فوق الأحجارِ، اعطوه
لنعرفَ معنى أن نعرفَ، أن نُطفىء نيرانَ الأمواتِ ونبدأ رحلتنا في
الأبدية.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا أشهدُ في المنفى مائدةً تُنتجُ عشاقاً مأجورين يطوفون المدنَ
المحتلة، محشونين رماداً، يعدون على أحزانِ المهزومين وبنون
بيوتاً للوحشِ النائمِ في غاباتِ الصحراء.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا أسمعُ أجيالاً تهبطُ في جرحِ الوردية، أشباحاً تسبحُ في دجلة

مثل طيورٍ من ذهبٍ ثم تغني وتموتُ لأن العشاق يموتون وحيدين
من الحزنِ إذا لم يجدوا وطناً يأوون اليه كما يأوي الغرباءُ إلى
أوطانِ الغرباءِ.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا مثلك محموماً أحلمُ في امرأةٍ تجلسُ بين الموتِ وبينني في
معتقلٍ، إذ نشأتُ إلى الأنتى أكثرَ مما نشأتُ إلى وطنٍ يقهرنا في
أجملِ أيامِ العمرِ، إذ الحريةُ سكينٌ في القلبِ، شعارٌ نرفعه في
السِرِّ ونشربُه مخلوطاً بالقهوةِ في ركنٍ من غرفةٍ سجنٍ منسي.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا أفصلُ من مدرستي، مأخوذاً بجنونِ الشبانِ، يجوبون العالمَ
في صمتٍ ويموتون على أرصفةِ المدنِ الكبرى دون همومٍ أو
لقابٍ تمنحها الدولة للناسِ.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا مقسومٌ بين نهارٍ في الشرقِ وآخرٍ في الغربِ، أميرٌ داخل
صاروخٍ متجهٍ نحو الروحِ، أسيرٌ في خيمةِ قومي، مغتربٌ بين الآلةِ
والربِّ العاري، بين يهوذا والمصلوبِ على كتفي.

لست يهوذا، لست المصلوبُ!

فمن أنت؟ تقدم!

أنا هـ حزيان العربي

أنا أسبوعٌ سقطت منه الأيامُ على عاطفةِ الشرقِ؛ أنا

الحربُ على نفسي.

نزلت من قامة شعبي امرأة ورمت نهديها في الماء وقالت:

فليتقدم من يخطب ودي

آه، سلاماً أيتها المرأة، يا واقفة تحت غيوم الليل انتظري جيلاً
آخر، جيلاً يبرق كالصحو وبأتيك مجيداً كالشمس، أميراً عربياً من
عيس، فانتظريه الليلة وانتظريني يا حبلى بملايين الأطفال،
انتظريني حتى يلد المستقبلُ طفلاً يُنجبُ منك الوطنَ الموعود.

ماذا أفعل يا جيلي؟

وأنا أعطتني الأرضُ ملوكاً وثنيين، عباةٍ سوداء، أعطاني الحب
دموعاً تُنبئُ صباراً ونساءً ينحن على قبري قبل الموت، أطارحهن
غرامَ الروح، يملن علي، أموتُ إلى الحب وأنسى أني الميتُ،
أنى الشعبُ الميتُ، أنى الزمنُ الميتُ، أنى الجيلُ الميتُ قبل
الموت.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا بين الغرباءِ أسيرُ غريباً، يطردني الغرباءُ لأنى لم أحملُ شارةً
صليبي.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا حمدُ الفلاحِ العاصي، تلتجئُ الأهوازُ اليه، تطارده الشرطةُ
بين السوسنِ والعوسجِ في ليلةٍ عرسه، ثم يموتُ وحيداً كالنخلة
في بيتِ الإقطاعي.

آه؛ وقفَ الموكبُ عندي، استوحشني العصرُ وقال: اذهب
واقطف من بستانِ البحرِ زهوراً يلبسُها الأحفادُ قلائدَ في بيتِ
التاريخِ

ولتجلب من جرحِ المجروحين قميصاً ننشره

فوق حقولِ القمحِ الذهبية.

آه؛ أطفأتِ الريحُ زهورَ الغابة

أطفأتِ الريحُ زهورَ الدم.

- فلتتقدم

- ماذا أملكُ أن أفعلَ في بابل

وأنا رجلٌ في الأغلال؛ أرى العالمَ محراثاً في عنقي

أحملُه حتى في النوم؟

- فلتتقدم!

بين الوردة والوردة سكينٌ

بين الحرية والمصفورِ سلام.

فنهضتُ، حملتُ قيودي، حررتُ الخوفَ النائمَ في جلدي

ووقفتُ أقاتلُ في بابل

حزنَ العالمِ وحدي.

ماذا أفعلُ يا جيلي؟

وأنا منذ شهرٍ أحفرُ في غرفةِ سجني نفقاً

حياته عن أعينِ حراسي

أدخلُه في الليلِ وأبكي من أجلِ رفاقي المشنوقين أمامِ السجنِ

وكنتُ إذا الفجرُ انشقَّ أمامي

أزحفُ بين الموتى وأنا مُ فأحلّمُ بامرأةٍ خارجِ سورِ السجنِ تنادينني :
- ستان وأنا في البابِ أسألكُ عنك الريح
عذ لي أفرشُ دربك ورداً ومن القلبِ أصبح
عاد حبيبي.

ماذا أفعلُ يا حبي والقلبُ مريضُ؟
ماذا أفعلُ والأنفاقُ طريقٌ من سجنٍ في الليلِ إلى سجنٍ في الليلِ؟
ماذا أفعلُ يا حبي والعالمُ ليلُ؟

كم مرة يمكن للضائع أن يضيع حتى يعرف الطريق!
كم مرة يمكن للعاشق أن يحب حتى تسقط الأحقاد!
كم مرة يمكن للسجين أن يُسجن حتى تهدم السجن!
كم مرة يمكن للموجة أن تفيض حتى تغمز الساحل!
كم مرة يمكن للمدية أن تسقط في الإنسان حتى يعرف الألم!
كم مرة يمكن للثورة أن تثور حتى تغسل الأدران!
كم مرة يمكن للمسيح أن يُصلب حتى يرفض الصليب!
كم مرة يمكن للصحراء أن يحتلها الأعداء حتى تحمل السلاح!
كم مرة يمكن للصرخة أن تُصرخ حتى يسمع الأموات!
كم مرة يمكن للإنسان أن يموت حتى يعيش الحياة!
كم مرة يمكن يا جيلي!

ماذا أفعلُ يا جيلي
وأنا طفلٌ يولدُ بين ذئابٍ في الغابة؟

هل أبكي؟ من يسمع صوتي؟ من يسمعي غيرُ الريح الرملية؟

ماذا أفعلُ يا جيلي
وأنا أحملُ في كفي تاريخاً يقطرُ منه الدم
وأنا درويشٌ في الأغلالِ، أجالسُ أشباحاً تسخرُ مني، طلاباً في
كلياتِ فارغةٍ، مفتوحين على الخوفِ، ضحايا الكتبِ الصفراءِ؟

ماذا أفعلُ يا جيلي
وأنا أذهبُ للحربِ برمحٍ مكسورٍ ولسانٍ مقطوع
أخجلُ أن أندزَ نفسي للنارِ، لأنني مكتوبٌ برمادٍ في سفر حياتي؟

ماذا أفعلُ يا جيلي
وأنا إعلانٌ في التلفزيون عن الجوع؟
ماذا أفعلُ يا جيلي
وأنا آخرُ حرفٍ في اللغة العربية؟
هل أعرفُ يا جيلي جيلي المقتولَ وحيداً،
يصلبه الجنرالاتُ على أعمدةِ الدباباتِ ويقتحمون عليه خيام
الغربة؟

تحت رمادِ المدنِ المحروقةِ يمشي
صار نهراً ثم انطفأت فيه الأشياء
صار امرأةٌ حاصرها الجندُ طويلاً
أعطوها ولدًا لا يعرفنا
أعطوها بدويًا يخدم آلهةَ الصحراءِ.

من أنت؟ سمعتُ هتافاً يأتيني
 من أشباحٍ تتقاتلُ في الظلِ
 من مدنٍ تزحفُ فوق الماءِ الي
 من عمالٍ مشدودين على الجدرانِ بسلكِ اللعنة
 من طلابٍ قرويين يمرون ببابك يا بغداد
 مجروحين بنارِ الحب الأعمى
 من أنت؟ سمعتُ هتافاً في في البرية يأتيني
 قلتُ: لأنهضُ، هذا صوتك يا جيلي
 أعرفه كالعسلِ المرِّ على شفتي
 يدخلني كالطليقةِ في قلبي
 وبحررُ أحلامي من غرفةِ أيامي
 هذا صوتك يا جيلي
 أعرفه وهو يعاني الوحدةَ في معتلاتِ البوليس
 تحت سياطِ الغرباءِ، لأنك كالفجرِ نقيٍّ، مثل هلالٍ في عيني أم
 عربية
 قلتُ: لأنهضُ، هذا صوتك يا جيلي
 ونهضتُ، أتيتُ إليك كسيراً، يُفزعني قلقي
 ماذا تطلبُ مني يا جيلي؟
 ماذا تطلبُ مني يا قلقي؟
 فانا رجلٌ لا يحملُ عنوانا
 مجنوناً في عصرٍ مجنون
 زرتُ سجونَ العالمِ، قاتلتُ مع المعدومين
 خضتُ حروبَ الإنسانِ الباحثِ عن مملكةِ الله

مُتْ كَثِيراً وَنَهَضْتُ، سَمِعْتُ الْمُضْطَّهِدِينَ يَصِيرُونَ جِيوشاً
فَوَقَفْتُ أَسْأَلُ عَنْ جَيْشِي فَيْكُمْ
هَلْ أَنْتُمْ جَيْشِي فِي زَمَنِ الْإِنْسَانِ الْمَهْزُومِ؟
هَلْ أَنْتُمْ جَيْشِي فِي زَمَنِ الْوَطَنِ الْمَقْتُولِ؟
مَنْ أَنْتُ؟ سَمِعْتُ هَتَافاً فِي الْبَرِيَّةِ يَأْتِينِي
مَنْ أَنْتُ؟ أَنَا هَذَا اللَّيْلُ الْوَاقِفُ فِي وَطَنِي
مَنْ أَنْتُ؟ أَنَا هَذَا الْجَنْدِي الْعَائِدُ فِي جَيْشِ الْمُقْهُورِينَ
مَنْ أَنْتُ؟ أَنَا هَذَا الْعَرَبِي الْمَقْتُولُ بِدُونِ رِثَاءٍ فِي الصَّحْفِ الْيَوْمِيَّةِ
فَتَعَالَ إِلَيَّ وَعَانِقْنِي يَا جِيلِي الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ
وَلتُخْرِجْ مَمْلُوءِينَ سَلَاماً،
نَعْطِي أَوْرَاداً لِلشَّبَابِ،
نَقَاتِلُ بِالْحُبِّ لِيُولَدَ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ الْحُبُّ
وَتَتَصَرَّ الْحَرِيَّةُ
فِي قَلْبِ جَمِيعِ الْغُرَبَاءِ.

١٩٧١

الصحراء

مُبْهَمَةٌ نَافِذَةٌ تَفْتَحُهَا الرِّيحُ عَلَى الصَّحْرَاءِ
 وَأُخْرَى تَفْتَحُهَا الرِّيحُ عَلَى الْمَنْفَى
 حَيْثُ الْفَجْرُ يُعْتَبَرُ أَكْيَاسَهُ بِالْأَزْهَارِ الْبَرْيَةِ
 وَالسَّاحِلُ يَسْطُو مُنْتَفِخَ الْأَوْدَاجِ عَلَى مَا يَلْفِظُهُ الْبَحْرُ كَطْفَلٍ مَسْحُورٍ.
 مُبْهَمَةٌ هَذِي الْأَشْرَعَةُ الْمَفْتُوحَةُ أَكْثَرَ عَرِيًّا مِنْ أَجْسَادِ الْمَوْتَى
 مُبْهَمَةٌ شَكْوَى الْإِنْسَانِ عَلَى الرَّمْلِ، يُقَدِّمُ خَطْوَتَهُ الْأُخْرَى بَيْنَ
 الْأَجْيَالِ، يَمُوتُ وَحِيدًا وَيُعَانِي الْوَحْشَةَ
 حَيْثُ تَضِيءُ الْأَحْلَامُ فَيَقِي فِي فِرْدَوْسِهِ
 مَطْرُودًا حَتَّى مِنْ نَفْسِهِ
 حَيْثُ سِوَايَ يَعِيدُونَ إِلَى الْفَجْرِ طَيُورَهُ
 حَيْثُ نَهَارٌ يَبْزُغُ كَالْفِضَّةِ.

هَذَا صَوْتُكَ يَا مَالِكَةَ تَارِيخِي، هَذَا أَنْتِ الْقَيْثَارَةُ وَالْمُنْشِدُ، آيَتِهَا
 الصَّحْرَاءُ الْمُبْهَمَةُ الْمَفْضُوحَةُ، يَا جَسَدَ الْعَرَبِيِّ وَيَا عَاشِقَةَ دُونَ
 دَمُوعٍ!

مُبْهَمَةٌ حَتَّى النَّزْفِ هِيَ الْوَرْدَةُ إِذْ يَرشُحُ وَجْهُ التَّارِيخِ ضَيُوفًا
 مَهْمُومِينَ أَخِيرِينَ.

هُنَاكَ وَفِي كُلِّ الْأَزْمَانِ يَكُونُ رَمَادٌ.

لَا تَكُنِ السَّائِلَ: مَنْ أَضْرَمَ نِيرَانَ الْغَابَةِ؟

فعلى الساحل تطفو أمواج مقلبة من بيت الأبدية
إذ صلبانٌ تُرْفَعُ في الواحات
إذ عصفورٌ يُشْتَقُّ في الوادي
إذ أعرابٌ ينحدرون من الماضي
فوق جمالٍ مُتَعَبَةٍ نحو خليج المستقبل
فأقول: هبوطاً يا مستقبل، هذه مملكة تسقط في النوم وهذه
أعصابي يتأكلها النقرس، أيتها الأرض المسكونة بالفقراء ويا مملكة
دون تخوم.

أجلسُ تحت صخورٍ فالصيفُ يضجُّ رياحاً،
أجلسُ أبعدَ من عيدٍ في السجن؛ شمالاً تهبطُ ذاكرتي في العتمة.
ماذا تفعل؟ أدفنُ أفراحي
أملأُ كيسِي رملاً وأؤسسُ في المنفى وطني..
أنقله تحت الأمطارِ إلى الوادي فيفاجئني رجلٌ مطعونٌ في القلب
يُنَادِينِي: أنت شقيقي
وعلى الجرفِ أرى النسوةَ يعبرن ميادينَ القرية، ممتلئاتِ أطفالاً.
أكثرَ من جمهورٍ في حفلٍ أجمعُ نفسي
أثمنُ بالملح المبدورِ على أرصفةِ الأنهار
- جميلٌ كوخُ الأفعى!

ها هي مملكةٌ تنهضُ في وادي الموتى، ها هي رايثُ الإخوة
أعلى من صاعقةٍ تتبرجُ أحلاماً وتقدُّسنا نحن المقطوعين من السرة
فوق الماضي، دون رشاوى تُغطي للبحرِ.
أيةُ أسلابٍ تكفي هذا الأجوفَ من طاعونِ الحبِّ، العيارَ اللابس
جلدَ الموتى، الجمجمةُ المصقولةُ بالرمل!

أية أفرح تكفيننا حيث يكون الوطن العاشق فينا
أية حربٍ حتى نعرف كم كانت أحلامك واسعة يا جزراً دون
ضفاف!

٢
- هل تعرف أين يغادر ماضي الإنسان؟
- أجل كالعبء يكون، تُبعثه ريح مقبلة من مرفأ أشباح
ولهذا أكتب هذا الصوت الدامي وأدونه في قلبي
في بيت متروكٍ للجنيات أمام البحر العائد من مجلس عشاق.

ودخلت صحارى أكثر أفرحاً من قلب مجنون
تُعول في أقصى الوادي
عند رؤوس قابلة للذبح
وفي أوردتي كان مساء متروك يتجول. كان نشيدي لجيوش
الأشباح، وكنت إلى قلبي بمدبح الوطن المعشوق أسير.

٣
صَبَّارٌ في جسدي والأفق الأكثرُ بعداً من مركبة تعبر دهليناً مزدحماً
بالأطفال يشف عميقاً، يغسل عينيه بعشب الأزمان، عويل نساء
متشحات يعرج من أقصى وطني:
- ليذم هذا الفرخ المقلوع من الماضي!

وأنا المنظورٌ بدون نوايا، مهجوراً كبرية آدم أرصد قيدوم الليل
على عنق العصفور. شتاء فوق صليب معقوف، هذا بيت التنين
الأعسر، هذه أرض جماهير تُعاني قلق الموت وهذه عاصمة

الموتى المضطجعين على الأسلاك. لأذهب في نورك أينها
الصحراء إلى مدنٍ أخرى، حيث المستقبلُ عند الأبوابِ كغُلٍ في
أيدي فقرايكِ أو قاموسٍ عن عشقِ أبدي! ولا مسح دمك عن
وجهك، إذ ينزلُ التاريخُ على تاجِ الشوكِ كأشباحٍ تخرجُ من تحفِ
الأرضِ وتغتُمُ لأن القلبَ مريض.

يرقانٌ في صوتك، جمهورٌ في ذاكرة الأعمى
فيما الأرضُ توزعُ حلواها في أزمنةٍ أخرى.

٤

من أجلكِ أرفعُ نخبا للإنسانِ يرى نفسه في وعيرٍ ويُعاني
أهبطُ في جبلٍ لا يكفيني
لألمِ رفاتِ زماني

مُغلقةً أبوابك يا صحراءِ تقودُ خطاي إلى آخرِ نفسي.
أعبرُ قسديرَ الفجرِ، خيامٌ في الوادي، أحصنةٌ تعدو خيباً في
فردوسٍ مشهودٍ وقبائلُ تجلسُ تحت ظلالِ الأشجارِ
- لماذا هذا الحزنُ النابحُ في البرية؟

هذا العنقُ الممنوحُ إلى الجلاد؟
الريحُ تهبُ من المنفى كأميرٍ يُقبلُ من سفرٍ
كشهابٍ وتقولُ: لماذا ينتخبُ الليلُ رماداً ينثرُهُ فوق جذوعِ يابسهِ
في أمطارٍ؟

لكني وأنا شعبي أمدحُ هذا الطالعَ في البرية
مثل نبيٍّ يُبعثُ بين حُطَاةٍ
مثل ملكٍ يُغدُمُ في الساحةِ

أمدحُ مأسوراً طيرانَ الأزمانِ، سلامَ الأهوارِ، هواءَ الصحراءِ،
وحوشَ البحرِ. وفي الأحلامِ ترفُ نسورٌ قادمةٌ من جزرٍ مهجورة.

أنازُ جمالكِ أيتها الصحراءُ على الماضي!
أنازُ رجالِكِ في الأجيالِ!
الكوكبُ يسقطُ منهوَكاً والتمثالُ الشمعيُّ يذوب
أنصابُ توميءُ في الساحلِ:
- ما أقسى أيامَ السائرِ في النومِ طويلاً!
أوه، من لا يعرفُ كيف يموتُ البحرُ وحيداً!

كل الأحلامِ سرابٌ والمستقبلُ محضُ نزيف
كل يدٌ تملوْ تُقطعُ بالسيفِ أمامَ البحارةِ
كل أميرٍ محكومٌ بالقتلِ
وإذا ما انفجرَ الرملُ صراخاً إمتلأ القلبُ طيوراً من خشبٍ في
الطوفانِ
ها هي صحراءُ تنهضُ من جسدي
بمبرها فوادَ أمراء.

في أرحبِ ميدانٍ يُمكنُ أن نجتمعَ الليلةَ، مسلوخين من الذقنِ،
نفايضُ آلهةٍ بملاحمَ تلقى في أعراسِ
نعقدُ محكمةً للبحرِ أشدَّ هياجاً من ذنبِ يوسرُ.
مسودٌ هذا القلبُ إلى صاريةِ الرعبِ كأنفاسِ ينفثها الموجُ. يقولُ

الخارج من مجد الأرض:
هنا تنزَعُ جلد الأفعى ونبئت عليه.
ولأنني فوق الخلجان أرى أسماني
تبيضُ كقطنٍ في مرعى
أهتفُ: فلا قلب أوراقي!
لا يوجد في هذا المرسى
غيرُ جنودٍ يعتقلون البحر.

٧

أوه، هاجرُ إني أعرفُ طفلكَ، هذا الكنعانيّ المشدودُ إلى الغربية،
حيث يقومُ الوادي ويؤاخيهِ. رمالٌ بين السفح المائتِ والمروة با
جاريةً معولةً مثل قلعٍ:

هل أمنحكِ الضوضاءُ سريراً؟

هل أجلبُ شعبي وأعزّيه كإمرأة تُنكحُ في سهلٍ؟

حيث تكونين يؤسسُ تاريخُ طفلكِ ضد الموتِ ويطفرُ منه ربيعُ
أبدي

خلفاءُ عباسيون، أباطرةٌ، شعراءُ، فقراءُ وملوكُ

يجتمعون هنا في الرملِ، وأنتِ المائثرةُ الأكثرُ نفيًا، آسيةُ في عائلة
الغرباءِ

ليغتوا من أجلكِ هذا الإنشاءُ السريّ.

٨

مُزدحمٌ هذا الكوكبُ سُكّاناً!

مُزدحمٌ هذا البحرُ بياضاً!

مركبةً تعبرُ، ضوضاء وقصائدُ في لوحاتِ حجرية
أشلاء الربِّ على ماكنةِ العزلة
والأغلالُ على فينا الأميرِ بالحب
أه، أعطوني الجرحَ المفتوحَ فكنْتُ الوحدةُ في قلبِ الإنسان!

صَحَبَ في الآذانِ، دُخانٌ في لغةِ الكتاب
ولاني أسمعُ آخِرَ صوتِ في جنجرةِ المشنوق
أكتبُ أشعاري
شارات
في طرقات العالم.

أيتها الصرخةُ في الأطلالِ كشكوى مضجرة
أيتها الكلمةُ غيرُ المسموعةِ بعد
أيتها الجملةُ، ناقصةٌ تمتلئين كلاماً
أيتها المأثرةُ المخفيةُ في الأرقام
أيتها الضجةُ في جمجمةِ الريح
أيتها المغسولةُ بالأمطار
أيتها القصةُ يهجرها الأبطال
أيتها الجبهةُ، إذ ثمة رسمٌ فوق الرأسِ السائحِ مثل حصان
أيتها الفرحةُ في كلِّ مساماتِ الأشياء
من يقبضُ هذا البرقَ الطالعَ من ذاكرةِ الموت
ويقدِّمه للأجيال؟

من يوقظ هذا الجسدَ النائمَ في الأغلال؟

١٠

ماذا يُمكنُ أن نفعَلَ في هذا الربيعِ الخالي؟
ماذا يُمكنُ أن نفعَلَ في تابوتِ المقتول؟
ها أن ممراً يُفتحُ بين الهضبات
ها أن جيوشاً تخرجُ من أبوابِك يا بغداد
ولذلك أذهبُ نحو فنارٍ معزول
أنفُحُ في الأبواقِ على شُرُفاتِ المستقبل
منتظراً الكهانَ المنحدرينَ من الفجر.

١١

ليَدْمُ حُبُّكِ أيتها القارةُ فينا!
تليحُ في مُنحدرٍ وضبابٍ يحجبُ عنا ماضينا
كلُّ حروبِ العالمِ تُخسِرُ عند سفوحِكِ
كلُّ جيوشِ الأفراحِ تصبُ الليلةَ في بحركِ
أجراسٌ تُسمَعُ في الأدغالِ
كلابٌ تنبحُ في حميرينَ
ونساءٌ متشحاتٌ يحملنَ جرارا
هذا وطني البدويّ - زهورٌ وعماراتٌ من رمل
وفنادقٌ من قير
عشبٌ بريّ، بغدادٌ من أحلامٍ، شرطيّ في مرعى، سلٌّ وبكاء
أعرابٌ فرحانونٌ وأقراصٌ للنوم. ربيعٌ في جُزري
وأنادي الضيفَةَ الأخرى فيراني شعبي

يَتَقَدَّمُ صُوبِي، يَحْمِلُ مَدْفَعَهُ الرَّشَاشَ عَلَى كَتْفِيهِ، وَفِي شَفْتِيهِ دَمُ
النَّفْطِ المَحْرُوقِ. أَقُولُ:

- جَمِيلَ أَنْتَ.

- أَجَلْ.

- خُذْنِي مَعَكَ، اللَّيْلَةَ عِيدًا!

- مَاذَا نَفْعَلُ فِي عِيدِ الْفُقَرَاءِ؟

أَبْوَابُ تُفْتَحُ، دَهْلِيْزٌ يُعْلَقُ، صَيْفٌ وَشِتَاءٌ فِي فَنْدَقِ جَيْلٍ
يَنْزِعُ قَلْبَهُ أَوْ يَدْخُلُ سَجْنًا لِيُعْتَبَىءَ رَأْسَهُ أَفْكَارًا.

- فَلْنَذْهَبْ!

- حَيْثُ يَكُونُ الْبَحْرُ وَحِيدًا مِثْلَ مُجِيبٍ فِي حَشْدٍ.

١٢

مَشْفُوعًا بِدَمِي أَخْلَعُ وَجْهَكَ تَفَاحَةً طِفْلِ
مَنْقُوشًا فِي مَرَاتِكَ أَمْنَحُ حَبِي أَكْثَرَ أَكْثَرَ أَكْثَرَ
خَبِرْ وَدَمٌ لِلْفُقَرَاءِ، نَهَارٌ مَعْرُورٌ
أَصْوَاتِكَ فِينَا، أَشْجَارِكَ، أَحْلَامُكَ. هَا أَنْذَا الشَّبْحُ الْوَاقِفُ تَحْتَ
غَيُومٍ أَرْفَعُ ظِلِّي وَأُنَادِي:

أَيْتَهَا الصَّحْرَاءُ الْعَرَبِيَّةُ اعْطِينَا الْقِسْوَةَ، اعْطِينَا بَرْقَكَ، رَعْدَكَ حَتَّى
نَعْرِفَ أَيْنَ تَكُونِينَ! رِمَاخُكَ بَيْنَ ضُلُوعِي وَأَنَا أَنْزَفُ حَبِي. مَاذَا نَفْعَلُ
إِذَا لَا نَعْرِفُ مَاوِي غَيْرِكَ؟ نَعْرِفُكَ السَّرَّ الْغَامِضَ، مَقْهَى فِي لَيْلٍ
وَعَصَافِيرَ مِنَ الْآجِرِ. أَحْبَبُكَ، لَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْحَبِّ أَغْنِي فَاأَنَا لَسْتُ
سُورِي قِبْطَانٍ يَرِصُدُ أَمْوَاجًا تُقْبِلُ أَعْلَى مِنْ عَاصِفَةٍ أَوْ زَبْدٍ يَطْفُو.
لِيَكُنْ حُبُّكَ فِينَا أَبَدًا!

كلُّ عَوَاءٍ مِنْ أَجْلِكَ ؛
كلُّ الفقراءِ، المدنِ، الشعراءِ، الأشجارِ،
وها نحن الأطفالُ المبهورين هنا أو أي مكانٍ آخر
نتركُ للقلوبِ أصابعنا شارباتِ وإليكِ نموت.

١٣

نرُقُبُ إذ نعبُرُ أنفسنا داخلِ أحراشٍ مظلمةٍ
عصفوراً مقتولاً وفهوداً جائمةً بين فروع الأشجارِ
نضيؤُ علينا العتمةُ، نُثْقِلُ أعيننا، فنرى أجنحةً هائلةً تخفقُ في
أقصى الوادي،
أحصنةً عمياء.

سألتُ دليلي: من هذا الخارجُ من مرآةِ الريحِ، على كتفيه غرابٌ
أسودٌ؟

أيةُ أحراشٍ هذه؟ من يحكمُ هذا الدهليزَ العائمَ خلفِ جدارِ الأيامِ؟
- أمراءُ المنفى يحتشدون هنا، ينتخبون صديقاً للبحرِ ويعطون نقوداً
للريح.

- أمراءُ للشعرِ المكتوبِ على واجهةِ المستقبلِ؟

- أمراءُ للقتلِ وجمهورٌ للفرجةِ!

كالوردِ على كتانٍ حجري في قاعةِ أحلام

كان الوقتُ صباحاً والضوءُ على صحبِ الشيوخوخةِ بيكي
فنظرتُ إلى أعلى. ثمة صقرٌ يتفَرُّ جُرْحِي.

آه، لتأتِ الريحُ! لتأخذُ هذا الجسدَ المشدودَ إلى الأحقابِ!

آه، ليأتِ الرجلُ النائمُ في مرعى

لبقايضَ حزني بالصوبات!
 مقدسةً خطواتِ الكاتبِ يُنشئُ أشعاراً في زمنِ الموتى
 او يدخلُ معتقلاً في شاطئِ ملح!
 ها هي أستاذُ المسرحِ تُرفعُ حيثُ غيومٌ تُمطرُ رهباناً
 وعودٌ في الواحاتِ،
 على يدِ الجنديِ المرمي على السهلِ دماءُ الوردة
 ها هو ضيفي يدخلُ بيتَ الجلادِ ويجلسُ في الصلاة
 يخطبُ إبتته بين نساءِ يشرين عصيرَ الليمونِ ويشتمن مساءَ الثوارِ.
 حزينٌ هذا الليلُ كقانونِ مكتوم!
 هذه ماكنةُ التاريخِ.
 يقولُ دليبي: في الليلِ يجيءُ البحرُ ويمحو مرتعشاً
 أشعارَ الأطفالِ وآثارَ رجالٍ يزدحمون على الساحلِ.

١٤

إذ أهبطُ مثل ضبابٍ فوق مروجِ نائمةٍ، فوق ربيعِ تجلبه الموجةُ،
 فوق غيومِ تتألقُ في خندقِ عشبٍ يترقرقُ فوق جبينك خيطُ دم
 وترفُ نجومٌ بين عيونِ تشحبُ في أسواقك، حيث المارةُ يمشون
 على الماءِ وفي أكواخك يبتاعُ الفقراءُ هموماً - متفئ مفتوحٌ في
 وجهِ الباحثِ في الليلِ، طبولُ تُقرعُ في نُكُناتِ العسكرِ يأتون من
 الجبهةِ مملوئين أناشيدَ وأحلاماً وروائحَ عشبٍ. أي ملاريا تنخرُ
 أعضاءك! أي تراخوما في أجفانك! أهوازك تنفلُ معداناً وخنازيرَ،
 زهوراً، أسماكاً وأنا أدخلُ فيك كحربونٍ في جُتةِ شقراقي، كالفالةِ
 في كفِّ القاتلِ. ها هو تاريخُك يُقبلُ في مشحوفٍ، مخفياً كالثورةِ

بين عباةِ الأعرابِ، كأغنيةٍ تُطلَقُ فوق الصخرةِ، حيث نشيدُ أب
من بُغِدِ نهمسه مغتبطين جميعاً في جرحِ الإنسان!

١٥

كسماؤ في المرأةِ أحبكِ أوديةً خزبها فولاذُ المجهول:
خُفَاشٌ يقتلُ نفسه فوق مياهِ دافقةٍ
كالجرحِ على كَتِفِ الجنديِ أحبكِ عاصمةً للترفِ ومملكةً للحب
كالقيثارةِ في كفِّ العاشقِ أرميكِ على جذعِ طافٍ
وأفئسُ في غاباتكِ عن فرحي الأبدي.

١٦

هو ذا العالمُ من أقصى هضباتِ بائدةٍ
يُهدي أحلامه للأطفالِ وألقابه للبؤساءِ!
- حصانٌ متروكٌ يتسولُ قرب صباحِ وحشي
أَسْناتٌ في الأجيالِ وفي جسدي الضيقُ نهرٌ
بقواربِ ميتةٍ
هو ذا العالمُ موقوفاً في حجرةٍ تعذيب
يَتَدَخَّرُ فوق فمي
حيث عيونٌ تُترسُ رملاً وقنابلٌ للذكرى
حيث جريحٌ يبكي
حيث أنا أهمسُ هذا الحبَّ الماجدَ في نومي
هو ذا العالمُ وردةٌ جنسٍ فاجرةٌ
وحليبٌ يترقرقُ في جدول.

أشهدُ تحت قميصي
فديساً يخرجُ من أحشائي
ويُدبُّرُ لي مذبحاً
من دمِ أطفالي
أسمعُ وجهَ البحرِ يفيضُ شعوباً
يتقدمهم أعمى
أبدي
نحوي
أشهدُ أمواجاً قادمةً
من ضِفَّةِ أخرى
فلاذهب!
هذا الأمرُ صوتي.

مثل نهارٍ مبذولٍ في ليلٍ يُسْفَحُ في الطرقات
كنا نسقُطُ في مقصلةِ الأيامِ وكنتُ أقولُ لنفسي وأنا أشهد نفسي
أذبلُ:

ما هذا المالى قلبك بالأوهام، كسكينٍ في قبضةِ قاتل؟
أهو العمرُ يمرُّ الليلةَ بعد الليلةِ، مختوماً بعواصفِ روجك؟
أم ما كنت تسميه ذات زمانٍ هوى مجروحاً؟
أتراه، تقولُ لنفسِكَ، أحلامٌ سجينٍ في زنزانه؟
خوفَ الجلادِ أمام حباله؟

أم شيخوخة بحرٍ مرمرى في الأبدية
ينهض من نومه في ديجور العالم؟

١٩

أحياناً اختزلُ الفجرَ الداكنَ
أو آخذهُ نحو مجاري المدنِ السفلى وأجلُّهُ بالنسيانِ
أحياناً أذهبُ نحو التلِّ الواقفِ مثل حصانٍ مطرودٍ من مرعى
لأعلمَ وجهي بالنارِ وأتراضُ الشمسَ من الأريافِ.
قطرانٌ فوق سهوبٍ وعلى واجهةِ التاريخِ
جمالٌ ترعى جثثاً متروكةً
تحت عماراتٍ تنهضُ كالرغبةِ، صارخةً
بحرٍ دون مظلاتٍ وصحارى دون تلولِ
ماتمُ عصفورٍ ونشيجُ خيولِ.
أحياناً أسرقُ أحلاماً من رجلٍ يمشي في شارعٍ
أو أسبوعاً من شهرٍ مكبوتِ
أحياناً أطفئُ سيجارةَ أحفادي في قلبي
وأموتِ.

٢٠

أبدأ هذي الرحلةُ
هذا المرضُ السرِّيُّ وهذا الطيرانُ إلى المنفى!
مجمعُ آمالٍ سائحةٍ ومواكبُ للمستقبلِ
إذ نترعُ أنصالاً من قلبِ النسرِ
نُهَلُّ للريحِ هجاءَ

ونقص عليها ملحمة عن آثار المارين
أبدأ هذا العشق وهذا المزماء الشعري على خلدجان الغرقى!
أبدأ هذا الصمت النائم في بيت التاريخ
مثل صياح يُطلِّقه
موتى مضطربون!

٢١

كالحالم تُعولُ روحَ الله،
غيومٌ ترعُدُ والمصلوبُ يموتُ
ذنوبٌ من الأعين، أصغيث، سمعتُ نواحاً يخفتُ إذ يعلو من وادٍ
أجوف.
صمتٌ محفورٌ في الطين: أهدي مملكة الغربة، حيث الكلمة
تُسرَقُ من بين شفاه؟
ورأيت جنوداً يفترسون نهراً
فصعدتُ السُّلمَ أحملُ في حنجرتي
صرخةً أسلافي.
الرحلة مُتعبَةٌ والحانة مُغلقةٌ
ومياهٌ تغسلُ آثارَ جمالٍ تقربُ من سهلٍ
فإذا بي أسمعُ نائحةً تدعوني
نايحةً أكثرَ قرباً من هذا الجلدِ اليابسِ فوق جيني
مُقبلةً من عاشوراءِ كخاطنةٍ تدخلُ بيتي
تدعوني الباحثُ إذ تضطربُ الأزمانُ على صخرةٍ ليلٍ
عن قلبٍ مزقه ذنوبٌ مسعور

عن منعطفٍ في النور.

أيتها الأرملة المقطوعة في الوادي

سيظل نواح الإنسان طويلاً يُسمع في هذا المنفى.

٢٢

أه، دغنا ياسيد هذا الوادي، حيث خيام تُنصب بين عصورٍ وجروحٍ
تنزف في أنهارٍ جارية، تنموج كالعصفور على جثة أوطانٍ تحبل
أحلاماً! دغنا نَفْرَعُ قيصراً في مكمته! دغنا نرفع أيدينا في نار الدنيا
ونلوح في بادية تحت حصي، إذ زلزالٌ من عصفٍ مأكولٍ يضرب
هذا الجسد البدوي، جمالٌ تنبع طائرةٌ تتسلق سجيلاً منضوداً، ايه،
رخالة هذا الوادي! هذا وطني يلتف غيوماً، هذا الفارس يحمل
أثقاله، هذا البحر العاصف يضرب أغواري، فتعال نغن بدون فم
لنكون فماً لصخور الوادي، للأشجار، وللتاريخ، لأبناء الأخرس
والأعمى، ولكل فم يسقط من وجه الإنسان: نشيد أسمع بين
جبالٍ وشوارعٍ تنفر من رجلي. أنا العائد كالسكين إلى الجرح، أنا
القاتل أحزاني ساكون الشهوة في قلب العاشق والحريّة في عاصمة
السجناء؛ أنا المشدود إلى ماضي الأرض سآبني عاصمتي أبعده من
ماضي الأرض، أكون حضارة فنانٍ يهبط من لوحته فوق العالم،
يرمي أقاله للبحر المزدب أسراراً حتى الساحل. هذا آدم يهبط من
جبلٍ في قفرٍ وينادي امرأةً تائهة في صحراء. سأذهب أمنحه قلبي
وأقول: أبي من أجلك جنث أطوف بلاداً تقتل رآكبها. سأقول
لنفسي: أيتها المغلولة في سجن الرويا ضمي أسرارك، هذا ما كنا
نبغي - مرآة من حجرٍ تُخبرنا عن طرقٍ قاتلةٍ وطريقٍ واحدةٍ لا

تقتل ماشيتها، فتعالَ معي حتى يمحو آدمَ أخطاه، حتى ينحدرَ
الشعراء من الأزمانِ ويقتسموا قلقي!

٢٣

في آخرِ هذا الليلِ الأسواقُ المسقوفةُ في الشرقِ تبيعُ كلاباً جائعةً،
الأطفالُ المجدومون الآتون من الأحياءِ المنسيةِ يقتعدون رصيفاً
للوطيين، يُباحون على الجهةِ الأخرى من دجلة، حيث ربيعُ يزهر
في الطين، صحارى تخذشُ وجهي، تطعنُ هذا الفجرَ الطالعَ من
بين عيوني، هذا الفردوسُ الريفيُّ المهجورَ، صحارى في القلبِ،
صحارى في الأسواقِ، صحارى في أعماقِ الكون.

٢٤

في آخرِ هذا الليلِ أنا الملكُ المقهورُ سارفضُ أن أشهدَ، أن أنزفَ
أقوالي - مخراتٌ يطعنُ قلبَ الأرضِ، زهورٌ تذبُلُ في نهرِ النفطِ،
غيومٌ تُسرقُ من وجهِ شهيدٍ ونقودٌ تُقذَفُ في نهرٍ.

في آخرِ هذا الليلِ يضيقُ الجسرُ بقطعانِ المازة،
أشجارُ الزقومِ على منحدراتِ الوادي تُثمرُ أحلاماً للبيعِ،
سكاري ليليون يُغثون أمامَ الجنديِّ المجهولِ مقاماً مهموماً،
فلنذهبِ، هذه حاناتُ الفقراءِ على الشاطئِ تمتدُ كإفني!
فلنذهبِ أبعد! هذه مهقى للأدباءِ يبيعون رؤوساً جاهزةً للموتِ.
هنا حيث الفصلُ شتاءً يُمكنُ أن أتملُ حتى النوحِ. أنادي التادلُ:
- ماذا يُمكنُ أن يُطفئَ في رأسي هذا العشقَ الأبدي؟
- لا شيءَ سوى العرقِ الأبدي.

ما أعمقَ هذا الوادي! ما أعمقَ إنسانَ يثملُ حتى الصرخة!

٢٥

أيتها الصحراء المجلودة في مُنخفضِ الماضي
أين طريقي؟

أعوامك تنخلُ أمواتاً

وغيومك تُمطرُ أحجاراً

الدُم في الباحة يسقطُ في بركةِ أزهارِ

وغزاةٌ حبي تتلوى في عُنقِ الريح.

أيتها الصحراء الملجومة في المنفى

صهريجَ عظام ملكية

حجراً من ملح، مفتاحاً للصوصِ مهمومين

سأعاني حزنك، هذا العالق فوق دم الأشجارِ

المنحوت على حجرٍ مرمي في الماء.

٢٦

في آخرِ هذا الليلِ أرى عاموراء تنام على الأسلاك، وفي دميها

يعوي حيوانُ الموت - يدان من المعدن، عينان من النار، قطارٌ من

جشثٍ فيما جمهورٌ محتشدٌ يزلقُ مني.

عاهرة في «حي الميدان» تُناديني، تضحكُ في هستيريا كالقطعة في

حضرة شرطي وتقول: تعال نُقايضُ حباً بهموم! ندخلُ من بابِ

ميتة. فواذ شابٌ يجمعُ أحلامه. هذه عاموراء الإنسانِ إذن! من

نافذة باهتة الألوانِ أرى جندياً فلاحاً ينهضُ في امرأةٍ تبكي. هذه

عاموراء المقهورين إذن!

فأنا م قريباً من فخذبيها:

- أيتها الطفلة ماذا يُقلِّقك اللحظة؟

ماذا يُمكن أن نفعَل غير الموتِ على مِخدعِ إسفنج؟

- يُمكن أن نرثي أنفسنا، يُمكن أن نجلسَ لا نفعَلُ شيئاً.

- من أين أتيت؟

- من الصحراءِ، وأنت؟

- من الجبهةِ في حربٍ داميةٍ

- فلنذهب! حيث الجبهةُ والصحراءُ

في دميّنَا تلتقيانِ فمآ للجرحِ البشري.

٢٧

في آخر هذا الليلِ الشارحُ يُقفرُ منفيّا

وعماراتُ الصفصافِ تنامُ على فائجةِ الغازِ الأسود.

ألقي بمفاتيحِ المدنِ المقفولةِ للجيشِ الغازي،

ألقي بنياشيني لِكلابِ الصيدِ،

أنا الموتُ الأبيضُ، حارسُ هذا المنفى، أحملُ مصلوبي وأقدمه

للجلاذ. يقولُ العبدُ الأبقُ: أضلاَعُكَ تنزفُ أشواكاً وبنادقُ شعبِكَ

تحملُها الأشباح!

هذا وطني سأقبله الليلةَ قبل الصلْبِ وأبكي

وإذا ما أنكرني قبل صياحِ الديكِ ثلاثاً

سأناديهِ صديقاً وأقولُ: سلاماً

يا وطناً ينزفُ من قلبِ شرسٍ مقتول!

يا وطناً يُنكرنا في هذا الليلِ المجهول!

يا وطناً في الجرحِ سلاماً!

٢٨

هذا وطني سأعلقه الليلة في أكواخ الفقراء
سأرشه كالطلع على النخلات
سأوزعه حلوى بين الأطفال
سأسلمه للعشاق المطرودين من الفردوس
وأترجه ملكاً للمنفى.

هذا وطني شباك يهتز على قبر إمام
فلاخ يصطاد عصافير من الجنة
ونبي يولد بين حُطاة
في آخر هذا الليل
سألقي بناشيني
في البحر.

٢٩

في آخر هذا الليل سأخرج أمضي في الشارع،
أعطي كركوك يدين من العشب البري، من الأطفال الآتين إلى هذا
العرس القائم -
طبل للولد العائد من بغداد وللحاج القادم من مكة
طبل لعروس خائفة
طبل لنساء محتشدات في مأتم جندي
في آخر هذا الليل سأهدي كركوك همومي

أنزله بين «القورية» والقلعة
 «خاصة صوت» تسقط في ذاكرتي مثل بكاء في كومة أشجار
 و«مُصلى» آبائي يغرُق في الماء
 ساكون وحيداً في طرقاتك يا «بيريادي» شعبي
 أهمس «خورياتك» في كل ليالي الوحدة
 أو أركع في مسجدك المائل مثل جدار في سجن القشلة
 وعلى شفتي دماء ربيعك في الغابات
 لمي آخر هذا الليل سأسمع صوتك مخفواً يدخل قلبي.

٢١

سأقول طفولة هذا الجسد الليلي
 أقول البحر بأواجه يُقبل محكوماً برياح عاتية قادمة من أقصى
 الأزمان
 وكما تطفو جمل الأشعار على شفتي
 أقول الفجر يُقدّم نفسه للصحراء
 أقول الصرخة تفتح الغابات، مؤلفة جسداً ينهض في بركة شمس
 وبنادق تُدهن في أيدي الفلاحين
 سأقول: أيكفي أن نجلس تحت الأشجار وحيدين، نهُوس
 للعربات المصبوغة بالبكتريا، منشقين إلى الماضي وأسيرين إلى
 الحاضر، حيث جيوش تدفق بين جبال أو تخرج من بئر مُهملة في
 البداء؟
 حسناً، سنهُوس أعلى أعلى أعلى أعلى:
 دن ودرن دن درنك شعبي

يتعذز منكز من شعبي!
حسناً، سأقولُ عراقاً يخرجُ من تابوت
وعراقاً يأخذني في الليل إلى نزهاتٍ مصيره في الوادي
وعراقاً يلبسُ خوذَةً جندي ينظرُ في عيني وبكي
وعراقاً ينسى معطفه في الثكنات!

آه! أيتها الأقواسُ المشدودة،
صمتُ الصرخةِ،
الأقواسُ المائتةُ في هذا النهرِ الدافق
والأفراخُ الأولى
كيف قبلتِ تكوينين مطاراً للأعداءِ؟
لماذا كل العالمِ
لا يكفي حبي؟

٣١

في آخرِ هذا الليلِ يجيءُ الي
المتني
والت ويتمان
لوركا
رامبو
سيزار
وينامون على كتفي
بعد حديثٍ عن صخبِ التاريخ

ثم أراهم فجراً في المجرى المائي يطوفون بلا قارب
يأتون كأحلامٍ فائضةٍ، كقصائدٍ تُلقى في حفلٍ
ويقولون لنا:

كم كانت مدينتنا جارحةً في الآباد!
وكم كان البحرُ وحيداً!

في آخر هذا الليلِ
يموتون معي فوق سريري.

في آخر هذا الليلِ سأجلسُ في سجنِ الحلة
أرقبُ هذا الشرطيَّ النائِمَ خلفَ البابِ
أفقاله للكسرِ وأطفاله للفقيرِ. أناديه بأحبِّ الأسماءِ إليه فلا يعرفني
أرقبُ عصفوراً يجلسُ فوق عمودِ الإعدامِ
عشه للموت. هنا أيتها الوحشةُ يولدُ قلبٌ ممتلئٌ بالبغضِ. هنا
نصرُحُ: هذا دهليزُك أيتها الوحشةُ. هذا بيتُك للريحِ يُطلُّ أمامَ
القماماتِ العملاقةِ تُمسيكُ أعضائكِ، يابسةً تنزعُها من أعصابٍ تنزفُ
ثم تقدّمها لرجالِ الصحراءِ هدايا.

هذه أفراخُك أيتها الغربةُ في ممشى جسدي
تألقُ مثل عظامٍ تاكلُ من فاكهةِ الروحِ.
مثل أكفُ تُفتَحُ في زنزانةِ هذا الوادي سَأشُمُّ مراعي أعرابك في
الليلِ، زهورَ الحناءِ على الخلجانِ، سألحسُ هذا السَمَّ كالنارِ على
شفتيك وألعهه بلسانِ الريحِ

سأعلمُ عميانك كل الألوانِ القزحيةِ في الأمطار
 وأجرئك في عرباتِ البيداءِ على الرملِ المحرقِ في الصيف
 كفقيرٍ آكلٍ باقّةِ فجلجلكِ في الأسواقِ العامة
 وأنا مُ على أرصفةِ السكيرين
 ليكون الحامُ الأسمُرُ سروالي
 لأكون حضورك في الجرحِ القاتلِ.
 هذه أرضي المطعونةُ بالسكين
 هذا شعبي بين شعابِ الوادي
 ينهض مسروراً
 يُعطيني أسرازه ثم يسير.

٣٣

أيتها الأوطانُ المغدورة
 الأوطانُ المسروقةُ من تاريخِ الإنسان
 الأوطانُ المتروكةُ للغريان
 الأوطانُ المنحوتةُ في الأشجار
 الأوطانُ المأكولةُ أيامَ الجوع
 الأوطانُ المحتلةُ أيامَ الحرب
 من أجلكِ إذ يُغرِقُنِي مدُّ الأيامِ
 ساكونُ مُنْجَمَكِ الأعمى في بابلِ
 فلاحاً منسياً يرعى الجاموس على المنخفضات الطينية
 ساكونُ نذيرك يُطلقُ صرختهِ في وجهِ الشيطانِ
 ساكونُ عشيرةَ أعرابيٍّ من شمر

سأكونُ أميراً من نجدِ قُريش
سأكونُ جريحاً متروكاً في حقل
وعلى جنبيه ثلاثُ رصاصات
سأكونُ أنا الخَجَلُ الفرحانُ صراخِكِ بين الأموات
سأكونُك في الحبِّ وفي الحزن
سأكونُك حتى الموت!

٢٤

لهلولة! للصحراءِ الوثنية
لهلولة! للريحِ على أسوار الليل
لهلولة! للعربي الواقفِ في المنفى
لهلولة! لضحايا الثورة تحت سياطِ الجلادين
لهلولة! لعصافير الغاباتِ البيضاءِ تحلق حتى القِمة
لهلولة! للرائي وراء السطحِ جمالَ الجواهر
لهلولة! للجدِّ النابضِ في بيتِ الكونِ الأزلي.

٢٥

مثل دماءٍ تنزفُ في بستانٍ
من جريحٍ مفتوحٍ في صدرِ اللهِ هي الأشباحُ تطوفُ مقاهي بغداد
المغبرة

مقهى مقهى
صيادون على النهرِ، وأفعالٌ دون نوايا تُكْتَبُ في أسفارِ القلبِ،
همومُ الأطفالِ الباعةِ في الليلِ، جنودٌ آتون من الحربِ بلا أسماء
ماتوا في التاريخِ وعادوا مجنونين، جميلين تُعذبُهم ذكري أيامٍ

مرّت:

لا موسيقى، لا حبّ، لا أفراح!

هذا مسرى الحيوان الوحشي.

هنا لا أحد يُعطي للعاري ثوباً،

للجانح كسرة خبز،

للعاشق بهجة هذا الكون المفتوح على الأحران

هذه بغداد الأعرابي المكتوب على جرح بلادي

هذه بغداد المصطفين أمام المستقبل

أفواجاً أفواجاً أفواجاً

هذه في الأعراس تُغني

تأكل موتاهم المرتجفين

هذه في المقهى تجلس وتلاعينا

الدومينو والشطرنج

هذه بين الخلجان تُضيء لأبناء البحر،

فناز يتألق بالضوء الأزرق

هذه بغداد كفاصلة من حلم يتزده في سوق

مختارون من الأحياء المنسية

يأتون إليها بزهور الماء

وقد أتعبهم صوت البحر المرّيد

في الأكياس الرملية لليل

هذه بغداد الموشومة بالألوان

مثل دماء تنزف

في بئر.

الغابة مُعْتَمَةً
 والمصفورُ يغني
 حيث دخانٌ يتكوَّمُ في الريحِ المسموعةِ
 ثم يجفُّ على أعلى الأشجارِ
 كموسيقى تُعزَفُ في غرفةٍ مرضى.
 وهنا يأتي الحلمُ الأبيضُ بالأزرقِ
 فوق شفاهِ ساحرةٍ
 ويُقدِّمُ تقريرَه
 عن هذا الصمِّبِ الغامضِ في القُبَلاتِ.

في مدنٍ عائمةٍ في الطوفانِ
 شاهدتُ عماراتٍ تعلو حتى السحبِ الأولى
 وعلى الأرصفةِ المحفورةِ تنمو أزهارٌ من معدنِ
 عرباتٍ تترجُحُ في منفى
 وصحارى من قش.
 شاهدتُ طيوراً جائمةً في عشِ
 تاكلُ من أجنحةِ الأسماكِ
 - أين الإنسانُ إذن؟
 ورأيتُ الحبلَ السُرِّيَّ المشدودَ إلى جثماني
 منسياً ينزفُ في ذاكرةِ الكونِ
 فعبرتُ الظلماتِ.

من أجلك أيتها الأيام
أترك هذا القلب على خشب طاف
وأدخرجه في نهر منسي
يتدفق من ينبوع في الأحلام.

٣٨

حمالون شيوخ يأتون من الأسواق العامة
باعاً عطرٍ من قرية تسعين
بشوارب تُلوى نحو الأنف، نساء في الليل يُحدّثن من الأسطح،
والموتى مرفوعين على الأكتاف يصيرون غباراً
يتناثر فوق الأعشاب البرية.
هذا الصبح الضائع كان حياتي
أي سماء كبرت سامقة تحت أظافرنا، زرقاء
تنوهج في ضوء المصباح الساطع!
أي سلام يحمله هذا الماضي المنسي الي
وقد أيقظه صوتُ الناقوس!

٣٩

بين الطاحونة والصخرة
قافلة مُقبلّة من هضبات الشام
بين البحر وسكين الإعدام
تمتد الأيدي مُعلّقةً أجفاناً المقتول
أنظر:
دمه المسفوح على العشب يُضيء

٢٢٠

وأصابه ثمسك هذا الرمل البلوري
آه! دغه وحيداً يشحب
إذ لا أعماقٍ لدائرة القلقِ البشري!
دغه وحيداً يهدأ، مطلقاً بنجوم العالم!
دغه هناك
بين الطاحونة
والصخرة!

٤٠

هذه أسرارُ المنفى تُنثرُ في صحراءِ حياتي أقرؤها كمدائح لا تبلى
للأجيالِ ثواسيني، لرياح تعصفُ في الأغوار؛ وهذه كلُّ همومي
أتلوها للعشاقِ وأنظرُ جرحي يكبرُ بالحبِّ، لقد أدمنتُ وقوفي بين
المشنوقين وكنتُ الصرخةَ في حنجرةِ المطعمون، وهذه أفراحي
توصفُ أحزاناً في أوقاتٍ أخرى، ستذكرُني أبداً بنوايا تُرصفُ في
ذاكرةِ البحرِ على أشنابِ الأمواج.

٤١

في آخرِ هذا الليلِ
تلدُّ الحُبلى أطفالاً
أعرِفهم
فيكون البحرُ صديقاً لي
والكونُ طريقي.

آب - ايلول ١٩٧٢

عويل العنقاء

١٩٧٤ - ١٩٧٢

فاتح الأبواب

أفتَحُ باباً في العتمة
فيستطُ الوطنُ (أعراب، ممالك، مهرجون، شعراء، جلادون) من
رفِّ الماضي المتروكِ أمامي. عناكِبُه معه وغبارُه. أَمْسَحُ عن جبهته
جُرحاً ينزفُ ملحاً، أَعْسَلُ عينيه بحفنةٍ من ماءٍ دجلة وأسندُه إلى
الجدار. ثم أرقبُه سنةً بعد أخرى نائماً على السريرِ حتى يستيقظَ من
موته. الفراشاتُ في شِعْرِهِ المتناثرِ والعساكرُ في الخارجِ وأنا أمام
منضدتي أكتبُ فيه الشعر.

أفتَحُ باباً في النور
فأراه يقتنصُ الأشباحَ في البرية
ويُعَلِّقُها على واجهاتِ المخازن
يمتلئ الكونُ به ولا مكانَ له على الخرائط
ساحرٌ داخل صندوقٍ مُغلقٍ يقذفُه للصوصِ في البحر
صرخةُ السجينِ تختنقُ بها الزلزلة
كيمياءُ الحياة
فيما ٣/١ أطفاله يموتون من البلهارزيا والسل
مرةً يسكنُ الشجر

مرةً يسكنُ الشقاء
ولكنه لا يموتُ إلا على السريرِ معي.

أفتحُ باباً في الماضي
فأرى السيدَ الجميلَ هناك.
آه، كيف أذهبُ إليه وكلُّه عاقول؟
صحراءُ من أجنحةِ القطا، تقطنُ نصفها الذئابُ ونصفها الآخرُ
للجميع -

الأطفالُ والكلابُ، الفقراءُ والحريمُ، القتلةُ والمشائخُ،
أنا وقصائدي التي تُقدِّمُ علفاً للأبقار؟
أفتحُ باباً في المستقبل
أناديه فلا يسمُعُني:
- أيها السيدُ، أيها السيدُ
ماذا فعلوا بك؟

خائفاً يتلَفَّتُ وراءه، هادئاً يختفي في الشجر

أفتحُ باباً - إنها جزيرةُ الرمالِ والعرب
فأرى جسدي مُعلِّماً بالجروح
ومُسيجاً بالأسلاكِ الشائكة
قبل أن أولدَ غسلوا فمي بالقطران
وبعدئذٍ علقوني من سُرتي على شجرةٍ مُثقلَةٍ بالأطفال
وفي لحظةٍ موتي أنا السعيدُ بالشعرِ قذفوا بي إلى العالم
لأموتَ على رصيفٍ مُترَبٍ
وعيناي تُحدِّقان في أعالي الأشجار.

نشيد العربي الميت

متروكاً للرياح تسكنُ الحقول
مرة بعد أخرى كنت تُشيدُ جناننَ بابل
مرة بعد أخرى كنت تحملُ الصخورَ إلى الأبراج
مرة بعد أخرى كنت تُشقُّ الأنهار
وتُقيمُ معابدك للرياح
حيث يتلو الكهنة ترانيلهم القديمة
مرة بعد أخرى كنت تعبرُ الرُبْعَ الخالي
وتبتكرُ الحضارةَ على رمحك الرُدَيني
أيها العربيُّ الجميل.
ولكنك إذ تموتُ الآن، جانعاً، مفتوحَ الشفتين
سأدعوكُ إذا شئتُ الوطن
وسيكونُ اسمي الحياة.
أنت تموتُ على رصيفِ شارعٍ مُبللٍ بالندى
وأنا أنظرُ في عينيك ولا أعرفُك.

حقائق متروكة في الرمل

الموجة تكبرُ عالياً، عالياً، عالياً حتى تشمَل البحر كله
وبطناً هو الليلُ يتعمَّرُ بمظامنا، جالِباً معه الرعودَ والأمطار
فيما تظَلُّ الحقائقُ متروكةً في الرمل
فيأخذها الأطفالُ من السواقي أعبأً للشيخوخة القادمة.

ثمة أجنحةٌ تخفقُ أبداً فوق رؤوسنا
أجنحةٌ غرابٍ ضائع
جَلْبَةٌ أسرى من فارس
او ربما نشيحُ امرأة!

من ذا الذي يسترجعُ التاريخَ على طاولةٍ
ويقدِّمه رشاري للصوص؟

قصيدة امرئ القيس الأخيرة

نال امرؤ القيس: كفى عريدةً يا نفس!
مذا دمي أمنحه للرمل
نليذهب العمرُ سدى
يليجتمع فوق جيبني الليل!
سارَ من أرضٍ إلى أخرى
ينام فوق الشوك والعاقول
أتعبت أقدامه الرمال
صاحت النفسُ به:
ماذا تريدُ أيها الشاعر؟
ماذا تريدُ أيها السكير
بي خيمةَ الرمالِ والرياح؟
ريدُ أن أكتب
نصيديتي الأخيرة!
م امتطى حصانه الأشهب
اخترقَ الريحَ وحيداً،
حاملاً في قلبه الصحراء.

الرجل الذي نسي رأسه في مقهى

يدخلُ الوثنيُّ المعقلُ مقهى الزمان

خائفاً

شاحبا

فيخلعُ رأسه في البابِ ويتزكّه

على المشجبِ المعدني

ثم يجلسُ مرتعشَ الشفتين

خلف طاولةِ المستحيل

يشربُ الشاي، يشتمُ النادلَ الأرمني

ويُدخِّنُ حتى المساء.

مُسرعاً يرتدي رأسَ غيره، دون انتباه

ويخرجُ مُتفخاً للطريق.

مرثية الرجل المستحيل

وأنت أنت أيها الرجلُ المستحيل
ماذا تفعلُ في هذه القصيدة؟
سائحاً، متعباً تفتحُ الليل بوردة
وظفولةٍ جيل يموت.
ماذا تفعلُ هنا؟
تُلمِّمُ أيامك
ثم تتركها تندلقُ من بين أصابعك في الرمل.
النهرُ الفائضُ جرفَ بيتك القصبي
والطفلُ الذي كُتته ذات مرة
يهرمُ الآن بين الفصول.
الأمُّ تتجولُ بين السجونِ والمعتقلات
وشجرةُ المعدنِ الوحيدة
صارت مشنقةً لفقراءِ البادية.
ماذا تفعلُ هنا؟
على الرصيفِ جثةٌ باردة
ربما مرَّ بها سكيرٌ وضحك
قبل أن يقولَ لك: تعال معي!

لكنك ستظل صامتاً إلى الأبد
ما دمت قد دفعت بالسكين أعمق فأعمق في قلبك.
ماذا تفعل هنا؟

ها هو الطفل قد كَبُرَ في عليائه
ها هو يقطرُ من ذكرياتِ حياتك
يدخلُ غرفةَ عنكبوتك النائمِ في الظلام
ينظرُ في المرأةَ فيرى يدين خضراوين في العشب
تُمسكان بأطرافِ ماضيه الممزقة
يرى عيني ديناصورٍ يتسمُّ لك من بعيد:
- آو، هذا ليس مهماً، آو، هذا ليس مهماً!
ثم يحلقُ ذقنه ويهبطُ إلى الشارع.

في الليل يفتح باب قصيدته
فتدخلها معه
لكنه يَقلُّها ويهرب، تاركاً إياك للوحشة.

أيها الرجلُ المستحيل
أين أنت؟

القناع

أهبطُ إلى الوادي
تجدُ يدا تنثرُ أحلاماً على الرمال
أهبطُ إلى الأهوار
تجدُ مشاحيفَ الزمانِ تأسرُ الرياح
أهبطُ إلى المدينة
تجدُ دماً يقطرُ من أصابعِ النهار
أهبطُ إلى نفسك
تجدُ صبيّاً يُجلدُ في الساحة
وفوق عينيه قناعُ الموت.

القتيل الذي يقتل المرة بعد الأخرى

بين زمان وزمان ينهضُ القتيْلُ من حفرتِه
وينفضُ الغبارَ عن جبهته
وتأخذُ الطريق
أقدامه للسوق
فيمسِكُ الناسُ به :
- لقد هربت مرةً أخرى
وسفحون دمه
في حفلةِ الأسرى
فيرجعُ القتيْلُ في الليلِ إلى حفرتِه
ويرجعُ الناسُ إلى أعمالهم في السوق.

اسلاك شانكة

صخرة ثم عشب وعصافير
معتقل
ندخله كيفما اتفق
ونشعل
شموعاً للبحر يكون سياجاً على خاصرة الأطفال.
هكذا
نُطفىء شارعاً بعد آخر
هكذا نفتح قلب السمكة
وهكذا دائماً:
حديقة، نومٌ وأسلاك شانكة
على الربيع.

في الغاية
كلب معدني يعدو سعيداً.

قداس وثنى

أهبطُ ظلي فأرى عرباتٍ ملأى بسُكاري أزمانٍ أخرى
تعبُرني

أعدو نحو مصباتِ العنمة

أنظرُ عُصفوراً ينقرُ غصنا

أقداماً مُتعبةً

أعقابَ بنادق

جلادين حليقي الرأسِ،

تمرُّ الأيامُ فأهبطُ ظلي ثانيةً

أشهدُ بين الأقدامِ عيوناً من طينٍ محروق

وأصابعَ من رمل

وأرى أعياداً تُعلَنُ في الواحات

خياماً مُقفرةً

وعويلاً يَدْفُقُ من سهلٍ بلوري

حيث البازيُّ الساقطُ يُدْفَنُ والجسدُ العاشقُ يحمله الحمقى

بين الأشجارِ ويرمونه في النهر

أهبطُ ظلي

فأرى ليلاً يسطعُ خلف قبابٍ

وأرى أشجاراً في غابة.
- من هذا الشاب السائر بين ذئابٍ يتأبطُ روجي؟
من هذا العربيُّ المفتوحُ على التاريخ؟
- إنه حطّابُ الوادي
- إنه ضوءُ الأعمى
وبكاءُ البرية.
أهبطُ ظلي
فأرى رجلاً يُشبهني كإخ توأم
أحضنه ثم نسيرُ معا
يتبعنا الشابُّ السائرُ والحطّابُ الراعي والعربيُّ المأخوذُ إلى التاريخ
لنقيمَ جميعاً قُداساً للصحراءِ الوثنية.

الشاعر العجوز

يخرجُ الشاعرُ المُتَأَفِّفُ من بيته الأبدِي
مالتاً نفسَه بالقصائدِ والذكرياتِ الطلاسمِ والتحفِ المُشترَاةِ
من السوقِ بالدينِ، والإختراعاتِ والكلماتِ
فيمدُّ يديه إلى وجهه، يراهُ غريباً عليه، يقولُ:
أهكذا أبدو عجوزاً في ممزُ الدهورِ؟
ثم يجلسُ عند رصيفِ وبيكي
فيعبُرُه العابرونُ
وأخيراً يعودُ إلى بيته في الظلامِ
ساحباً معه العجوزَ القديمَ.

في قارب دانتي إلى الأبدية

في منتصف حياتي ضللتُ طريقي فزُحْتُ أضربُ بالمجذافِ يميناً
ويساراً. كانت البحيرةُ من فولاذ، لكنني وأنا أسمعُ نفسي نسيبُ
جلبةَ العصور. آه، ما أصعبُ وصفُ هذه الطرقي التي ملاتني
بالخوفِ والقلق! أتراها كانت طرقَ حياتي المناسبةِ من بين أصابعي
أم طرقَ حياتي الأكثرَ مرارةً من الموت؟
حين مضيتُ رأيتُ قري منثورةً كالياقوتِ بين التلالِ وممرأً شفافاً
ندخله الشمس. هل أجرؤ أن أتقدم؟ وهنت روعي فتلفتُ ورائي.
لكن هتافاً فاجأني: إخلف عن روجك كلَّ خوفٍ وتقدّم! فمضيتُ
وحيداً في الأبدية.

المغني السكير

في واجهة الباري المعلق
يقفُ السكير
وينادي النادل: افتح! افتح!
فالليلُ طويل.
لكن ما من أحدٍ يفتحُ باباً أو يُغلقُ باباً
لا شيء سوى ليلٍ وكلابٍ تنبُحُ في الطرقات
وعواءٍ مجنونٍ يتدفقُ من حنجرة السكير.

أحيانا كنتُ أراه يسير وحيدا
يجلسُ فوق رصيفٍ مهجور
ويغني:
يا ليل، يا ليل،
يا ليل الليل، يا ليل، يا ليل!
فيما الشمس تضيء الشارع.

السائر في الظلام

في ظلامِ الطريقِ
ناهضاً سار وحيداً، خائفاً من ذاته المبتكرة
بين نهريْن يميزان على منحدرٍ من حجرٍ في غايةٍ مُشْتَجِرة
وتهاوى كسلامِ قلبي
في حروبِ الوطنِ المُنتظرة
ثم غاب
مرةً أخرى وحيداً في الضباب
وتلاشى في ظلامِ الأفقِ.

غاوي الحروب

إذ يذهبُ الليلُ إلى بيته البعيد
المح رجلاً عند حديقه
يتقدمُ نحوي
يطلبُ يدي للحرب
مرة أخرى.

اقدار

نولدُ أحيانا

وعلى أذرعنا منشأز النجار

او

فأس الخشاب

او

جمرة سيجارِ الحاكم

او

او

نولدُ أحيانا

في كهف فوق القش

فنواسي أنفسنا

بالشمس تضيء الفوهة

في الخارج.

قطارات

تمرُّ القطاراتُ صاحبةً
مرةً
بعد أخرى
في ممراً الزمانِ الجميل
وتتركنا خلفها ها هنا واقفين
على سكةِ الإنتظار
نشترى زادنا كل مرة
للطريقِ الطويل
وننتظرُ المستحيل.

خيانة

لنقل أن أميراتِ العصورِ الماضية
قد عانينِ الكآبةَ فعلاً
فهل كان من حقهن انتظار فرسانهن الغائبين
في الحروب
وهن يطرزن مناديلهن لعشاقهن الجدد؟
لنقل إن معلماً جاهلياً من يثرب
جلس ذات مرة على طاولةٍ في مقهى للأسلاف
وقرأ الصحفَ الأولى واحدةً واحدةً
فهل كان من حقه اكتشاف الخيانة
عند أراملٍ عصريات
إعتدن أن يستبدلن ضجراتِ
أزواجهن الأحياء
برواتبٍ تقاعدية لا تكادُ تسدُّ الرمق
وقليلٍ من الويسكي
في حفلاتِ الملائكة؟

· امام باب المستحيل

يقفُ الإنسانُ في ذاكرةِ الأرضِ فلا يعرفهُ الليلُ الذي ينشقُّ نصفه،
ويحبو، عابراً صحراءَ أعوامه، والضوءُ الذي يجهله يدخله حتم،
يُطلُّ الفجرُ في عينيه، تشتاقُ اليماماتُ إلى الواحةِ والريحُ تمور،
عند بابِ المستحيل.

أيها الفاتحُ بابِ المستحيل

أيها العمرُ الجميل

مرّت الأيامُ في أعيننا

وانطفأَ الضوءُ الأخير

فأماناً

مرةً أخرى أماناً

أيها العمرُ الجميل!

قف لحظة وانظر إلى وجهك في المرآة!

يا أيها السائرُ في الشارع
يا أيها الجالسُ في المقهى
يا أيها النائمُ في الوظيفة
يا أيها المدخنُ الساهم
قف لحظةً وانظرْ إلى وجهك في المرآة
فربما لستَ الذي يسيرُ في الشارع
لستَ الذي يجلسُ في المقهى
لستَ الذي ينامُ في الوظيفة
لستَ الذي يُدخنُ الأيام
قف لحظةً واقراً وحيداً هذه القصيدة
فربما اكتشفتَ فيها صورةً لشاعرٍ
يبحثُ عن وجهه في المرآة
ليبدأ الحياة.

مسمار حياتي الضائع

آخذُ مسماراً
أجلبُ من سوقِ الحدادين
مطرقةً وأدقُّه في جسدي.

يجتمعُ المارةُ حولي في الشارع
- من هذا المصلوب؟
- لا أعرفه.

أحدُ ما يُشعلُ ناراً فيّ فأبقى مُلتهباً أباما
يذبلُ وجهي، يفنى جسدي
كلُ الأشياءِ تموت.

في الرملِ يرى بعد سنينِ طفلٌ مسماراً
يأتيني به مغتبطاً فأدقه في جسدي ثانية
وأعيش.

هو

عائداً من الماضي
يلتقيني، فوق كتفيه رجالٌ من حصص
فنجلسُ معا على مقعدٍ في حديقة
ونقرأ كتابَ الحياة
على ضوءِ شمعةٍ خائية
ثم نخرجُ معا نتسكعُ في الشوارع
حتى الفجر.

عائداً من الليل والنهار كان يستيقظُ مبكراً
ويحلقُ ذقته مُعنياً كما نفعلُ في المعتقالات
وإذ يراني نائماً يموتُ من الأمل
فأتركه للمارة وأنحدرُ إلى النهر
لأغسلَ جسدي منه
جسدي الذي سأعبئه بالضحايا
وأمنحه للأيام
الآن وفي المستقبل.

الشجرة الشرقية

١٩٧٥ - ١٩٧٤

إلى سالمة

الفاتحة

أعرفُ أني لستُ أميراً من نجدٍ أو ملكاً من بابل
لستُ نبياً يمشي فوق الماء
أو يصنعُ في قرنِ الحدادِ مفاتيحَ خزاناتِ الحكمة
أعرفُ أني رجلٌ مثل ملايينِ المارينَ على العالمِ
أتضوّرُ جوعاً
أو أجلسُ في البردِ وحيداً تلفحُ وجهي الريح
أحياناً تضربُني الشرطَةُ أو تحبسُني في معتقلٍ منسيٍّ في باديةِ الشام
وإذا أحييتُ تقصُّ لساني حتى لا ينطقَ بالحب
أحياناً أحشرُ نفسي بين المطرودين
فأراني عبداً مغلولاً في يثرب
أو صعلوكاً يتنزّه في بغداد
أو جندياً في الصحراءِ يُعاني عطشَ الأيامِ الستة
أو محكوماً بالشنقِ يسيرُ وحيداً يتحدّى جلاديه
أحياناً أقطفُ أزهاراً
وأورّعها بين الأطفالِ
أحياناً أحصدُ شوكةً
أحياناً أضحكُ، أحياناً أبكي

حتى لا يصدأ قلبي البشري.
ولآتي لا أتقن غير الأشعار
جثت أعاني الإنسان وأكتب أحزانه
وإذا ما كان نشيدي يُسمع مثل بكاء في زنانه
فلآتي لم أسمع غير عويل الأجيال
تحمله الريح
وإذا ما كانت أشعاري تُسكب فوق الرمل
كلآلىء ضائعة من أعمى يفتح في البيداء
بعصاه طريقه بين الأجيال
فلآتي أحلم أن يقرأها المجروحون
وتكون الشمس منارتهم في ليل الإنسان.

النهوض

- أخرج من جلدك وقرأ صوتك في البرية!
فخرجت إلى الصحراء أقول المستقبل.

ليل. سبعة أعمار. ريح. رجل ينهض من موته. يعبر بيت الماضي.
يدخل في عصره. يروي قصصا ويرى آثار خطاه على رمل العالم.

كانت ثمة أشجار في الوادي
تجلس في الريح الأثني وتغني
حيث المصفور يمد جناحيه على صخرته
والغيمة تفلح ذاهبة لتزور البحر.
ناديت الأشجار فجاءت تقول، ناديتني:
- من أنت لتوقظ هذا الصمت الأبدي؟
- إني أوقظ أحلاماً يا سيدتي الأشجار.
ضحكت مني. قالت:

- من يوقظ أحلاماً يدخل في وادي الريح.
فدخلت وكان دمي فوق قميصي يقطر من جرح مفتوح في صدري
- هل أنا ميتة؟

قلتُ لنفسي.

- هل أنا جنَّةٌ جُنْدِيٌّ ينزفُ متروكاً؟

خُفْتُ من الموتى وأنا أدخلُ وادي الموتى،
أفرغني جسدي.

فنظرتُ إلى وجهي في بركةِ ماءٍ

- كنتُ أفرُّ من الماضي عبر عروقي -

ولأنني في الأجيالِ أسيَّرُ سمعتُ الأحجارَ تُضيءُ كمشكاةٍ
والأنهارَ تُغني:

آه.. ما أضيَّقُ أبوابَ الروح!

آه .. ما أوسعَ بيتَ الأبدية!

- ماذا يفعلُ إنسانٌ يخرجُ من نفسه في هذا الوادي؟

- يمضي في صحرائه حتى يلقى الإنسان.

قلتُ:

ولكنني لا أعرفُ إنساناً،

لا أعرفُ حتى نفسي.

قال:

ستمضي لتُعلِّمَ أبناءَ الإنسانِ الحكمة.

- لا أعرفُ ما الحكمة.

- أن تعبرَ وادي الحيوانِ إلى وادي الإنسان.

- لا أعرفُ أين يكون الإنسانُ الساكنُ واديه،

على الماضي يجلسُ أم بين الأشواك يُقيم؟

قال:

اذهب وتعلم ألا تفرق!

قلتُ:

سأغرق.

ثم أتيتُ العالم.

وادي الحيوان

وأنا أهبطُ وادي الحيوان رأيتُ طبَّاءَ عند نخيلٍ تمرُحُ. شاهدتُ،
عصافيرَ تُزقِرُقُ، قطعانَ ذنابٍ تعبُرُ بيداءَ والإنسانَ بعيد.
وأناه هتافٌ من داخلٍ نفسه: لا تحزنُ، إنك في ليلِ التاريخِ تسير
ستدخلُ أياماً موقَّدةً في أفراحٍ، وترى أياماً مُغلَّقةً في أتراح.
أتخافُ من الوحشِ الآمنِ في مكمِّه بين الأحراسِ وتنسى أنك أكثرُ
قتلاً؟

قال الخارجُ من جلدِ الموتِ:

أنا لم أقتلُ أحداً.

قال: ستقتلُ أو تُقتلُ، هذا زمنُ القاتلِ والمقتولِ.

صرختُ: ولكني آتٍ لأوقدَ ناري في العالمِ، لا أن أطفئَ ناره!

ثم غدوتُ وحيداً في نفسي،

أكثرُ فقراً من مكفونٍ في تابوتِ.

المهراج

وكما اجتزت الساعة مغلولاً يا رجل الصحراء ستحملُ حزنَ الكونِ
على ظهرِكَ وحدك حتى لا يهلك من يأتي بعدك أو ينسى إنشادك،
هذا الممنوح إلى الأجيال. وقال المتوحد: ما لم أشهد جرحي لن
أعرف نفسي

إن الانسان ليشقى، فاذا هو شيخ يسعى

واذا هو طفل يبحث عن معنى

وتراه وحيداً يحملُ صخرته فتنوء به الصخرة

وتراه يمثلُ أدواراً، لكنه لا يتقن دوره

فيهرج أحياناً فوق المسرح

بضحك جمهوراً لا يعرف أي بكاء في صوته

او يجلس في ساحل نهرٍ ويدخرج أيامه في موجه

فانهض من قبرك يا العازر هذا العصر!

انهض من ماضي النسيان،

اهبط للإنسان،

امنحه الخمرة حتى يشمل قدام العصر

ويصحو في مملكة الروح!

جبل البلور

ورأى عبدالله على الضفة الأخرى جبلاً من بلور. قال: لأذهب هـ
ذا بيتُ الانسانِ الساقطِ في العالمِ بين الأحياءِ. فلما اقتربتِ قدماءُ
من الجبلِ البلورِ اضطربت عيناه وضلت نفسه عن موعدهِ كان...
فيها. فبكى: إن الدربَ إلى الانسانِ بعيداً. ما من نفسٍ الا تقولُ
معي الانسانُ. ولكن النفسَ تُضِلُّ الدربَ ويبقى عبدالله يسير.

اكتب اسمك في كل عذاب!

اقول: هنا يبدأ تاريخ

وهنا تاريخ الموت يموت؟

- اكتب يا عبدالله على الموجة تاريخك!

قال: فماذا اكتب؟

هل اكتب عن نفسي وانا العنق جرحي؟

هل اكتب عن وطن يقتل؟

هل اكتب عن صوت يصرخ في البرية؟

قال: اكتب اسمك في كل عذاب

إن عذاب الميلاد شديد.

طريق بين الظلمة والنور

وأنا في الوادي أهبطُ شاهدتُ البحرَ يفور
وقناديلَ نجومٍ تومضُ في أقصى الهضبة
وقرى خالية محتجبة
وطريقاً مسحوراً ينهضُ بين الظلمة والنور
فوقفتُ أحدثُ نفسي:
هل أذهبُ أم أجلسُ في هذا المنفى؟
هل أقطعُ وادي الميلادِ وحيداً؟
هذا قدرِي
فلتعبزِ قدماي الصحراءَ المخبوءةَ في جمدي
وليكنِ البحرُ صديقي.
ثم حملتُ على كتفي أثقالي
وعبرتُ الطوفانَ.

ما الانسان سوى حطاب في الغابة!

ما الإنسان سوى حطابٍ يضربُ في الغابة
قالت أشجارٌ واقفةً عند طريق.
أيضاً قلتُ لنفسي: من تطلبه نفسي حطاب.
ما الإنسان سوى صيادٍ
حَوَمَ عصفورَ فوق الوادي.
أيضاً قلتُ لنفسي: من تطلبه نفسي صياد.
ما الإنسان سوى ملكٍ أعمى
قال نهارٌ يُشرقُ فوقِي.
أيضاً قلتُ لنفسي: من تطلبه نفسي ملكٌ أعمى.
ما الإنسان سوى جَلادٍ يبكي
قال حمازٌ يرعى عُشْباً.
أيضاً قلتُ لنفسي: من تطلبه نفسي جَلادٌ يبكي.
ما الإنسان سوى كومةِ رملٍ وعظام
قالت ريحٌ تضربُ وجهي.
فحملتُ عظامه مُرتِعِشاً وتركتُ الرملَ تُبعثرُه الريح.

الحبل المثلوث

وأتى عبدالله إلى قوم فرأى رجلاً يُشْتَقُّ. كان رجالاً ونساءً محتشدون أمامه. سيكون عليه فيضحك منهم. ضربوه وجروا شعره. أعطوه هموماً وعليه بكوا. فتعجب عبدالله وقال: غبطت المشنوق يكون كراية حرب، مرفوعاً فوق رؤوس الناس. ولكن أفما يمكن أن يعلو رأس الإنسان هنا الا في حبل مثلوث؟

عبدالله يشحذ من البحر

ورأى عبدالله البحرَ فخاطبه :

إني أتعني السيرُ وتاقت نفسي لركوبِ الأمواجِ
وليس معي ذهبٌ أو فضة.

قال البحرُ:

- أما تخجلُ أن تشحذَ مني؟

إني أملكُ نفسي

هذا يكفيني

فلتذهبِ يا عبدالله وكن رجلاً لا يسألُ، بل يأخذُ.

فاستحيا عبدالله البحرَ كثيراً

ورمى أثقاله في الموج.

كيف تجيء الريح؟

وزعتُ همومي بين ضحايا الأزمانِ وأسلمتُ مصيري للشيطان.

فتقدّم مني أعراب آتون من الصحراء وقالوا:

من أنت لتنطق بالحكمة أو تُنذِر بالطوفان؟

- من يعرفني يُنكرني

من يُنكرني يعرفني.

قالوا صوتك كالريح يجيء،

فهل تعرف كيف تجيء الريح

حيث يكون القلبُ مريضاً؟

قلتُ: الريحُ تجيء وتحملُ صرختنا أبعدَ من ماضي الإنسان.

المفتاح

لا تحزن يا عبدالله وسر في الصحراء المسحورة حيث الأشجار
تغني أبداً وامنح للريح بدا! فعلى كتفك الطير تحط ويأتيك
الأعراب بأطواقٍ من ورد الصحراء ويبكون على بابك: «إننا
أخطأنا» وينادونك: «أخبرنا عما فعل أو لا فعل، عما نعرف أو
لا نعرف.» هذه أرضك يا عبدالله وهذا شعبك ينحّب في
الطرق، وحيداً أثقله هم الدنيا. أفما أعطيت العاري ثوباً والجائع
خبزاً والعاشق حباً؟ أفما قلت أكون فكننت؟ وأصغى عبدالله إلى
نفسه، ثم تهلج في البرية صوته:

كيف أكون وحيداً ومعك يا شعبي!
كيف أكون سجيناً ومعك مفتاح المستقبل!

عبدالله في مملكة الأعراب

قال الأعرابُ:

تعال وحدثنا عن إنسانِك يا عبدالله!

قلتُ:

لقد جئتُ لأدخلَ في مملكةِ الأعرابِ،

لأشهدَ لا أن أصرخَ في الوديان.

فتقدّمَ مني شيخٌ أدرُدُ، قال حزيناً:

أنت الإنسانُ الموعودُ، فان الإنسانَ يجيءُ ليشهدَ،

لا أن يصرخَ في وادي النسيان.

ضحكُ الأعرابُ فقلتُ:

لقد جئتُ لأخذُ في قافلتِي الإنسانَ إلى مملكةِ الإنسانِ وليس معي

الإنسان.

قال الأعرابُ:

وماذا تفعلُ بالإنسان؟

هل تُحرِّقُه في الصحراءِ لينهضَ في نارِه؟

هل تُقرِّعُه من سلِّ الماضي ليسيّرَ خفيفاً في الأيام؟

هل تُعطيه يديك لثلاثاً يَكبو في نومِهِ؟

- : لا أعرفُ كيفُ يكون الإنسانُ.

- : يكون قوياً كالصخرةَ

- : وجميلاً كالليل.

وأقولُ أخيراً:

نادوه فقد يأتي من بين الأزماتِ.

ونخرجُ للبريةِ نهتفُ باسمِهِ.

العاشق

هل تذكرُ يا عبدالله الغاية؟ كنا ندخلُها تملؤنا رائحةُ الأوراق المُضفَرَّة تحت الأشجارِ، ونعبرُ ودياناً خضراء وأخرى زرقاء، كليلين من الحبِّ، ونلمحُ ثعلبةً تعدو تحت الكرمِ، عصفوراً يخفقُ بين الصخرة والأورادِ البرية. كنا نجلسُ تحت فوانيسِ الليل ونسترجعُ أفراحَ الكردياتِ وهن يملنَ إلينا من سفحِ الجبلِ الثلجي ويضحكن أميراتٍ من عصرٍ مفقودٍ، وتفترُ يماماتُ الوادي تحت الأقدامِ، فتصرخُ في أجملهن: تعالي واقتربي من غرباءِ الوادي.

- : ماذا تطلبُ مني يا سيّد هذا الوادي؟

- : لا شيءٍ سوى أني رجلٌ عاشق.

- : ماذا أفعلُ للعاشقِ يا سيّد هذا الوادي؟

- : لا شيءٍ سوى أني رجلٌ عاشق.

وتفترُ، لقد أخجلها الحبُّ.

- : ولكن من أنتِ؟

تقولُ: ألا تعرفُ يا عبدالله؟

فتفرُّ إلى نفيك.

هل تذكرُ يا عبدالله ونحن نعود وحيدَيْن إلى الغاية في الفجرِ، وقد أيقظنا صوتُ الراعي السائرِ نحو النبعِ؟

عبدالله والأمير

جث حصاني وعبرتُ الوديانَ إلى الوديانِ. مشيتُ شهوراً في
حراءٍ وأخرى عند سفوحِ الأنهارِ، وحيداً بين وحوشٍ ضاريةٍ،
نيثُ عراقاً أخضرَ يسكنه شعبٌ يتنزّه في طرقاتِ الماضي.

لنفسي: «ما أغرب هذا الشعب المنسي على قارعة التاريخ»
، التي أميرٌ حسنُ الطلعةِ يضحكُ، قالَ «اغْبُطْ يا ولدي» فهبطتُ
بُتٍ وراءه حتى أدخلني قريةً بغدادَ وقالَ: «ألسنتُ الحلاجِ
ضَمَّ من موتهِ في كل زمانٍ المرةَ بعد الأخرى؟» فعجبتُ كثيراً.
تُ الحلاجِ المصلوبِ قديماً واسمَي عبدالله؟

في قرية الأطفال

ورأى السائرُ في البرية طَبالاً يضربُ في طبله والناسُ يُغنون؛
نساءً يرقصنَ وأطفالاً بين غصونِ الأشجارِ يُجِيلونَ عيوناً زائغةً.
قلتُ لنفسي:

- هو ذا عرسُ الإنسان!

فدخلتُ القريةَ مبهوراً بأريجِ العشبِ ورائحةِ الأفراحِ

ورآني القومُ فجاؤوا فرحينَ اليّ وقالوا:

- أقبل، أنتَ ملكُ الغرباءِ.

فجلستُ على عرشٍ من عاجٍ وأخذتُ أهدقُ في الناسِ

ثم أتاني رجلٌ أعرجٌ، قال:

- أتعرفُ كيف يكون الجرحُ النازفُ في القلبِ؟

- من يُجرِّحَ لا يُعلِنُ جُرحه.

ورأيتُ امرأةً تُعولُ قُدامي:

- أخبرتُنا كيف يكون عذابُ الموت!

قلتُ: وهل أعرفُ كيف يكون عذابُ الميلادِ؟

ثم احتشدَ الأطفالُ أمامي، سألتوني:

. عمّن تبحث يا عبدالله؟

قلتُ: أتيتُ العالمَ أبحثُ عن رجلٍ يُشبهني
قالوا: فلعله هذا الطفلُ النائِمُ تحت الأشجار.
. لا أعرف.

قالوا: فاخرج من قريتنا وتعلّم
أن تشهدَ بين عيونِ الأطفالِ
نفسك يا عبدالله!

حمار في الطاحونة

واقناتني قدامي إلى طاحونة قمح في مُنخفضِ البلدة
فرايتُ حماراً يلهثُ مكدوداً في الحرِّ وطحاناً يضربه بالسوط.

قال الطحانُ يُعْتَفني:

- إني أطحنُ قمحَ الفقراءِ فماذا تطحنُ أنت؟

قلت: لقد جئتُ أواسي الطحانيين.

فتعجّبَ مني:

- حسناً تفعلُ، إن الإنسانَ يكون وحيداً في الطاحونة

فتعالَ وخذُ دورك!

فكُ الطحانُ لجامَ حمارِهِ واقناده للمرعى

فأخذتُ أدورُ وسوطَ الطحانِ على ظهري.

لكن حماره حمحم من بُغيد:

شُكراً يا عبدالله.

الشيخوخة

كنتُ أسيرُ
حبي للعالم
أخذني للأمصاري
، تطردني للفلوات
يُحرقني
يدخلني
بيع أسكُبه في أعراقي
، أسلكه في الأمطار
جهي يزهرُ بين الأعشاب
نلُ برملِ الأزمان.
برم، مهموماً
نفسى.
مُ إنسانٌ مثلي؟
قطُ من يُبعثُ من قبره؟
نسانُ سوى بهلولٍ
عن نفسه في حضرةِ نفسه
اليزِ الأيام.

وأنا ألهُتُ بين اللحظةِ واللحظةِ
بين خريفٍ وشتاءِ
بين مماتٍ وقيامَةٍ
أَمسَكْتُ يَدَ الإنسانِ ولكنه أَفَلَّتْ مِنِّي
أَغْرَقَ نَفْسَهُ فِي نَهْرِ الأَيامِ وضاع.

- هو ذا الإنسانُ هناك ينام
فَلْيَذْهَبْ مِن شاءَ اليه.

عبدالله في وادي الفئران

ماذا تفعلُ يا عبدالله هنا؟ ماذا تفعلُ في وادي الفئران؟ أقولُ
لنفسي. قتلوك ولَمَّا تُولدُ بعدُ، القُرْبُ بعيدُ عنكَ وسيُفُ الموتُ
على رأسيك. ماذا تفعلُ يا عبدالله هنا؟ في الليلِ أقولُ لنفسي،
ونهاراً أخرجُ للنزهةِ عند ضفافِ الأنهارِ. أهذا ما تفعله في عصرِكَ؟
أنظرُ في وجهِكَ تهزَمُ كلُّ صباح، أنظرُ في قلبِكَ يدخله الموتُ
وانتِ تُواسي نفسك. أيُّ عذابٍ أن تَبْحَثَ عن رأسيك في رأسيك!
أيُّ عذابٍ أن تأكلَ نفسك من جوعٍ لا تُشبعُه نفسك!

- أخرجُ من نفسك يا عبدالله

أخرجُ من موتِكَ!

كان التاريخُ يُناديني. ناديتُ أنا أيضاً:

لن أخرجُ من نفسي حتى يتبليجَ الإنسانُ من الأزمة.

قال: انظرُ هو ذا يخرجُ من رحمِ كلِّ عذابٍ

ليكونَ رفيقَكَ بين الأزمان.

فرايته مُتسكِباً فوق الأشياءِ يُضيءُ، وكان زُجاجُ دُرِّي

يخجبه عني

فصعدتُ إليه وقال: انزعُ نعليكَ على بابي واصعد!

قلتُ: ولكني أخشى أن أصعد.

قال: اصعد لترى ظلك في حجر الوادي.

قلت: جميل هذا الوادي.

قال: ادخل إنك في وادي الشجرة.

فدخلت، رأيت طيوراً تنجح في الريح الشرقية

وهضاباً تسلسها أمطارٌ من ياقوت

وعساكرٌ تخرجُ من دهليزِ شفاف.

- من هم؟ إنني ألمح جيشاً بين الأحراش.

- هم جيشك يا عبدالله.

- ماذا أفعلُ بالجيش ولم أك يوماً جندياً؟

قال: انهض

هذا جيشُ الماضين إلى الآتين اليك فهل تهربُ من جيشك ،

عبدالله؟

عندئذٍ أقيتُ بنفسي في اللجة

وأنا أبكي من فرحي الآتين اليّ صفوفاً من أقصى المستقبل.

الأضداد

مُقْتَرِباً من شَفَقِ الوديانِ أرى الموكبَ يأتي من أقصى التاريخ
ويمضي في أزمنةٍ لَمَّا أشهدُها بعدُ -

الوردةُ والسكينُ على مائدتي

العاشقُ والمعشوقَةُ يعترفانِ أمامي.

فأطلُّ على وطني وأنا الأضدادُ تُمزقُني.

- هل تجرؤُ أن تخطبَ في الحشدِ وأنتَ أسيرُ البغضاءِ؟

- أتحلُمُ بالمستقبلِ وأنتَ أسيرُ الماضي؟

هذا جرحي الشرقيُّ، أنا المتفجرُ أحلاماً والناهضُ من جثَّةِ ماضٍ
يزحفُ خلفي.

فلاحون يسرون إلى سهلٍ ويغنون قصائدَهم للصحراء

وجنودٌ يقتحمون قلاعَ الأعداءِ

إذ أسمعُ هوساتِ المحرومينِ

تصرخُ بي: هذا شعبك يا عبدالله.

فأسيرُ إلى شعبي. أجلسُ في خيمتهِ المفتوحةِ للريح:

- هاتِ القهوةَ يا حمدان!

ينهضُ حمدانُ ويوقدُ ناراً.
وأنا أسمعُه يضربُ في هاوِنه تملؤني رائحةُ القهوةِ والهيلِ.
فتنامُ معاً تحتِ نجومِ كالثُّبَةِ تويمضُ فوقِي
نحلُّمُ أسرى رغباتِ عاصفةِ بكنوزِ من ذهبِ رمليِّ مشور
وصباحاً نخرجُ متجهين إلى مدنِ الأجداد
فوقِ خيولِ تصهّلُ في وادي التاريخِ.

عبدالله يدخل عاموراء

أدخل عاموراء رموني في السجن وقالوا:
يهرّب أعرابي من صحرائه؟
ن: أنا لم أهرّب، بل جئت أقول الكلمة.
حك الشرطيون كثيراً:
ن أنت لتفسيّد أبناء الإنسان علينا؟
وا يأتون اليّ فيفترسون نهاري
ونّ أمام في ثم يقودون صراخي
سرداب ممتليء بالعُثمّة والأطفال.
ن أنا؟
مُتّ الجلاذ يُداعِبُ أبناءه. قال:
خرس يا عبدالله!
الاطفال الي وقالوا:
ذا سرداب الموتى
بتركه الداخل الا في تابوت.
بثّ وقلت لهم:
الانسان يموت وحيداً ما لم يؤمن!
مكوا مني:

- وبماذا نؤمنُ يا عبدالله؟
هل نؤمنُ بالشرطين وراء الباب؟
هل نؤمنُ بالليلِ المعتم هذا؟
هل نؤمنُ بالإنسانِ شقيّاً في سجينه؟
فَكَّرْتُ قليلاً ثم هتفتُ بهم:
- من لم يؤمنَ بي اؤمنَ به
حتى لا يشعرَ قلبي بالوحدة
وإذا ما آمنتُ أكون
وإذا كنتُ يكونُ معي مفتاحُ العالم.

موعد في سامراء

وأنا في بغداد أتاني شيخ مجدورُ الوجه
ويُشرني بالموت
فهربتُ إلى سامراء وحيداً في الليلِ وقلتُ:
هنا لا يعرفني الموت
ودخلتُ بساتينِ أبي، مُكْتَظّاً بالبهجةِ والأحلام
أصرفُ أيامي في نظمِ الأشعار.

ثم اختلفت عني الأزمانُ
وعافت نفسي العزلة
فخرجتُ إلى الشارع أنشدُ سلوى بين الناس.
كان الشارعُ مهجوراً مثل الموت
فأخذتُ أسيرُ وأصرخُ حتى لاقاني الشيخُ المجدورُ
وأوقفني:

- ماذا تفعلُ في بيتِ الموتى يا عبدالله؟

قلتُ: أهذا بيتُ الموتى؟

قال: هنا الريحُ تُمشطُ أجنحةَ الحُقَاش.

قلت: فماذا أفعل؟

قال: اخرج من موتك يا عبدالله!
وتعلم أن ترفع رأسك
كالنخلة
تتحدى الريح!

من مات ليثنهض!
هذا صوتي أصرخه في البرية.

جنة اعرابي

فرسٌ تعدو في الصحراءِ
وعصفورٌ بريُّ يجثمُ في أعلى نخلة
اعرابٌ فوق جمالٍ ينحدرون إلى واحة
- من أين جلبتم هذا الحزنَ إلى البرية؟
- من جبلِ الماضي العائمِ في بحرِ الظلمات.
- هل جاء الماضي معكم؟
- جاء، ولكنه أفلتَ منا في الانسان
ونخافُ عليه يموت.
أشجارٌ واقفةٌ وعواصِفُ تأخذُها الأنهار
وعلى سهلٍ يقفُ الرعيانُ يُغنونَ قصائدَهم للريح
وأسيرٌ إلى مُنْخَفِصِ رملِي
فأرى جنةَ اعرابيِّ كان الماضي
وترفُ يماماتٍ
في الليل.

دعني أطفئ هذا القنديل وأرحل!

دعني أطفئ هذا القنديل وأرحل

فالضوء هنا لا يكفينا

وهناك من يجلس في ضوء أخفت من ضوئي

مُتظراً مني أن أرحل

حتى يأخذ دوري.

دعني أذهب

فعلی رجلی یَضَعُ عَقْبُ حذائك

وعلى وجهي يسقط ظل لا أملكه

وعلى الطرقات الرملية

غرباء ينتظرون مسيحاً من معدن

وأنا من طين بشري.

دعني أذهب

فلعلي أدخل في يوم ما بيتي.

الوصايا العشر الجديدة

لا تُشعلْ كبريتاً في غابة
فالعصفورُ يهابُ النار!

لا تجلسْ في طلعةِ شمسٍ
إذ ثمة من يبحثُ عن ضوء!

لا تُوقِفْ ريحاً في صحراء
قد تجلبُ أمطاراً للبدو!

لا تنظرْ في مرآةٍ
فلعلك صرتَ سواك!

لا تَبصُقْ في بئرِ مُرّةٍ
قد تشربُ منها عَطشاً يوماً!

لا تَسْكُنْ في امرأةٍ عاقرٍ
قد تُنجِبُ منها طفلاً بالصدفة!

لا ترفع صوتك في ليلٍ دايج
قد تسمعك الأشباح فتدخل بيتك من فرط الوحدة!

لا تمزخ بالحبل مع الجلاذ
فلعله يقتادك للشفق!

لا تكبت أفراحك خلف قناع
قد ترفعه الريح وأنت تُغني في الريح!

لا تدخل تاريخاً لم تصنعه يدك
فلعلك تسقط تحت قطاره وهو يسيرا!

الغرفة

قال: الأشجارُ تموتُ إذا لم تتجرؤ من خُضرتِها.
لا شيءٌ هنا يفلتُ من قانونه:
الأعمى النائمُ فوق كمانه
الحوذيُّ العائدُ في الليلِ من الحانَةِ
والجنديُّ الجالسُ في ضفةِ النهرِ جريحاً بين الأشجار.
وأخيراً إذ تعرى الروحُ الكبرى
من ثوبِ الخياطِ الجالسِ في حانوتِ الأيام
ويسقطُ فيها ضوءُ الأبديةِ
يجفلُ عصفورٌ خلفِ سياجِ
تتدلى أغصانُ أخرى خضراءِ
ندخلُ أفواجاً متكئين على بعضِ
دون شموعٍ في الليلِ إلى الغرفة.

صدّاقة

كان هنا عُصفورٌ مفقودٌ من أمِّهِ في الرِّيحِ.
وجاء الليلُ بأَمطارٍ وثلوجٍ غامرةٍ.
الحطّابُ يُدلِّي جردلَه في البئرِ وتأتي زوجته:
«لا ماء هنا».

يذهبُ حتى النهرِ الفائضِ،
يغطسُ في الوحلِ
فيأتي العصفورُ المبتلُّ
ويدخلُ تحت قميصه.

ضياع

- ماذا تفعلُ في هذا الليلِ المظلمِ يا عبدالله؟
- أشعلُ كبريتا.
- هل تبحثُ عن شيء؟
- أبحثُ عن نفسي،
- سقطت مني في الظلمة حيث تراني.
- هيا انهضُ يا عبدالله
- كلُّ ثقبِ العالم لا يكفي
- لتضيء ظلامَ الليلِ إلى نفيك.

في المعتقل

صرخاتٌ مُبَهَمَةٌ تعبرُ من ثقبِ البابِ. هناك ظلالٌ لجنودٍ بيناهُ،
فوق جدارِ زيتونيٍّ. في مُتَنَصِّفِ الليلِ أتى الحارسُ، نادى بضوءِ
أسماءِ. كانوا يرتجفونَ من الخوفِ. وقال «تعالوا».
كان الشابُّ يُفَكِّرُ في أمِّهِ «أين حذائي؟». قالَ الشرطيُّ «بلا أحذيو،
أسرع». ومضوا. خفتت أصواتُ الليلِ أخيراً. ثم سمعنا عذبةً
رصاصاتٍ في الظلمةِ. إذَاك نهضتُ بصمتٍ ولبستُ حذاءه للذكرِ،

قتيل منذ العام ١٩١٤

من هذا السائر فوق حصانِهِ تحت جبالِ القفقاسِ، ملابسُهُ سودٌ وطريقُهُ من مرجان؟

فوق ذراعيه وشومٌ سيوفٍ وأسود.

كان الفارسُ يمضي في نارِ الحربِ. وفي السهلِ ثلاثةُ فرسانٍ
يضطجعونَ على العُشبِ، وفوق الصخرةِ مدفعٌ رشاشٍ متروكٍ،
وأمام الشمسِ تُخلِّقُ خمسُ حماماتٍ مُبتهجاتِ.

قال الفارسُ «إني أنزف». لم يسمعه رفاقه. كان يشدُّ أصابعه فوق
الجُرحِ قريباً من قلبه، والدمُّ يدلُّ فوق الأرضِ فتزهو بالترجسِ.
يسقطُ من سرجهِ بين الأشجارِ فتتحبُّ أمه في عينيه بلا دمعٍ ويظلُّ
حصانه يرعى في العُشبِ البري.

أيتها البرية، أيتها البرية!

في الحربِ مشيتُ مع الأعرابِ أهوسُ أحلاماً،
مُغتَمِراً بعقالٍ وعلى كتفي عباءةُ جذي،
أعبرُ أنهاراً وأغذُ خطايي على الرملِ:
- هنا الكوفةُ فلتتوقف!

نهبطُ في مرجِ العاقولِ ونجلسُ فوق حصي الأيامِ شهوراً،
منتظرين الأعداءَ يمرون إلى الوادي.
- ها هو موكبهم يعبرُ.

- فلتنغزوا!

إضطرمَ الجيشانِ، اضطربَ التاريخُ وماجت أرضُ الإنسانِ دماً.
- إن مُتْ تَكُنْ وطناً.
فاخترنا الموتَ.

أيتها البريةُ، أيتها البريةُ

ماذا فعلَ الغرباءُ بأطفالِكِ بعد الصلبِ؟

ماذا أعطوكِ لتبني بيتك في الوحشة؟

- أعطوني عصفوراً أعمى
وحصاناً مُخْتَضِراً في مرعى.

كان الحادي يُنْشِدُ في البرية
ولذلك أَرخِيْتُ لجامَ حصاني
وهبطتُ إلى مُرَجِ العاقولِ
وحيدا.

المجنون

في عيد الشمسِ اجتمعَ الناسُ وراءَ السوقِ :
عبيدٌ من يثربَ ،
تجارٌ من بغدادَ ،
لصوصٌ من حلبَ ،
عمالٌ من بيتِ المالِ
وفلاحون من الأهوارِ .
وأنا فوق الذكّةِ جاء أميرُ الشعبِ وقالَ :
لقد بلبلتُ ضميرَ الناسِ ، تحدثتُ عن الإنسانِ وأنتَ غريبٌ عنه ،
وغنيتُ كما للريحِ يُغني الراعي .
أفما تعرفُ أن الإنسانَ يتيهُ إذا لم توقدُ في ليله ناراً ؟
قلتُ : ولكنني أوقدُ قلبي .
قال الناسُ :
رأيناكَ توحدُ بين القاتلِ والمقتولِ
بين النارِ الجمرَةَ والماءِ
بين الماضيِ والمستقبلِ
بين الفرحةِ والحزنِ
أفما تدري كيف يكون الإنسانُ بلا أضدادِ ؟

فوقفتُ أُغْثِي وأنا أحملُ قيثاري :

ماذا أفعلُ إن كان هتافي لا يذهبُ أبعد من رأسي؟

ماذا أفعلُ إن كانت كلماتي غامضةً في ليل الإنسان؟

ماذا أفعلُ إن كان البحرُ يُخَرِّبُ نفسه في الأزمان؟

ماذا أفعلُ إن كان غنائي للعشاقِ فقط؟

فبكى مجنونٌ في السوقِ وقال :

ما أعظمَ أقوالك!

خُذني في جيشك يا عبدالله!

فتضحكُ مني القومُ وقالوا :

مجنونٌ يتبعُ مجنوناً.

فذهبتُ إلى المجنونِ وقلتُ له :

هيا نرحل!

ما الإنسانُ سوى مجنونٍ في جلدِ نبي

يتبعُ أشباحه في صحراءِ سراب.

علامات

أَنْظُرْ، تلك غيومٌ تُمَطِّرُ خلف الغابة
ثم تُبْطِلُ الشمسُ فيعشِبُ رملُ البيداء
أَنْظُرْ، تلك رياحٌ تُعْوِلُ بين الأشجار
ثم تجيءُ الطيرُ وتغفو بعد رحيل
أَنْظُرْ، ذلك طفلٌ يلهو مُغْتَبِطاً بين الأمواج
فتفيضُ عليه ويغرقُ في الليل
ثم يُعْنِيهِ البحارةُ ضد الحزن.

ضاق بنا ليل التاريخ

في آخر أسفاري بين الوردة والليلِ وقفتُ أغني العالم.
كان الإنسانُ يَشْفُ مُضِيئاً عبر زجاجِ الأحقابِ، جميلاً بين
الأسلاكِ، وحيداً بين رفاقِهِ:
أطفالٌ مشنوقون، نساءٌ متحجات
عشاقٌ مطرودون إلى الليلِ
كلابٌ تنهشُ أفراساً
ترعى في واحةِ أحلام
لكن الأجدادَ رأوني، صرخوا بي:
ضاق بنا قبرُ العالمِ، ضاق بنا ليلُ التاريخ.
هل تنهضُ، إن المجهولُ يُنادينا؟
فرفعتُ جبينِي نحو الشمسِ، وفي رأسي جُزُرٌ من غاباتِ أذرُعها
وحدي
ونثرتُ همومي قدامِ الركبِ العائدِ من منفى الصحراءِ العربية
وأنا أهتفُ:
- من يحملُ أحزانَ الماضي في قلبهِ يعرف

كيف يُقيمُ مدينته في المستقبل.
فعبّرنا كلُّ صحارى العالم
أفواجاً
أفواجاً
نحملُ راياتِ الأجداد
تخفقُ في الريحِ الشرقية.

اسطورة

من أقصى الصحراء
يأتي أعرابي فوق حصانه
ووراءه يعدو كلبه
فتراه فتاةً وتَجِبُه
ويعودان إلى الصحراء
حيث يعيشان سعيدين
ثم يموتان من الحب.

من يعطي أزهارا للبؤساء؟

من وادي القرية
يُقْبَلُ طفلٌ فوق حمارِهِ
يَتأملُ عصفوراً أزرقاً في البرية
ويفكرُ في الرعيانِ يعودون مع الشمسِ
الى القرية.
يتوقفُ
يهبطُ
يقطفُ وردةً شقيقتي
ويسيرُ أمام حمارِهِ مسروراً:
- إني أستبدلُ ورداً بالبسمات
ولقد بعثُ اليوم جميعَ ورودي
للغرباء.
فيقابلُهُ عبدالله القادمُ من جبلِ الزيتون
وبيكي مبتسماً:
- إنك تبكي بسماتك

وأنا أمتح أزهاري
للفرحانيين.

فيجيئه عبدالله :

- إن كانت أزهارك للفرحانيين فقط

فمن يُعطي أزهاراً

للبيوساء؟

التمثال

أحياناً

يَهْبِطُ تَمَثَالُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ

مِنْ دَكْتِهِ الْبَيْضَاءِ

فِي اللَّيْلِ إِلَى الشَّارِعِ

يَتَجَوَّلُ بَيْنَ الْمَوْتَى اللَّيْلِيِّينَ

أَوْ يَجْلِسُ فِي حَائِصِ صَاحِبِ

يَشْرَبُ قَنِينَةَ بَيْرَةٍ

وَيُدَخِّنُ أَيَّامَهُ.

- مَنْ أَنْتَ؟

رَأَى الْحُرَّاسُ وَحِيداً بَيْنَ النَّاسِ.

- لَا أَعْرِفُ نَفْسِي، لَا أَعْرِفُ نَفْسِي.

وَبِكَيْ:

- أَشْمَرُ بِالْوَحْدَةِ

فَاقْتَادُوهُ إِلَى الزَّنْزَانَةِ

وَهُنَاكَ مَاتَ.

اسئلة

الريخُ تُوشوشُ بين الأوراق

من يسمعها؟

الليلُ يُقسّمُ وجهي نصفين

فأيهما أختار؟

العصفورُ على نافذتي

هل أطرده؟

وهناك إنسانٌ يُقتلُ بين الأشجار

فماذا أفعل؟

فَنَارٌ

أُنظِرْ

ثمة أمواج تهبط في الليل إلى الساحل
تتألق عند فنارٍ مُنطفئٍ بين الأزمان.

أُنظِرْ

ثمة صحراء تنهض من بيت الأجداد
وعواصف يدخلها الأبناء.

أُنظِرْ

ثمة إنسانٌ أبديٌّ يخرج من دجلة
وعلى كفيه رماذُ التاريخ.

أُنظِرْ

ثمة شعبٌ تعرفه
هل نذهبُ فرحانين إليه؟

ذكرى الأصدقاء

تضطربُ الرِّيحُ على نافذتي،
أفتحها وأطلُّ على الماضي -

جُثَّتْ تطفو فوق مياه
عصفورٍ يجثمُ في عشه مصلوباً
أزمنةٌ تشكو الوحدة.

تضطربُ الرِّيحُ فأغلقُ نافذتي
ووحيداً أسقطُ في نفسي:
- ماذا تفعلُ في نفسك يا عبدالله؟
- أبحثُ عن

عصفورٍ مشنوق
وأراهم يشكون الوحدة
وجنودٍ يتكئون على الأشجار.

تضطربُ الرِّيحُ على جسدي
فِينَادِينِي قَلْقِي البشري
أَدْخُلْهُ فِي صَمْتِ
لكن يمامةً أحلامي
تُفَزِّعُهَا خَطَوَاتِي
فتطيرُ مع الرِّيحِ الأبدية.

جبل التنين

جبلٌ أزرقٌ مدفونٌ في الليلِ وراء الغابة
وثلاثةُ أطفالٍ يعدونَ إليه. هنالك يوجدُ كوخُ التينين.
- ماذا تفعلُ فوق الجبلِ المسحورِ؟
- ننظرُ في بيتهِ ثم نعود.
- كلا سأعودُ وحيداً.
أمطرتِ الغابةُ فالتجأَ الأطفالُ إلى كهفِ يسكُنهُ عبدالله.
مرتعباً سألَ الأولُ:
- هل أنتَ صديقُ التينينِ؟
نال الثاني:
- دَعْنَا نرجعْ!
نال الثالثُ:
- إِزْحَلْ عَنَّا!
تأوّهَ عبدالله وقال:
- كلُّ يملكُ تينيهُ!
مذا تينيني

مكتوبٌ أن أقتله
حتى أجلسَ في بيتِ الإنسان.
فامتلاً الأطفالُ هوى
واختلفوا نحو القرية
يروون حكايةَ عبدالله الساكنِ
في جبلِ الثنين.

ماضي التنين

- كان التنينُ ينامُ على صخرته.
- إنه يحلمُ في أحفاده!
كانت أسنانهُ يقطرُ منها الدم.
- إنه من جرحِ الصياد!
كانت عيناه تُطلّانِ على الليل.
- إنه يسرقُ ضوءَ النجمة!
كان عواؤه يُسمَعُ من أجيال.
- إنه صوتُ ضحاياهِ المذعورين!

كان
التنينُ
يموت.

حتى لا نفسي!

- هذا عبدالله القاتلُ تنينَ الغابة.
قال الرجلُ الجالسُ في بابِ القرية
فاندفعَ الناسُ يُعْتَنون وقد أسكَّرَهُم فرحُ الحرية.
أجلسه الملكُ الشيخُ على كرسيه
أعطاه القائدُ سيفه
وأقاموا تمثاله في ميدانِ الأبطال
لكن الرجلَ الحاملَ جلدَ التنين
ألقي الجلدَ على التمثالِ وقال:
- من لا يذكرُ جلدَ التنين
لن يعرفني أبداً.

سعادة

«أبقوا لي شباكاً أشهدُ منه الأشجار.»
قال الشاعرُ في نفسه وهو يسيرُ إلى الزنزانة.
جلبوا نجاراً أغلقَ شباكَه.

«ما أسعدني، يكفيني صوتُ الريحِ تهزُّ الأشجار»
قال الشاعر.
جلبوا حطاباً إقتلعَ الأشجار.

«يكفيني صوتُ الريح»
قال الشاعر.
رفعوا أسواراً لا تعبُرُها الريح.

«يكفيني أني أحياء»
نصبوا مشنقةً في الساحة.

فاتسّم الشاعر:
«يكفيني أني إذ أصدد سلّم موتي
أترك أشعاري بعدي للناس
وأعيش».

هل تكفي عينان لنشهد بؤس الإنسان؟

هل يكفي الشعرَ فمّ مفتوح
حتى ينطقَ بالحكمة؟
هل يكفي العاشقُ قلبَ يخفقُ
حتى يعرفَ أوجاعَ الحب؟
هل يكفي أن تنتزهَ بين الأشجار
حتى نكتشفَ الوردة؟
هل يكفي أن نرتشفَ القهوة
حتى لا نسقطَ في النوم؟
هل يكفي أن نجلسَ في صمتٍ
حتى تعبّرنا الأيام؟
هل تكفي عينانٍ
لنشهدَ بؤسَ الإنسان؟

هل؟

هل؟

هل؟

الرسام والعصفور

مكث الرسامُ طويلاً في غرفته، يرسمُ عصفوراً أزرقاً.
كان الرسامُ يُعاني الوحشةَ والحُمى
فيما العصفورُ وحيداً يجثمُ في اللوحة.

بعد شهرٍ ملَّ العصفورُ اللوحةَ
فانسأب إلى الوادي
حيث الراعي يعزفُ في نايه
والغابةُ تضحكُ جالسةً في ضوءِ الشمسِ. هنالك ظلُّ يُغني
حتى أدركه الليلُ فعاد وحطَّ على النافذةِ المفتوحة.

قال الرسامُ القاضبُ من عصفوره:
- هيا ارجع، ما أسهل أن أمحوَ ألوانك!
فانتحبَّ العصفور:
- ماذا يفعلُ عصفورٌ منفردٌ مثلي
في لوحة؟

ملأ الرسامُ اللوحةَ أشجاراً، وعصافيرَ بلا عددٍ من كلِّ القارات،

- شموساً، أقماراً ورعاةً في الوديان.
- لن تهربَ مني هذي المرة.
ضحك المصفورُ وقال:
- من يجلسُ في سجنِ والعالمِ ممتلئٌ بالبهجة!

وأخيراً إذ هبطَ الفجرُ على الغابة
شاهدَ سُكَّانُ الأرضِ جميعاً رعياناً ينحدرون إلى الوديان
وعصافيرٌ تُغني بين الأشجار
وشموساً تبرزُ في الليلِ ورساماً
يحملُ عصفوراً
يجثمُ في أعلى رأسه.

أسرار

ها أنذا أجلسُ في هذا الزمنِ المشدودِ إلى الأبدية
أنظرُ في الإنسانِ لأكتبَ في دفترِ أسراري أسرازه:

- ماذا أكتب؟

- ماذا يُمكنُ أن تكتبَ والإنسانُ يموت؟

- من موته يبعثُ الإنسانُ هنا

لِيُرَمَّمَ ما هَدَمْتَهُ يداه.

- والبذرةُ تَفنى.

- فتكونُ الشجرة.

- أين الشجرة؟

- في الريحِ تُقَتَّى.

- أين الريح؟

- تُعَوَّلُ في القيثارة.

- من يَعْرِفُها؟

- رجلٌ مشنوقٌ في زنزانة.

- هل حدِّقْ في عينك طويلاً قبل الموت؟

- كان بلا عينين فلم يعرفَ أحداً غيرَ الجلاد.

- هل تعرفه؟

- من؟
- الجلاد.
- كلُّ يَعْرِفُ جَلَادَهُ.
- والجلاد؟
- معنا يجلسُ خلف الأبواب
- وَيُسَاطِرُنَا خَبَرَ الأطفال.

عويل

ها أنذا أسقط في الليل ووجهي مدفون في الحائط
أعولُ مخنوقاً بدموعِ ضحايا مشدودين على أعمدة الشارع،
إذ يتزفُ ماضي الموتى من قمع الأيام
أعولُ مخنوقاً بنشيد متروك في الوحل
بعيون تنظر في عيني وتبكي خلف الأسلاك، تقول:
دعوا القلب يقلُّ أحلامه للأحلام!
دعوه يعانِ عذابه في كلِّ عذابٍ بشري.
ها أنذا أعولُ، حيث الوردة تُزهرُ في بستانِ الغرباء
أعولُ، حيث الدم يقطرُ من خبز الفقراء
أعولُ، حيث الحبُّ بلا مملكة في العالم
أعولُ، حيث الصرخة دون فم يصرخها في البرية
أعولُ، حيث الشاعرُ يجلسُ مطروداً في المنفى
ويموتُ على أرصفة العصرِ غريباً
أعولُ نفسي، مُكْتَظاً بضيوفٍ لا أعرفهم
في دهليزٍ ممتلئ بالأعينِ ترنو في الليلِ الي
أعولُ في هذي الأرضِ الصحراءِ
إذ أعرابيون يجوبون الواحات الكلسية

إذ مائدةً تُنصَبُ في بيتِ الشيطان
وقيودٌ أكرهها في معصمِ جندي
أزمنةً تتدفقُ في نهرِ
ويعاماتٍ تجثمُ في دربِ الراعي.
أغولٌ مجلوداً كلَّ ضحايا التاريخ.

الحبيبة

- أيتها المرأة، أيتها المرأة!
ناديتُ فما سمعت ليلي صوتي
لكن الريح ارتعشت في جسدي
وعرفتُ همومَ العشاق.
- أيتها المرأة، أيتها المرأة!
منذ ابتداء الكون وكان النور
وأنا مجنوناً أنطقُ باسمِك في أحلامي
أخبرُ عنك الشعراء.
- هل أخبرت الشجرة؟
- أخبرتُ فما امتلأت بالخضرة.
- والريح؟
- أخبرتُ فما اختنقت بالموسيقى.
- والبحر؟
- اضطربَ البحرُ فكان الطوفان
من أجلكِ أيتها المرأة!

الفجر ينبثق من الكوة

أَمْسِكْ عَصْفوراً
أَطْلِقْهُ
فِي الرِّيحِ
فَيَصِيرُ رَماداً.

أَمْنَحْ حَبِيبِي
امْرَأَةً
فَتَمُوتَ.

أَعْلِنُ نَفْسِي
مَلِكاً
فَأَرَى شَعْباً يَخْلَعُنِي.

أَدْخُلُ نَفْسِي
فَأُلَاقِي
أَجْيالاً تَسْكُنُنِي.

ولهذا أمنحكم
هذا الحبّ الدامي
حتى ينبثق الفجرُ
من الكوة
ويعود العصفورُ
الى الغابة.

الخاتمة

ورأى عبدالله أخيراً ضوءاً يتألق في أقصى المستقبل
قال: هو ذا ذَهَبَ الأيامِ هناك!
فسارَ طويلاً في الشمسِ وتحت الأمطار
- ما أبعدَ كنتري!
قال لنفسه.

سار طويلاً والضوءُ هناك.
- ما أقصرَ أيامَ الباحثِ عن ضوء!
قال لنفسه.

في البدءِ رأى رجلاً يتبعه، قال:
- ماذا تبحثُ عندي؟
- إني أبحثُ عن كنترٍ مشعولٍ بالضوء.
- إن الدربَ طويل
وحياةَ الإنسانِ قصيرة.
- ما أشقى إنساناً لا يسلكُ دربَه!

في يوم بعد الأيام تَلَقَّت خلفه مذهولاً
فراى جَمعاً من أشباح.
- من أنتم؟
- نبحث عن ضوءٍ مثلك.

سار طويلاً أياماً، أعواماً والضوء بعيد
ورأى شعباً؛ فلاحين وعمالاً، سماكين وأطفالاً وجنوداً ونساءً
يعدون وراه في صحراء،
فتعجّب من شعبٍ يعدو في صحراء.

قالوا:

- لا تعجب يا عبدالله فان العُجَبَ ضلالة
وإذا ما ضلَّ الإنسانُ يموت.
فاستعتم عبدالله النفس:
- ما أبعدني عن ضوئك يا مملكة الحرية!

ومشى عبدالله شهوراً، أعواماً أخرى ودهورا.
كان الضوء هناك
ووراءه يمشي الناسُ جميعاً.
- ما أسعدني!

ثم استلقى عبدالله على العشبِ ومات.
لكن الركبَ مضى

فلاحون وعمال، سماكون وأطفالٌ وجنودٌ ونساء
يعدون جميعاً
عبر القلواتِ إلى الضوءِ القادمِ من ليلِ الأيامِ.

فإذا ما شاهدتِ الموكبَ يا عبدالله القارىءَ أشعاري
في الشارعِ أو في بيتك
الآن وفي كلِّ الأيامِ
فاتبَعهُ ولا تَسألُ أين يسير
فلعلك تَعثرُ في يومٍ ما في الصحراءِ
على كنزِ حياتك، مَطموراً في الرملِ.

رجل يرمي أحجاراً في بئر

ذكري نفسي

ضوء

في أسفل وادٍ يجلسُ أعرابُ
يحصون نقوداً
أعواماً
ودهوراً
ثم يرون نجوماً تسقطُ خلف تلالٍ
فيقومون إلى الليلِ
وفي أعينهم
ضوءُ الأجداد.

١٩٨٧

المدخنة

مدخنة تنفث في الريح دُخانا
تنفث أحياناً أحلاماً
تنفث أحياناً أحزانا
تنفث آثارَ رجالٍ في غرفة
يروون أحاديثَ الماضين
تنفث صمتَ امرأةٍ
بين ذراعي رجلٍ يتذكّرُ عاصمةً من خوف
جالسةً في صحراء
تنفث ذكرانا.

مدخنة تنفثنا يوماً يوماً
في ليلٍ سماءٍ أُخرى
في الريح.

١٩٨٧

العين

عينُ الموتِ الحيوانِ تُضيءُ وتبرقُ مثلَ نهارٍ
يجلسُ فوقَ صخورٍ نائيةٍ
مثلَ لصوصٍ ينتظرونَ لصوصاً في ليلٍ.

عينٌ سوداءُ على كَفِّ
تترصدُنا
عينٌ في فكي ذئبٍ
يعدو في بستانٍ ورودٍ
ندخله يوماً مُغتربين.

عينُ النارِ الأبديةِ في قلبي
عينُ الذئبِ.

١٩٨٧

رجل وامرأة

رجل يخرج من كهف
ويُخَدِّقُ في ديناصورِ
يتجولُ في مرعى مهجور.

إمرأة تهبطُ من جبلِ
تقصِدُ ينبوعاً
يتدفقُ بين صخور.

رجلٌ ما
إمرأة ما
قد يلتقيانِ وقد لا يلتقيانِ.

١٩٨٧

الفخ

أحياناً نعبُرُ نهراً
فنرى أنفسنا في زمنٍ آخر
أحياناً ننظرُ في مرآةٍ
فنرى أنفسنا في سجن
أحياناً نصطادُ امرأةً
فنرى أنفسنا في المنفى
أحياناً نقرأُ أشعاراً
فنرى أنفسنا في الشر.

هل تعرفُ ماذا يُمكنُ أن نفعل؟

١٩٨٧

الرجل المجهول

أبدأ نترك أياماً
نقذفها في بئر
مثل حصاةٍ
تسقطُ في ليل.
أبدأ يخرجُ مُبتلاً رجلٌ مجهولٌ
يجلسُ عند الفوهة
ويُعيدُ لنا ما ضاع.

١٩٨٧

الصرصار

ستيقظ ذات صباح من نومه

ثل جميع الناسِ غريغوري سامسا

استغربَ أن يُصبحَ صرصاراً

لذلك فُكّرَ مُتتَمِماً

ن يقصدَ غرفةَ كافكا في الليل

يقرضُ كلُّ رواياته في القلعة.

'تغضب يا صرصار البيت، غريغوري سامسا

. ما زال هناك سريرٌ تدخلُ تحته

. ما زال هناك ثقبٌ تسكن فيها

فُتاتٌ تسرقها في الليلِ من المطبخ

أخيراً ما جدوى أنك كنت غريغوري سامسا؟

١٩٨٧

جندى امام خندقه

وقفَ الجندىُّ امامَ الخندقِ
خَدَقَ في طائِرَةٍ ذاهِبةٍ نحوَ مكانٍ ما في الفجرِ
فاستسلمَ للريحِ المكبوتَةِ في نهرِ الأعشابِ، تهبُّ على الوادي
عابرةً حقلَ الألغامِ المكشوفةِ
حيثَ طيورٌ تبني أعشاشا
في خوذَةِ جندىِّ مقتولٍ
او جثةٍ دبابَةٍ.

وقفَ الجندىُّ امامَ الخندقِ، ممتلئاً بالموتِ الجالسِ
خلفَ التلِّ الآخرِ
وتَبوَّلَ في صميتِ فوقِ الحربِ.

١٩٨٧

احلام

أشباح تجلسُ في حقلٍ تتبادلُ أحلاماً ونكات
وطيورٌ من معدن
هادئةٌ تجثمُ بين فروعِ الأشجار
وتزفرُ للتاريخ.

لا تُطليقِ إِسْمَكَ، أنتِ العاصي المبهورُ على ما لا إِسْمَ له!
لا تَنْكُبِ إِسْمَكَ، أنتِ الفاتحُ، فوق الرمل!

ماموثٌ أسودٌ يرعى في العُشبِ، حصانٌ
يَتَشَمُّمُ جثةَ طيارٍ
مربوطٍ بمظلةِ البيضاء
وتليفونٌ يقرعُ في منفى
أرفعه مُضطرباً
وأكلُمُ نفسي في الطرفِ الآخر.

١٩٨٧

حقائق

في ذاكرة التاريخ دم ينزف من جرح مفتوح
يقطر من غيمة.

في كتبه المتروكة فوق الرف
آثار غزاة في الرمل
وجيوش تزحف في العتمة
عند خليج مزدحم بالأموات
وعناكب في كهف.

في بيت التاريخ النائي
أعمى يعزف في وحدته مُتَكَبِّراً فوق كمانه، مهموماً
منسياً حتى من نفسه
أغنية عن حبٍ مقتول
وعلى مقربة من مزبلة التاريخ نرى أحياناً
حرباً تغيب كفيها بالديتول.

١٩٨٧

أشجار تنظر في ميدان

أشجارٌ تنظرُ في ميدانٍ
تقطعهُ سياراتٌ
مقبلةٌ
ذاهبةٌ

وامرأتان تقولان لبعضهما
أسراراً عني
وعلى منضدةٍ في غرفةٍ
تجلسُ نظاراتٌ داكنةٌ
تتحرقُ شوقاً للرؤية
باحثةً صامتةً عن عيني.

١٩٨٨

الأبدية

تأتي الأبدية عندي وتزف فأمسكها
من كفيها بيدي وأسجنها في قنينة
أفدقها في جدول.

تأتي الأبدية عندي وتصيح فأمسكها بذراعي
وأرافقها في نزهتها
بين الوديان.

تأتي الأبدية عندي هادئة
تدخل قلبي
وتنام.

١٩٨٧

الوحش

بين الأشجارِ طريقٌ يلتفُ على نفسه
أقطمه

في الثلجِ وحيداً في الليل
وعلى مَبعدةٍ أسمعُ أصواتَ قطاراتٍ
تتوقفُ

مُغَوْلَةٌ
تهبطُ منها سيدهُ عائدةٌ من حفلةِ رقص

في صُحبةِ جنديٍّ

قد يتركها فجراً ويفيب

او يصعدُ فيها رجلٌ

بَدَدَ أحزانه

في حانة.

بين الأشجارِ أعودُ وحيداً مرتجفاً

في الثلجِ

أفتحُ باباً مُغلقةً

أشعلُ ضوءاً

أطفىءُ ضوءاً

وعلى ركنٍ سريري
الْمَحُ وحشاً
يجلسُ كَالْقِطَّةِ مُخْتِلاً
ينظرُ في عيني.
أَمْسِكْهُ مِنْ كَفْيِهِ وَأَقْدِفْهُ فِي الثَّلْجِ
مثلُ غُرَابٍ مَيِّتٍ
وَأفكُرْ بِالْأشْجَارِ.

١٩٨٧

شيخوخة

شيخٌ يجلسُ في منفى
يرقبُ أفجاراً تبرزُ من نافذةٍ مُغلقةٍ في الثلج
يتذكرُ عُصفوراً في الشمس
طائرةٌ تقصفُ رعيانا
ونساءً في عرس.

من هذا الناهضُ مثل نهارٍ أسودٍ في ذاكرتي؟
ما هذا الجرحُ النازفُ في خاصرتي؟
من هذا القادمُ فوق حصانهِ؟
من هذا السائرُ في المنفى مثل نبيٍّ مخبول؟

آه، وداعاً أيتها الشيخوخة
آه، وداعاً أزمئةُ العصيان
آه، وداعاً أيتها الوديان
آه، وداعاً دجلة
آه، وداعاً إخوتي الجلادون
آه، وداعاً إخوتي المقتولون

الآن وفي كل الأوقات.

شيخُ يجلسُ في زاويةٍ من غرفةٍ
ويفكرُ:
كم كان العمرُ جميلاً وقصيراً!

١٩٨٧

مقابلة قصيرة مع نفسي

س: ماذا تفعلُ في هذا المنفى الأبدي؟

ج: أحملُ كيساً وأعبئه أحلاما.

س: أحلاماً؟

ج: وأسجّلُ ذكري نفسي في هذا العالم:

أدخلُ مقهى

أطلبُ شايّاً أو قهوة

وأغازِلُ نادلةً لا أعرفها

او أمرُحُ في مزجٍ مهجور.

س: هل تكتبُ أشعاراً أيضاً؟

ج: أكتبُ أشعاراً للتمويه وأحياناً

أشعاراً أصنعُ منها ألقافاً للروح

ومفاتيحي أرميها في نهر.

س: هل تَعشَقُ لونا ما؟

ج: أَعْشَقْتُ لَوْنَ الْبَحْرِ الْهَادِيءِ فِي عَيْنِي أُمِّي.

س: هل ترغب أن تذكر شيئاً آخر للقراء؟

ج: آه، نعم، آه، نعم

فَلْتَنْقُلْ حَبِي لِلأَحْيَاءِ

وَتَحْيَاتِي لِلأَمْوَاتِ!

١٩٨٧

الملوك الثلاثة

فتَحَ الملكُ الأولُ عينيه وحدَّقَ في نجمته توميضُ لؤلؤةٍ في الليل.
إستلقى الملكُ الثاني فوق القشِّ وفكَّرَ في طفلٍ يولَدُ من جُرح.
أما الملكُ الثالثُ وهو القادمُ من أقصى العالمِ حتى يشهدَ بعثَ الله
فراى النجمةَ في الوادي تخبرو والليلَ يقوم.
كان مسيحُ دجالٍ آخرُ يدخلُ في ليلِ سدوم.

آه، ما أصعبَ هذي الرحلة!

آه، ما أصعبَ هذا الوحيَ الكاذب!

١٩٨٧

إنطباعات

أحصنة زرقاء
تتمدد في مرعى.
رجل يجلس في أسفل تل
ويحدق في غابة.
عين تنظر من خلف جدار
في وحش.

أحصنة زرقاء
تتمدد ميتة في مرعى
رجل يجلس في أسفل تل
يبكي
عين تنظر من خلف جدار
في أعيننا.

١٩٨٧

القديس

قديسٌ يجلسُ في كهفٍ
يغسلُ أفكاراً
ينشرها في الشمسِ على الأشجار
ويجفُّها في الريح.

آتية صديقاً من زمنٍ آخر
فيحدثني
عن أقمارٍ وشموسٍ
في منفى
عن سجينٍ كنا نقطئه يوماً
عن فلاحٍ لص
يشربُ من ينبوعٍ.

قديسٌ
يُشبهني أحياناً

يجلسُ في كهفٍ
أعطيه بدأً واثقةً
ليرافقني في رحلةٍ صحرائي
لكنه يبكي مقهوراً
ينظرُ في عيني بحزنٍ
ويموت.

١٩٨٧

تحت أنصاب النصر

حين أطلّ السائق من خلف زجاج الرؤية مُفْتَمّاً
كان الطوفانُ يعمُّ العالم -
مطرٌ ورعودٌ وسيولٌ جارفةٌ
قادمةٌ من مرتفعات ربيع ناهٍ
وأمامه في منحدر الوادي
نهضت جثّة جندي غارقة في الوحل
ترفعُ كفّاً محروقة
أكبر من ذاكرة
النسيان
لكنه

مُفْتَكراً في جنرالٍ يُلقى خطباً في التلفزيون
عن أجمل قتلاه وهم يسرون إلى الجنة
مرّاً عليها بهدوء
ومضى في الفجر بدبابته نحو
الجبهة.

تحت الأنصابِ المرفوعةِ للنصر
يشخرُ أبطالُ مقررورونَ
ينامونَ بلا أكفان
في حُفْرِ التاريخِ الملقى بالوحل!

١٩٨٧

سيف بن ذي يزن في وادي الغيلان

في فِجِّ النارِ رأيتُكَ، في وادي الغيلان
تتجولُ بين الجنِّ وحيداً وعلى رأسِكَ تاج
وضُرَاخُكَ يختصرُ الأزمان
مثل غُرابٍ مسحورٍ في قصرِ سُليمان.

هل كان عليكِ وأنتِ الشاعرُ أن تدخلِ في فِجِّ الناز
وتُقَبِّلِ ساحرةً من شفيتها؟
أن تسرقَ سيفَ النيلِ وتمتحنِ الأهوال؟
لكن لا تياسِ أبداً يا سيف!
فعلى الساحلِ تصطفُ ملائكةُ هابطةً في منطاد
خارجةً من وكرِ سري
آتيةً من بغداد.

فَلْتَهَبُطْ يا سيفُ أخيراً! فلتهبطِ في هذا الوادي
فلقد ولى الساحرُ وانتهتِ الرحلة.

١٩٨٧

البيت المهجور

يعلو العشبُ العتَبَة
فَيَغْطِي السُّلَمَ حَتَّى السَّطْحِ.

عُصْفُورٌ يَدْخُلُ مِنْ نَافِذَةٍ تَالِقَةٍ
وَحِجَارَاتٌ تَتَكَدَّسُ خَلْفَ سِيَاحِ.

فِي اللَّيْلِ تَجِيءُ الرِّيحُ وَتَجْلِسُ فِي الصَّالَةِ
تَتَذَكَّرُنَا
وَتُعَدُّ نَجُومًا تَوْمِضُ فَوْقَ طَرِيقِ.

١٩٨٧

آثار

الباب

بابٌ موصدةٌ في حقلٍ مهجورٍ
وعصافيرٌ بيضاء
تتألقُ، حيث دمٌ مطلولٌ فوق بنفسجةٍ سوداء.
- أية أسرارٍ نكتُمها بابٌ مُغلقةٌ؟
هل أفتحها؟
يقترُبُ الطفلُ، تفرُّ عصافيرُ الحقلِ.
- لا تفتحُ باباً موصدةً
قد يخرجُ منها أباًؤكُ آتين من الصحراءِ العربيةِ
قد يخرجُ منها ليلٌ أبديٌّ
او جنديٌّ مطعونٌ في القلبِ
قد يخرجُ منها جلاذٌ يقطعُ رأسكُ.
يا طفلي دغِ بابِ الليلِ هناك!
دغها موصدةً
تتألقُ كالفضةِ في حقلٍ مهجورٍ!

١٩٧٩

قافلة

٧ فرسان

عبروا تلاً يسكنه التاريخ
وانحدروا نحو السفح الآخر
تضربهم ريح الصحراء
مسنودين إلى بعض
مثل لصوص في ليل.
- هل نشبت حرب أخرى؟
- هل خسروا حرباً أخرى؟
سأل البدو الأيام.
- لا أحدٌ يدري.

٧ فرسان

عبروا التل إلى الوادي.

١٩٧٤

غياب

فرسٌ تتبعُ الريحَ، كلُّ الحوافرِ تقدحُ - يأتي الرجال
من بيوتِ الزمانِ البعيدةِ، يجتمعون هنا أو هناك
يجرعون من الخمرِ حتى الثمالة
ويقولون أشعارهم مرةً للحبيبِ الخؤون
مرةً للحبيبِ الذي لا يخون
ثم يوقظهم ذاتُ يومٍ هتافُ المُنادي
بناقوسه الأبدى
فيعودون تتبعهم ريحهم
ويغيبون في حُجراتِ الزمانِ البعيد
والحوافرُ تقدحُ فوق الحجار.

١٩٧٤

صمت

ما للنسرِ يُخلِّقُ فوق الوادي
مُختنقاً في الريحِ يُعثرُ صرخته بين الأجيال؟

آو، سأقدّمُ نفسي للبحرِ وأصغي لمويلِ الأمواج
لتكونَ لقلبي ثانيةً أحلامه!

أجنحةٌ تخفقُ فوق ممزٍ حجريٍّ أبيض
ويداي تنامان على المستقبل
حيث يُضيءُ القلبُ نهاراً كان معي في المعتقلات.

آو، من أسئلةٍ أمضتها تحت لساني
وأموثٌ لأن فمي ممتلئٌ بالصمت!

١٩٧٤

الأعرابي الذي سرقته الصحراء

بين البصرة والكوفة
حيث حقول يسكنها قومٌ مشدودون إلى الأبدية
وقف الأعرابيُّ المسحورُ
يُحدِّقُ في ملكاتٍ يخرجن من الرملِ المشور
وينادين عليه: تعال! فاجتازَ البوابةَ، مُتَجِهاً نحو خيامِ الياقوت.
- كيف اشتاقت نفسه للجنة؟
ماذا يفعلُ في مملكةِ المجهول؟
- ما من أحد يدري.
لكن الكوفةَ ما زالت تحلمُ أن يدخلها يوماً
أعرابيُّ سرقته الصحراء.

١٩٧٩

عصيان

هبطت حواء من الجنة
يتبعها آدم مأخوذاً بالعالم
سكنا الأرض، أقاما أبراجاً هادية
مدناً من حجرٍ في البر، وفي البحر سفائن من معدن.
إخترعا شعباً صار شعوباً
إبتكرت أوطاناً.

كانت تأكل أحياناً حتى التخممة
او يُنهكها جوع قاتل
ومع الأيام تخوض حروباً
باحثة عن مجيد دموي
يرويه فلاسفة التاريخ
ويغنيه الشعراء.

آه، أين الأم الأولى

تفضّم نفاحتها
رافضةً أن تخضعَ حتى لله؟
سأقبلُها من شفيتها وأقولُ لها:
- شكراً أيتها المرأة
أيتها العاصيةُ الأولى
يا صانعةَ الحرية!

١٩٨٠

لذلك

كان الفارسُ يجتازُ سهوباً مُعشبةً
فراى امرأةً تبكي في صحراء
ولذلك مات.

كان الفارسُ يكتُمُ صرخته
يجتازُ الشيخوخةَ في الطفلي
وفي التاريخِ النسيان
فراى جسداً تنهشه الغربان
ولذلك مات.

كان الفارسُ مبهوراً
يدخلُ يثربَ في العتمة
فراى وطناً من كلمات
يُمطرُ جلادين بلا قلبٍ
من غيمة

ولذلك مات.

كان الفارسُ يحملُ في هودجه أقماراً
إنطفأت
ولذلك مات.

١٩٧٩

بادية الله

باديةً
تقطئها أجيالٌ
تتركُ صبيحتَها غابرةً
فوقِ فمِ الأبديةِ.

باديةً من ملحٍ
تملؤها الريحُ
وخُزامي
تُزهَرُ في بستانِ الليلِ.

باديةً أبعدُ من أحلامي
نارٌ موقدةٌ في ليلِ قوافلِ تبحثُ عني
ضيْفٌ يُمسكُ غرْبتهِ من يديها
مسكوناً بمخاوفِ أسلافه في العتمةِ.

باديةً
دونِ سجونِ يحرسُها

فقراء شرطيون يُعذبهم جُرحُ الأيام.

باديةً من رملٍ
من حفنةِ رملٍ
لم نطلبْ أكثرَ من ذلك
لم نطلبْ أبداً أكثرَ من ذلك
يا باديةً اللهِ العربية!

١٩٧٩

وداعاً

وحيداً يسيرُ إلى المشنقة
يداه إلى الخلفِ
سبحُ بنادقَ في ظهره المستقيم
وكان يفكرُ في امرأةٍ سوف تبكيه صامتةً
كان يحلمُ بالشمسِ من بعده
والعصافيرِ والنهرِ
وال... وال...
وكان يرى نخلةً تدخلُ الريحُ فيها
فتهتز. كان يرى غيمةً:
- ربما أمطرت بعد موتي!
ويلمخُ نرجسةً تختفي في الحشائش
خلف السياج:
- سيقطفها رجلٌ ما
يُقَدِّمُها لفتاةٍ سعيدة
فتركها وهي تمضي على مقعدٍ في حديقة.

ومدّ إلى الفجرِ عينيه. كان وحيدا
وسار على السُّلمِ الخشبي
ففزت بعمامة
تنامُ على المشنقة
وطارت بعيدا.

١٩٧٤

رجل في مقهى

رجلٌ

يجلسُ في زاويةٍ من مقهى

ويدخنُ في صمتٍ

بين نساءٍ مبتهجات

يتبادلن نكاتٍ لا يسمعهما

وراء زجاجِ المقهى في الشارع

يخترمُ الثلجُ الأشجار

وقطاراتٌ تتوقفُ أحياناً

يصعدُ أو يهبطُ منها

ركابٌ

بمعاطفٍ جلدية.

رجلٌ

يجلسُ في زاويةٍ من مقهى

ينهضُ من مقعده

يدخلُ في معطفه

يبحثُ عن شيءٍ ما فوق المشجب

قبةٍ في لونِ التبغِ المحروق

تميل قليلاً
نحو الأعلى
يُخفِضُها فوق جبينه
يخرج للشارع
ويسير
وحيداً
تحت الثلج.

١٩٧٩

السجين السياسي

في سجنٍ ما
في باديةٍ مغلقةٍ
في بلدٍ مغلوقٍ
يقبعُ إنسانٌ ما في الأغلال
لا يعرفه أحدٌ منا
قد يركله الجلادون
وقد يسخرُ منه الشرطيون
قد يُنكره حتى أصحابه
قد يُطلقُ لحبته قتلاً للوقت
قد تشتته الصحفُ الصفراء
وقد لا تذكرُ حتى اسمه

او

تُصغره إعلاناً ليلياً
فوق جدارِ الشيطان
لكنه وهو يواجهُ جلاديه
في عتمةٍ سجنه داخلِ أغلاله
متجداً بالمستقبلِ يهدرُ مثل نشيدٍ غامضٍ

بعذابِ ضحايا الأرضِ جميعاً
يقدرُ أن يهدمَ كلَّ سجونِ العالمِ
ويحررنا من ماضي الخوفِ الأعمى.
وإذا ما كان جريحاً هذي الليلة
فلسوف يقومُ غداً
ليؤسسَ تاريخه.

١٩٧٩

الجلاد

يستلقي الجلادُ على الماضي
مُكْتَظاً بنوايا غامضةٍ
ويمد يديه ليمسك بالليل الأعمى
كجريح يتزفُ مختنقاً بصراخِ ضحاياهِ
في قاموسِ ضميرِ سري
يسترجعُ كلَّ دمٍ مسكوبٍ في التاريخِ
وكلَّ عويلٍ في الغابةِ.

يستلقي الجلادُ على نفسه
مشبوهاً بجرائمٍ مُضمرةٍ
ويعودُ إلى جسدِ الأمِ الدامي
أنهكها الطلق.

١٩٨٠

القصيدۃ المقفلة

تُولدُ القصيدۃُ أو ربما قد تموت
وهي تنقلُ إيقاعها المستريب
قد تقولُ الذي ستقول
قد تقولُ الذي لا تقول
وقد يُطفئُ الليلُ أبيتها في الظلام
فيفتقدُ المرءُ ضوءَ الشموع.

إنه الفخُّ ينتظرُ الشاعرَ المستحيل
وهو يدخلُ بيتَ القصيدۃِ مُتجدداً بالجنون
ومُتلبناً بالحياة.
ها هي القصيدۃُ مُقفلةٌ بالحنين
وشاعرُها يفتحُ الكلمات.

١٩٧٩

آدم يتذكر أيامه في الجنة

القارب

في مكانٍ ما على الساحل
عثر رامبو على سبارتاكوس
جريحاً ينزفُ فوق الصخور.
ضمده، أطعمه وكساه
ثم باعه في السوقِ القديمةِ في اليمن
لملكٍ من فارس
كان يجمعُ العبيدَ الأبقين
ويضعهم في قارب
مُسَلِّماً إياهم للبحر.

وإذ رأت أم رامبو المشهدَ كله
وضعت رأسها على الرملِ ونامت
حالمةً بالأسود.

١٩٨٧

هكذا

هكذا الفجرُ يجلسُ على الشجرة
مُدلياً ساقيه في الريح
هكذا الحصانُ يهبطُ من التل
فَرِحاً بالربيع
هكذا الحربُ تنتزهُ على الساحل
مُسدلةً شعرها الفوسفوريَّ على الكتفين
هكذا الزمنُ يستيقظُ كلَّ صباح
ويُبَلِّلُ شفثيه بالندى
هكذا الوطنُ يَتَكَيءُ على عُكَّازة
ويسيرُ الى ذكرياته وحيداً
هكذا كلُّ شيءٍ.

١٩٨٧

ملك التاريخ

يقفُ القمعُ أمام شجرةِ نارٍ
ملفوفةٍ بأسلاكٍ شائكة
ويُلَوِّخُ لأبنائه
بيديه
عالياً
مثل ملكٍ بين رعيته
ذاهبٍ إلى التاريخ
ليُعيدَ له نقوده المزيقة
قبل أن يضعَ كفه الحانية
على جيبيني
ويمسحَ بأصابعه
دموعي

١٩٨٧

آخر الموتى

صخرة
تسقط داخل ذكرى
فتجفل طيور
تجثم في حقل الغمام
مسكونة بروائح أعشاب ندية
وفي مكان ما ينهض الميت الأخير
يضع يده الباردة
فوق رأس العراق
ويحمله على كتفيه
هادئاً
مثل طفل في حلم.

١٩٨٧

مثل جندي هارب من الجبهة

كل ليلة أضغُ العراقَ على طاولتي
وأقرضه من أذنيه مداعباً
حتى تدمعَ عيناه من الفرح.
شتاءً باردٌ آخرُ تخترقه الطائرات
وجنودٌ يجلسون على حافةِ رابية
ينتظرون تاريخاً
ينهضُ من عتمةِ الأهوار
وفي يده بندقية
تُطلقُ ملائكةً
تندربُ على الثورة.
كل ليلة أضغُ يدي فوق العراق
فيفلتُ من بين أصابعي
مثل جندي هاربٍ من الجبهة.

١٩٨٧

انتظار

حين وضع المحاربُ الليلَ في صدره
استحالَ نهارا.
كان البرقُ يتظره
في عربةٍ
منحدرةٍ
من ذكرياتِ أمه البعيدة.

١٩٨٧

الحبل

كان يوسفُ فتى من بابل
ألقاه إخوته في الجب
لكنه وهو الساحر
كان يحملُ معه دائماً
الحبلَ الذي به يصعد
عارفاً أن الذئبَ الذي أكَّه
سوف يلوي عُقَّه
ويعودُ مرةً أخرى
إلى البرية.

١٩٨٧

يوسف والذئب

الذئبُ الذي أكلَ يوسفَ في البرية
ظلَّ يُحدقُ في فوهةِ البئرِ طويلاً
متظراً الطفلَ القديم
يجلسُ في القعرِ وحيداً
مُصغياً إلى عواصفِ قلبه.
ولكن يوسفَ الذي سيكونُ ملكاً
على اورشليمِ الميتة
وضعَ يدهُ على الذئبِ وباركهُ
ثم خرجا معاً إلى التاريخ
تاريخيّين آثارهما
على الرمل
مثل كلمةٍ سرٍ في الليل.

١٩٨٧

قبعة الساحر

أنزَعُ قبعتي
أضعُها على المنضدةِ أمامي
أملؤها بكلِّ ما في جيوبي
مفاتيحي
علبةِ سيجاري
محفظتي
منديلي
دفترِ عناويني
وأنتظرُ امرأةَ تخرجُ منها
تضعُ رأسها على صدري
وتقول: أحبك!
أنتظرُ نجمةً مقبلةً فوق موجة
وربما أيضاً
جدولاً صغيراً
يتدفقُ في الربيع.

ولكن لا شيء يحدث
لا شيء يحدث أبداً.

يائساً من الأمل
أرفع الفجر على رأس حربة
وأسلمه
للطيور.

١٩٨٧

فصول

على امتدادِ الحقول
في طرفِ النهر
فوقِ الحصى
يعدو الحصانُ الأبلق
قافزاً
من موجةٍ إلى أخرى
مثل سمكةٍ
ترصدُ غيمةً.

الريبعُ الذي جاء مرفرفاً
على بساطِ طائر
تحمله ملائكةٌ من شمع
وضع وروده في الوادي
وسجّلَ إسمه في قائمةٍ ضيوفنا.

ومن ثقبٍ
في جبلٍ أسود

ترقرقَ جدول
خَوْضَ فيه نياندرتال
ألقى بساعةٍ يده
لنابليون بونابارت.

تحت المائدة
دمٌ
يلتصقُ بأحذيتنا.

١٩٨٨

الملك وحماره

مرة نبت للملك ذيلُ حمار
فقضه

وضعه في علية
شدّها بالسوليفان
ورماها في البحر.

مرة دخل الحماز قصر الملك
فنهق مغتبطا
راكضاً نحو المروج.

مرة جلس الملك على مصطبة
وتأمل أيامه الماضية
فاغرورقت عينا حماره
بالدموع.

١٩٨٨

ذكريات عن مكان بعيد

وأخيراً
سقطَ الشتاءُ
فوق القلعة
فتبللَ العلمُ على صاريتِه في القشلة
بالدموع.

وأخيراً
خرجت بناتُ الطحّانِ السبعِ التركمانياتِ
من أسطورتِهين
مرتدياتِ فساتينهن البيضاء
يتنزهن في بريةِ المصلّى.

وأخيراً
هدرَ خاصةِ صو
بمياحه
بطميه
وغمرَ جسره الحجري

جالباً معه
خيولاً مَيْتَةً
وبناتٍ أوى تائهات.

أوه، ها أنذا أرى في مكانٍ ما
طفلاً يلعبُ بالسعادة
ولصوماً ينحدرون إلى حياتنا
من فوهةٍ مسدسٍ
في يدي.

١٩٨٨

الإمبراطور

إنحدَرَ إمبراطورٌ من غيمة
وغسَلَ ساقيه بالعشب
على مقربةٍ
من ديناصورٍ مربوطٍ إلى صخرة
إمتطاه مستعجلاً
وتركنا
وحيدين مع الحياة.

١٩٨٨

قديسون من كل الأصناف

قديسُ قصائد

يسمُ

صوتُ جدولٍ

يتدفقُ

في العتمة

قديسُ أرواحٍ

يغمزُ إصبغته في الدم

ويلعقه

مُباركاً

قديسُ جريمة

ينظرُ في المرأةِ

ويشتمُ قديساً

يتأرجحُ

بين الأغصان

قديسون بالجملة

نُعْطِرُهُمْ

بالبودرة

وندقنهم

في الفردوس.

١٩٨٨

الأصداف الضائعة

أحياناً تفوذني الذكرى
الى شاطئٍ يعجُّ بالأصدافِ الضائعة
في عالم سُكَّانُه فيلَّةٌ نساء
ثعابينَ أطفال
سناجبُ حجر
وأمرأةُ أشجار
يحملون في أكفهم أمواجاً منسية
مقبلةً من بداية البحر
يهدونها لي
لأجذف فيها ثانية.

أحياناً أجلسُ داخل خندقي الرملي
وأصدرُ بياني الأول
ضد نفسي.

١٩٨٨

الملك أيضا

على تلةٍ مُعشبة
تُطلُّ على البحر
يقفُ المعلمُ
ويرفعُ ذراعيه عالياً
فتلمسُ أصابعه الغيوم.

أنا الملكُ الذي سمعَ آخرَ نشيدٍ للهوريات
تفلسُ أقدامهن الأمواج!

ضوءُ الفانوس
يترجحُ
في الريحِ
أمام مغارةٍ
يقطنها الموت.

١٩٨٨

جريمة

تخرجُ الشجرةُ مساءً إلى النزهة
مُجَزَّجَةً وراءها أطفالاً
تبتهمُ العصافير.

الفاؤُ على الساحل
والخريفُ في الريح.

تعودُ الشجرةُ إلى بيتها وحيدةً
تاركةً وراءها
دماً
جافاً
على الصخور.

١٩٨٨

حينما خلق الله الإنسان

خلق الله الإنسان
من نترات الصوديوم
من بعض عظام
وقليل من لحم الكركدن
ثم تبَّله ببهار الحية
وعلقه على جذع نخلة في باب الجنة
لينضج في الشمس الحارقة
فيما أحاطت الملائكةُ به في صفوفٍ مُتظمة
رافعةً راياتها الخضراء
لتحميه من غدر الذئاب الكاسرة.

حين استوى آدمُ أخيراً وصار واحداً مثل الجميع
جلسَ على دكةٍ نائيةٍ
وراح يفكر: لماذا فعل الله به كل ذلك وكيف؟

١٩٨٨

مسافات

لا مسافة بين السجارة والإصبع
سوى هذا الدخان، صاعداً إلى رأسي
حيث يجلس مهندسون
يشيدون جسوراً
فوق نهر الشيخوخة.

لامسافة بين دونكيشوت وطواحين هوائه
سوى سانشو بانسا
قاضياً معظم وقته
في كتابة قصائد
إلى امرأة
تُدعى الحياة
وأحياناً الموت.

١٩٨٨

النشيد المضاد

كل صباح تنهض الحرب من نومها

كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها
مفجوعة بالخوفِ المُظهِرِ
تركُ ذكراها في وحلِّ التاريخِ
وليس بين البدءِ والمنتهى
سوى جريحٍ يزحفُ مُتِكِأً على بندقيه
سوى أسرى يغنون نشيداً مُضاداً
سوى ملائكةٍ مُنهمكةٍ تنقلُ هذا أو ذاك إلى الجنة
متعبةٌ تعملُ ٢٤ ساعةً في اليوم
بدون مخصصاتٍ إضافيةٍ ولا حتى كلمةٍ شكرٍ.
كلُّ صباحٍ تُقبلُ الحربُ
امراً يتظرُّها رجلٌ يضغُ على فيه
قبلة
كلُّ شيءٍ على ما يُرامُ:
القتلى يملأون البراري والمدافعُ تُعوي أبدأً
وعلى الدباباتِ يتبولُ الجنودُ

جثة تكبرُ في كلِّ جهةٍ، تدخلها الأفواجُ مهلَّلةً
جثة ترندي بدلةً مهرجٍ في سهرة
وتنادي عدواً يُقرِضُ على رابية
في يده ناظورٌ يرصدُ قافلةَ أعرابٍ قادمين من قادسيةٍ أخرى بعيدة.

أيها العدو، أيها العدو
تعال واسهز معنا
فقد نموتُ غداً سوياً!

٢

كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها -
جسرٌ يرتفعُ بين النارِ والرماد
مشنقةٌ نصعدها بالصدفةِ، الواحدَ تلو الآخر
كأبَّ أنبياءٍ يلقون تعاليمهم في سيرك
طفولةٌ فجرٍ يمدُّ عنقه طويلاً
ويتشممُ مؤخرةً دبابةٍ غارقةٍ في الطين.

أيها العدو، أيها العدو
أخرج من جُحرِكَ الليلي
فقد ملَّنا الإنتظار!

٣

كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها -
قادسيان من فيلةٍ وخيولٍ معصوبةٍ الأعين

تَخُبُّ مِنَ المِيمَنَةِ
ووراءها يُهْرولُ أعرابٌ يمتشقون سيوفاً
تُهْفَهْفُ سِراويلُهُم في الرِّيحِ
ومن الميسرة تخرُجُ دِباباتُ ستوريون
تعبُرُ بحيرةَ الغامِ مطمورةً بالسلكِ الميتِ
المدافعُ تقصفُ الخيمةَ الثانيةَ إلى اليسارِ
حيث يحتسي القائدُ فنجانَ قهوةٍ مع الأبديةِ
الصواريخُ تعبُرُ مُثْرَةً، قاصفةً يثربُ المبنيةَ بالطينِ
ربما بيروتُ أو ربما القاهرةُ
طائراتُ طائراتُ طائراتُ
تُحلِقُ فوق البحرِ عند رصيفِ مهجورِ
فيما معدانٌ مضطربون داخلِ مشاحيفِهِم
يهزّون رؤوسَهُم مستغربين.

أيها العدو، أيها العدو
أطفيءِ نيرانك المُحرقة
ما همنا من زرادشتِ ورائنا
يُلقي تعاليمه على الأشباح!

٤

كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها -
مُعتقلٌ يفرُّ من سجنِ السلطانِ ليلاً
تنهشه الذنابُ في طريقه إلى التاريخِ

مضاضُ دماءٍ يجلسُ في قصرِ النهاية
ويُحدِّقُ مبتسماً في وجهي
إنقلابُ أسودٍ ينفثُ دماً فوق الأرجوان
يزحفُ مثل وحشٍ خُرَافِيٍّ قادمٍ
من لانغلي ستريت

في واشنطن D.C

صديقٌ جريحٌ أهرَبُ إليه شريحةَ لحمٍ وخبزٍ
قبل أن يُؤخَذَ مغلولاً إلى الموتِ
مثل ملكٍ أسيرٍ

محاكمٌ عسكريةٌ تحرسُها الدباباتُ في معسكري الرشيد والوشاش
جنودٌ شبانٌ يسحقون رؤوسنا بأحذيتهم
شركةُ IPC وهي تقذفُ عمالها بالرصاص
في كاورباغي

فيما يُحدِّقُ مديرُها العام المستر تيسو في النارِ الأزلية
أطفالاً يُنتهكون في السجون
الإذاعاتُ العربيةُ وهي تُوصوِّصُ للمبادئ.

كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها -
نخاسٌ يشتري شعراءَ بالجملة
خصيانٌ يضربون على الدفوفِ في زفانِ الميناتور
قطارٌ ممتلئٌ بالجثث
تشمُّ رائحتها الذناب
فتبعُها من قريةٍ إلى أخرى

حمازَ هَرَمَ يَرَقْدُ مُتَعَباً فِي حَقْلٍ.

أيها العدو، أيها العدو
ضع سلاحك جانباً
وسمّني أخاً!

هذه هي الحربُ إذاً.

قاديةً، قادسيّانِ - متى الثالثة؟

قاديةً أكثرُ بُعداً من سماءِ مرميةٍ في صحراء

من بغدادٍ مطعونةٍ في الظهر

تغسلُ جُرْحَها باللهبِ الذي يحمّله الغزاةُ من ألفِ عامٍ، مقيدةً
بالسلاسلِ تُجْرُ إلى المنفى وعلى صدرِها المهذومِ تُحَلِّقُ الطيورُ،
مجلّلةً بالسوادِ الذي لا إسمَ له، بكبرياءِ الموتى يُقاتلون من شارعٍ
إلى شارعٍ، من بيتٍ إلى بيتٍ ومن غرفةٍ إلى غرفةٍ.

أيها الفاتحُ المبهورُ بسوطه دَعُ فزاعنك للطيورِ المفزوعةِ في حقلِك
واسمّني!

أيها الفاتحُ العائدُ من الماضي اطِرِ راياتك الملطخةً بالدم!
عُدْ إلى بيتك، تاركاً البواقين ينفخون في الريحِ والكهنةُ يُرتلون
صلواتهم لقديسٍ آخرَ يلعبُ الشطرنجُ مع مصيره!

قادسيةً من رملٍ وعواصفٍ في سجنِ نُقْرةِ السلطان
حيثُ تقفُ شرطَةُ الباديةِ على ممرِّ الزمنِ
أَسْرَابُ القَطَا تُحَلِّقُ مبتعدةً والأمهاتُ الحزيناتُ
يُحَدِّقْنَ في صاريةِ العلمِ المبَلَّلِ بالشمسِ
نجومٌ أبدأ، نجومٌ في اللياليِ فيما الذئابُ تعوي تحت الأسوارِ مثل
ضميرِ مجلود
قادسيةً من سياراتِ جيب
تتقلُّ جثاً مُتنتةً في آبٍ
إذ شرطيون ملثمون يتبولون فوق حقولِ العاقولِ.

أيتها الحربُ افتحي أبوابك للقائدِ المَيِّتِ
يدخلُ قلعتَه المخربةُ!
للفاتحِ المجنونِ يُباركُ أسراه المرتجفينِ!
وللقَتلى يمضغون ذكرياتهم!

بعيدٌ هو المنفى
وبعيدٌ ماضيها ناهضاً من زبدِ الزمنِ
حيثُ تودعُ الأمُّ الحزينةُ إبتها الذي سيُسْنَقُ صباحاً
أمام بيتها في شاطرلو المنسية!

آه، لا تَغْلِقِ عَيْنِكَ أبداً
أنت يا طفلنا المَعْلَقُ على شجرةِ جوزٍ هناك
فالي يمينك يقفُ الحلاجُ، مُتَكِناً على نخلتِه، تلعنُ من دمه الطيور

والى شماليك ينهضُ الراعي من غفوتِهِ، عائداً إلى الحقول!

٦

عربٌ وأكرادٌ، آشوريون وكلدانٌ، يزيديون وتركمان
يقفون على تلٍّ ويلوحون لي

نمتزجُ جميعاً بغبارِ الدباباتِ وبارودِ المدافع
تقصفُ أشباحاً

برعودِ الطائراتِ تأتي وتروحُ غيرَ أبهةٍ بنا
ندخلُ الحياةَ من كهوفِها الضائعة
نجلسُ على صخرةٍ ونصفي للزمانِ يمرُّ بنا
مثل نسيدي سري

يُطلقُهُ مقاتلون يعبرون من جبلٍ إلى جبلٍ.

كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها -

تدخلُ كأرملةٍ حزينَةٍ معتقلاً شرطةَ الخيالةِ في بغداد
تنامُ في الموقفِ العامِ

تُضربُ في القلعةِ الخامسة وتُشتمُّ في سجنِ الحلة.

آه، أيتها الحربُ، يا راعيةَ الأجدادِ، يا قيامةَ بدونِ قِيومِ
ماذا نفعلُ بك؟

آه، لم يُعذِّ للمجدِ بريئُهُ! لم يُعذِّ للبحرِ ضجيجُهُ!
ها أنذا الفاتحُ أقذفُ بأحلامي للكلابِ وبلاكتي للصمص.

أيتها الحربُ، ماذا نفعلُ بك؟

يا طاغيةَ موشومةً بالنارِ

يا جثةً تنتقلُ من خارطةٍ إلى أخرى
 من عامٍ إلى عامٍ
 وتكبرُ داخل ضميرنا الباكي
 مثل صليبٍ يرفعه مجوسٌ يهبطون من كتابٍ قديمٍ
 وعلى رؤوسهم الشوك.
 كلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومها
 وتضغطُ بأصابعها على كفي.

٧

آه، هذه بغدادُ، أعبرها كلُّ يومٍ جيئةً وذهاباً
 مقرصاً هنا في هذا المنفى البارد
 أبحثُ عنها في المظاهرات
 تقطعُ شارعَ الرشيد، حاملةً الرايات
 في إضراباتِ عمالِ النسيجِ نقدُهم بأكياسِ الخبزِ والمنشورات
 في الأفجارِ حاملين الأصباغَ نرُشُّ شعاراتنا على الجدرانِ «تسقطُ
 الدكتاتورية»
 في مقاهي أبي نواس الممتدة على الشاطئ
 في صيادي الأسماك عند الجسر
 في نصبِ جواد سليم المنقوبِ بالرصاص
 في مقهى مجيد، حيث يحتمي العباقرةُ ورجالُ الأمنِ الشاي
 حيث يُحدِّقُ شاعرٌ مطرودٌ من كليته في نافذةٍ تجلسُ وراءها ثلاثُ
 فتياتِ فلسطينياتٍ يُحدِّقن أبدأً في الشارع.

كُلُّ صباحٍ تنهضُ الحربُ من نومِها
فأضعُها في قصيدة
أصنعُ منها قارباً أقدفه في دجلة
فينحدرُ إلى شلالاتِ دورتنا الدموية.

٨

هذه هي الحرب إذاً
تسكبُ دمها في البصرة، مختبئةً بين أشجارِ النخيل
خلف أكياسِ الرملِ في الخنادقِ الغارقةِ في الماء
فيما السفنُ جانحةٌ في الشطِّ تُرعدُ عبره المدافع
فيما الطائراتُ ترشُ السمَّ فوق التاريخ
وتمثالُ بدرٍ شاكرِ السيابِ يرتجفُ وحيداً مذعوراً
فيما السندبادُ يغادرُ جزيرتهِ إلى بحرِ الظلمات
ومحلةُ العبيدِ ترقصُ في آخرِ الليلِ
نائرةٌ رماذٍ موتاهها فوق رؤوسِ الجنودِ الذاهبين إلى الخطِ الأولِ من
موتنا جميعاً.

هذه هي الحرب إذاً
أراها في المحاكمِ المتنقلةِ ما بين بغدادِ والبصرة
أتبعُها في قطارِ للحيواناتِ
مغلولاً إلى عاهرةٍ مصبوغةٍ بالحمرةِ
يحرسُنا شرطيٌّ يشتمُ الصباحَ
«هذا أنتَ يا فاضل، مطرانٌ في كنيسةِ الشيطان!»

هكذا أعودُ داخلِ باصٍ خشبي
مربوطاً إلى مجذومٍ مجنونٍ
يسقطُ أبداً في بئرٍ.

هذه هي الحربُ إذا!
ترحفُ بألفِ رجلٍ ورجلٍ
عبر بيوتِ العمارةِ الطينيةِ
خارجةً من «اليشن» المخربةِ
من مخابىءِ الأهوارِ نجوسها الخنازيرُ والجنودُ الفارزون من الخدمةِ
ها هي تُقبلُ من قصرٍ شيرين مثل تينٍ أخرق
تسلقُ جبالَ حمرين، مقطوعةً بألفِ قوسٍ قزح
وتُطلُّ على سهولِ ديبالى الخضراءِ
سائرةً وراءِ نبوخذ نصر يرصدُ نجمةً لا قرارَ لها
وعلى حدودِ القرى يسمعُ جنودُ الإسكندر المقدوني
عواءَ بناتِ آوى المتلصصاتِ على أقدارِهن
فيما يقذفُ نائرٌ عربي قنبلته في الليلِ على الأبديةِ
ما بين قادسية وقادسية
تشتعلُ الأرضُ سواداً.
هناك على مفارقِ الطرقِ أقفُ وأنتظرُ الذي يأتي وفي يده فأس
ما من زمنٍ بين قادسية وأخرى
ما من طريقٍ بين الجبلِ والبحرِ
ما من دمٍ بين الجرحِ والسكينِ
جمالنا مُتعبَةٌ

لنهبط الآن إلى النينوع
فغداً صباحاً تنتظرنا الصحراء
في ثكناتها البعيدة.

أيها المستحيل
دعنا ندخل
إلى بيتك الأخير!

٩

ما بين قادية وقادية
أرى دكتاتوراً يسيرُ فوق جثتنا المرمية في المستنقعات
ويخطبُ عن نصره المهزوم
أعراباً يتضمعون جوارى من سوقِ في الجاهلية
وممالكٍ يفترسها الرعب
ما بين حربٍ وحربٍ
يكبرُ متفاناً ويصغرُ الوطن
ملائكةٌ تهربُ من مدينةٍ إلى أخرى
من باريس إلى لندن
من برلين إلى ستوكهولم
من روما إلى عدن
من ديترويت إلى سيدني
من النارِ إلى الرمادِ، من الرمادِ إلى النارِ
من معسكراتِ اللاجئيين إلى مقاهي الحشيش والمعاهرات

- هل تسمح رجاء؟ هل أنت عربي؟
- من يعرف ذلك يا سيدي؟ من يعرف ذلك؟

ما بين قادسية وقادسية
أرى رجلاً يرمي بجواز سفره في البحر
قناصل من شمع يُزودونا بوثائق
نُزورها في كل مرة
او نقذف بها في النار
ما بين مدينة وأخرى
أرى مخبرات العالم كله تُطاردنا
من مطار إلى مطار
من حديقة إلى حديقة
من مقهى إلى مقهى
فيما يمزج المغنون الحواة
في الإذاعات العربية
المبادئ بالصودا
ويقدمونها على طبق من فضة
الى رجال
تأكل من رأسهم الطير.

١٠

هو ذا العدو الخارج من مغارته
يجلسُ هناك تحت القمر
يستعيد ذكرياته

العدو الذي لا اسم له يتجول بين النخيل
العدو القليل
يتمدد على السطح
مثل شجرة ساقطة
في الربيع.

هذه هي الحرب إذاً:
كل شيء على ما يُرام
الصواريخ تقصف المدن والطائرات تودع الغيوم
لا شيء سوى جثة تكبر
تمتد ما بين كركوك وأصفهان
ما بين بغداد وقم
ما بين أربيل وطهران
ما بين الزمن والزمن
ما بين الدم والدم
كل شيء على ما يُرام
سوى هذا الربيع المقبل من بعيد
سوى هذه الطيور تحلق فزعة ما بين جهة وأخرى
سوى هؤلاء الذين ينتظرون موتهم صامتين
سوى هذه الأم التي أسمع صرختها من آخر الدهور.

آه، رأيت عيوناً تتوهج بين الأغصان
وحشاً يعدو على ساحل بحر

منحدرأ من قلبي.

سلام للعراق، للربيع تشقُّق عنه الأرض
سلام لبغداد فادية ومفدية
سلام للبصرة، لنخيلها المحترق
سلام لكركوك، لسماؤها الحمراء المشتعلة بالنفط
سلام للعمارة، لأوارها الملقومة بالديناميت
سلام للجبل والصحراء!

هكذا تنهض الحرب من نومها
فياخذها رجل آخر يولد من آلامنا
الى رابية
ويتركها للذئاب
ثم يمسح دموعه بوردة
يقذف بها طائراً عالياً
ينهض
من رماده
ويخلق بعيداً.

١٩٨٧

مرثية المشنوقين

- الوقت صباح
- جداً.
- لم أنم الليلة. كنتُ أهدقُ فيهم من مضجعتنا
في القاعةِ قرب الزنزانة
تعرفُ أنني أعرفهم.
- وأنا أيضاً.
كانوا أطفالاً
أقصدُ كالأطفالِ، يُغنون طويلاً
حتى لا يدخلهم شبحُ الموت.
- وأنا أدخلُ زنزانتهم بالتموينِ اليومي
كنتُ أراهم مزهوين
فأقولُ لنفسي: لا يجدرُ بالموتِ القادم
أن يُطفئَ هذا الألقَ الكبريتي
كانت أحلامي تملؤني
كنتُ أرى نفسي أُسْتَقُ فيما يأتون الي، يمدون الأيدي
ليفكّوا موتي.
كان المشهدُ مثل شريطِ ليليّ يتكررُ. كنتُ أقولُ

- لنفسى: ما هذا؟ هل أنت المشنوقُ لِتَحْلَمَ بالشنق؟
- أخفض صوتك، قد يسمَعنا أحدُ الجلادين المحشودين هنا!
 - جمهورٌ من جلادين أنيقين ومعتبرين!
 - الحق يُقال، لقد كثروا، مئة، مئتان، ثلاث.
 - بل أكثر، أكثر، أكثر من طاعونٍ في مملكةٍ يغمُرُها الطوفان.
 - فلتسكت، دَعُهُ يمر، السيد!
 - ما هذا؟
 - ماذا؟
 - هذا الخوفُ الأسودُ منهم؟
 - ماذا أفعل؟
 - حقا، ماذا يُمكنُ أن نفعلَ أكثرَ من أن نصمت؟
 - حقا، فلنصمت!
 - إني أكرهُهم.
 - لكننا شرطيان فقيران ومن...
 - أنظر، أنظر!
 - كيف تمرُّ الریحُ عليهم فترجِرُهم
 - وتُهدِهم.
 - ریحٌ كبرى، ریحٌ عاصفةٌ كبرى
 - إني ألمحها قادمةً
 - مثل لهيبٍ في بيدرٍ قش.
 - الریحُ تهبُّ كما في الهورِ الشرقي.
 - أعرف.
 - أمسِ أتاني جدي، هل تعرفُ؟ إنه يسكنُ في الهورِ الشرقي

جاء وأقعى عند الباب المهدومة، عدّ دنائره. كانت عشرة.
ماذا تفعل؟ قلت، فمدّ يديه الي وقال بصوت مكتوم:

هي لي، خذها

حتى تدفنتي في النجف الأشرف!

قلت: ولكنك أقوى حتى من عزرائيل!

فاحتد وقال: إذا لم تأخذها أدفن نفسي حياً.

فليرحمه الله!

- فليرحمه الله!

- الريح تهب، شتاء أقسى من أي شتاء آخر.

الريح تخض عظامي حتى لكأني دون عظام.

- الريح تُرجرُجهم.

كانوا أمس مساء مسكونين حياة

كانوا في زنازيتهم يتكثرون على الجدران

ويفتعلون الصمت.

ما كنت لأجرؤ أن أدخل لو لم يتسموا لي.

كانت أقدامي تهتز، «تَشْجَع» قلت لنفسي.

كانت أسناني تصطك فأميت شفاهي

حتى لا يكتشفوا ضعفي.

- كنت إذا ما حدقت طويلاً في أعينهم

وهي تُعاني النوم

أسمع أصواتاً حتى لكأني طفل

إنحدَرَ المشحوفُ به في غابة جريح

وأناه الليل.

- ليلٌ أسودٌ فوق السجن
كان الحراسُ المقرورون أمام مواقيدهم يجتمعون
وشرطيُّ شابٍ يتوسطهم.
كان يُغني فتذكرتُ العيدَ، بنادقهم تنعكسُ النازُ عليها أو ينكسرُ
الضوءُ فتبرقُ حربةُ شرطيِّ
يُنصتُ ماخوذاً لأبوديةِ قهر.
كانوا في زنزانتهِم يتكئونَ على الجدرانِ وكنتُ أَعُدُّ الساعاتِ، تمرُّ
اللحظةُ بعد الأخرى مُبْطِئَةً مثل حمارٍ هريمٍ مهموم
مثل دمٍ ينزفُ من جُرحٍ في صدري
اللحظةُ بعد الأخرى
القطرةُ بعد الأخرى
تك... تك... تك... تك... تك... تك
كنتُ أعاني الموتَ، أنا الشرطيُّ، أنازعُ نفسي حتى يأخذني النومُ،
ولكن من يجرؤُ أن يغمضَ عينيه وخلفِ البابِ ثلاثةُ شبانٍ ينتظرون
الموتَ؟
الكورس:

آه، كثيرون ينامون، كثيرون ينامون الليل!
- كانت ليلتنا قاسيةً حقاً.

- لا أعرفُ، لكنني لم أنم الليلة
ما كنتُ لأقدرُ أن أنسى أعينهم وهي تُحدقُ في وجهي
ما كنتُ لأقدرُ أن أسحَ عن كفي
أنازُ أصابعهم ضاغطةً وهي تُودعني
وخجلتُ لأنني أخشى الموت.

- من لا يخشى الموت!

الكورس:

حيث الكل يُغني تحت حذاء الجلاد: نعم

صرخوا في وجهه: لا

حقاً من لا يخشى الموت!

- ها أنذا أسمعهم.

- إني لا أسمع غير الريح.

- لكني أسمعهم، لكني أسمعهم

ها هم يأتون الي من الموت الأبدى، يقولون: دع الباب مواربةً

حتى لا يُثقلنا الموت!

أرفع كفي وأقول: إذا...

- لا شيء سوى أن تفتح بابك حتى لا يُثقلنا الموت!

- حسناً، حسناً!

وأخيراً يتسّم الأصغرُ فيهم:

لا تبرم شاربك الأسيب واجلب لي قلماً

فلقد أخذوا مني قلمي في التفتيش العام!

- هل أجلب أوراقاً أيضاً؟

- لتكن أوراقاً دون خطوط

أوراقاً بيضاء

تسرقها من مأمور السجن.

ويقهقه أكبرهم: هذا الخنزير البري!

أضحك: كلا

في غرفتنا يضع الكاتب أحياناً أوراقه

فأمدُ يدي، أسحبُ منها ما يكفي سجناءَ القلعة.

- ما أحزنَ قِصَّتنا!

نجلِسُ في بيتِ الشيطانِ

نُصَلِّي اللهُ يموت

ما أحزنَ قِصَّتنا!

- إني أسمعُهم في أفكاري

في أعضائي

في الريحِ وفوقِ عمودِ الإعدامِ

إني أوشِكُ أن أصرُخَ أو أبكي

قُلْ لي ماذا أفعلُ؟

- أن تسكُتَ حتى لا يسمَعنا هذا الجلاذُ الجالسُ بين الأشجار.

- آه، حقاً، فُلنْسكُت!

الكورس:

إن تسكُتَ

لن تسمعَ غيرَ الجلاذِ يُغني

او يعزفُ مأخوذاً

بكماني منفردٍ في قاعةِ موتي

إن ترفعَ صوتَكَ يسمَعُك الجلاذُ فيأتي مُغتاضاً كي يُقفلَ أسنانَكَ

بالديناميت.

ما أصعبُ أن تسكُتَ أو أن ترفعَ صوتَكَ!

- أنظر، ما أكثرَهم!

- من أين يجيءُ الجلاذون

قُلْ لي من أين يجيءُ الجلاذون؟

حقاً، ما أكثرهم!

الكورس:

حيث يكونُ الجلاذُ قوياً، ممتكناً كالثور
يتأرجحُ في مشيته مُختلاً مثلَ ملكِ فاتح

يسقطُ قدامه آلافُ المعهورين

من أمراءِ محتالين

ولصوصِ قوادين

من شعراءِ في مجلسِ دجالين

حيث يكونُ الجلاذُ قوياً كالثور

يبدو الزائلُ أبقي

تبدو النارُ رماداً

والليلُ نهارة.

آه قليلون يرون النار

وقليلون يرون الليل!

- أذكرُ إذ جاؤوا في الليلِ إلينا

في شاحنةٍ يحرسها خمسةُ شرطين

خرجَ المأمورُ اليهم، سجّلَ في دفتره شيئاً ما.

قال عريفُ السجن: إذا ما وقفنا الله تعالى

فسنعديكم قبل مطولِ الأمطار.

- سئُصلي كي تُشقَّ في يومِ مُشمس!

إن شاء الله!

شكراً، شكراً، هذا ما نرجوه جميعاً.

لا شكّرَ على الواجب!

قال عريفُ السجن.
 - كنتُ أرى نفسي أُشْتَقُّ، كان ثلاثهم
 يأتون الي، يمدون الأيدي ليفكّوا موتي.
 - كانت أعينهم إذ تنظرُ في عينك ترى جرحاً
 ينزفُ تحت جبينك، ترفعُ كفك، تمسحُ شيئاً ليس دماً
 شيئاً كالحنظلِ فوق الإصبع
 وإذا ما ذقته تحت لسانك كان مريراً
 مثل حياة تُكْتَمُ، مثل بكاءٍ يأتي من بيتٍ آخر.
 - أحياناً أجمعُ حزني وأغني
 لثلاثةِ شبّانٍ مسنودين إلى القضبان.
 - أحياناً أسمعُ صوتاً يوقظني
 فأقولُ لنفسي: فُلْتَهَضُ
 لكني أعجزُ أن أرفعَ رأسي.
 الكورس:

هذا الذاهبُ في الموتِ إلى آخرِ ميناؤِ في المستقبلِ
 هو فينا أبدأً
 في الأشجارِ تُواخيها الريح
 في الصخرةِ عند السفح
 في الثلجِ وفي الأمطار
 في مُدُنٍ تُهدمُ أو مُدُنٍ تُبنى
 في كل بكاءٍ أو ضحكة
 مثل نهارٍ يُفتَحُ فوق البحر.
 - أمسِ مساء

علقَتْ شموعاً في بابِ القلعة
 حتى لكان العالم عيداً!
 - إنه عيدُ الموتى
 قال الشبانُ المتكثرونَ على آخرِ ليل.
 - فجرٌ أبيض
 فجرٌ مسكونٌ بالوحشة
 - فجرٌ يطلعُ من خلفِ شناسيلِ القلعة
 - في النخلِ تمرُ الريحِ مُجَلِجَلَةً
 وتنفُزُ عسافيرَ تهبطُ في حوشِ السجن.
 كان المأمورُ يُدخِنُ مُرتبكاً
 والجلادُ الهاديءُ يسندُ كفه مُتظرباً فوق الحاجز
 وهنالكَ عصفورٌ ينقرُ في الأنسوطه
 فجرٌ أبيضُ مسكونٌ بالموت
 يهبطُ فوق العالم.
 - وأخيراً جاؤوا
 الواحدَ بعد الآخر
 نظروا في الفجرِ وساروا
 الواحدَ بعد الآخر.
 - ثم انحدرَ الجلادُ إلى المأمورِ: سامضي
 لألاعبِ أطفالي وأنا.
 إذهب، إذهب!
 قال المأمورُ يُحدقُ في وجهه.
 - أنظراً! أنظراً!

كيف تمرُّ الریحُ عليهم فترجِّهم
- وتهددهم!

- ریخٌ كبرى، ریخٌ عاصفةٌ كبرى!
الكورس:

هل نذهبُ منحدرين إلى الشارع؟

هل نذهبُ مبتعدين عن الجلادين؟

هل نذهبُ حيث يكون الناس

لنرى دجلةً يكتظُّ مياهاً غامرة

ويفيضُ على الشاطئ

والعصفورُ يحلِّقُ مُتَّجِهاً

نحو سماءٍ أخرى؟

- كلا، سأكونُ هنا معهم

أنظرُ فيهم وأعاني وحدتهم.

- آه، لماذا؟ آه، لماذا هذا الليلُ الأبدي؟

الكورس:

ليكونَ العالمُ أكثرَ حزبةً

او أفضلَ من ماضيه

سيموتُ كثيرون يخوضون الحرب

سيجوعُ كثيرون يرون المستقبل

وسياتي جلادون رقيقون

وجلادون بلا قلب

يقتحمون الإنسان!

- شبرٌ أكثر!

شبرٌ أعمقُ في الغابة!
شبرٌ أبعدُ في الزحفِ الصعب!
- الوقتُ صباح
- جداً
- المارةُ يجتمعون أمام الساحة
الشرطيون وراء بنادقهم
وثلاثةُ شبانٍ يتدلون من الأشجار.
الكورس:
ها هم ينحدرون إلى الشارع!
أنظروا! ها هم يأتون الينا، فلتنهضوا!
ها هم يختلطون مع المارة
ويسرون الواحدَ بعد الآخر
متجهين إلى شبانٍ
يتدلون من الأشجار
الريخُ تهبُّ،
الريخُ الكبرى
فلتنهضوا!

١٩٧٩

الدكتاتور

تاريخ ميلاد

من نُقِبَ في عاطفةٍ، من نافذةٍ في سور
ينحدر الدكتاتور
كاللعة يُمَسِكُ بالتاريخِ ويطهوه على نار الماضي
يوقدُها مخبولاً في المستقبل
من فجرٍ آخر
من سر الغيمة تُمطرُ أحجاراً
من حزنِ الجندي يُغادرُ خندقه الغارقَ في الوحل
من حائطِ مبكى مهجور
ينحدرُ الدكتاتور
مثل رسولٍ أعمى مشبوهٍ في الروحِ ومكتوبٍ للموت
من ماضي الكلمة
من قفلي في الغم
من رائحةِ الدم
من ماكنةِ المنفى في بيتِ التنين
ينحدرُ الدكتاتور
مأخوذاً بهتافات الشرطيين
من

من
من
من داخل قلبي يتزفُ
مجروحاً
ينحدرُ الدكتاتورُ بقاربه المثقوب
مثل بكاءٍ في ليل.

الخطبة

وقفَ الدكتاتورُ على شُرْفَةٍ قصيره
حيث ألوفُ الشرطيين يُغنون هتافَ النصر
وعلى مقربةٍ كانت كاميرةُ التلفزيون
تنقلُ أقوالَ القائدِ للشعبِ:

«في هذا الزمنِ الصعبِ

سنُحطِّمُ كلَّ الأعداءِ

ونقولُ لهم لا، لا».

قال مذيغُ التلفزيون:

«سيقولُ لهم لا، لا

الأعداءِ همُ الأعداءِ

ولن نخدعنا الألوانُ البراقة».

قال مذيغُ التلفزيون:

«الأعداءِ همُ الأعداءِ ولن نخدعهُ الألوانُ البراقة

فلنتبيه، اليقظة!»

وبكى القائدُ من أجلِ جميعِ الفقراءِ

في العالمِ أو خارجِ هذا العالمِ
وصباحِ اليومِ التالي
كتبَ الصحفيون المهورون
كيف اكتشفَ القائدُ في خُطْبَتِهِ العِصماءَ
ثاني اوكسيد الفقراء.

براءة اختراع

من كثرة علمه في علم التاريخ
في الفيزياء وفي الكيمياء
في علم الماضي والمستقبل
وصناعة ماكنة الإنسان
والرحلات الكونية
وأصول الدين
ومعارفه عن تفجير الذرة والتشريح
وزراعة فاكهة الثورة
وفصاحته في الشعر وفي النثر وما بينهما
ومواهبه
في آلاف الأشياء الأخرى
سجّل أتباعه إسمه
في قائمة المخترعين السرية
حتى لا تسرقه الدول الكبرى
حتى لا يفقد شعبه حقه فيه
حتى يعرف حاضره في ماضيه
حتى يأخذ منه العلماء

أسراره في علم التاريخ
في الفيزياء وفي الكيمياء
والرحلات الكونية
وأصول الدين
..... والخ
من أسرار عظمى
يُستحسنُ ألا تكشفَ عنها الآن.

الدكتاتور والعصفور

استلقى الدكتاتورُ على ظهره
- كان يحبُّ العزلةَ أحياناً -
فراى عصفوراً يتألقُ فوق الوادي
ويحلّقُ أعلى أعلى أعلى
مفتوناً داخل نفسه.
«يا له من عصفورٍ أبله
لا يعرفُ كيف يطير!»
قال الدكتاتور.

في اليوم التالي
أصدرَ قانوناً ورَّعه أتباعه
بين عصافير الغابة
عن أدابِ الطيران
بحضورِ الدكتاتور.

الدكتاتور وشعراؤه

كان الدكتاتور
يحلمُ أن يحكمَ ألفَ سنة
كان يرى نفسه أشبهَ بالله تعالى
ولذلك وسَّعَ ديوانه
للشعراءِ المذَّاحينَ يزفون اليه البُشرى
بقصائدَ تعلقُ نثرا.

لكن الدكتاتور
وهو يموت
إستنفرَ كلَّ الشعراءِ المذَّاحين الكذبة
ليكونوا صحبَه في رحلته الكبرى
ويُغتنوا أفعاله قدام الله تعالى
بقصائدَ تكشفُ أفضاله
فارتعبوا:
لا، لا، سنعيشُ جميعاً في ظلِّكَ ألفَ سنة!
- فليعيشِ الدكتاتور!
- عاش! عاش!

لكن الدكتاتور
مات فلم يسمع آخرَ أشعارِ الشعراءِ المدّاحين الكذّبة.

- لا تخشوا شيئاً!

قال الجلاد.

ستكونُ قصائدُكم أفضلَ بعدِ الشنقِ كثيراً

وسيقروها اللهُ بنفسه

أعرفُ ذلك!

- فليعيشِ الدكتاتور!

- مات! مات!

١٩٧٩

للمؤلف

مجموعات شعرية

- سلاما أيتها الموجة، سلاما أيها البحر - بيروت ١٩٧٤
- الشجرة الشرقية - بغداد ١٩٧٦
- الاسفار/ الصحراء/ عويل العنقاء - بغداد ١٩٧٦
- رجل يرمي أحجارا في بئر/ النشيد المضاد - لندن، بيروت ١٩٩٠
- صاعدا حتى الينبوع - بيروت، عمان ١٩٩٣
- في نهاية كل الرحلات/ في كل بئر يوسف يبكي - كولونيا، بيروت ١٩٩٤
- فراشة في طريقها إلى النار دمشق ١٩٩٨
- أعراب تحت سماء غريبة/ من نافذة مفتوحة في طبق طائر - كولونيا، بيروت ٢٠٠١
- هنا فوق الكرة الأرضية - كولونيا، بيروت ٢٠٠٦
- في كل بئر يوسف يبكي In Every Well a Joseph Weeping (باللغة الانكليزية) - نيويورك، أميركا ١٩٩٦
- صانع المعجزات Miracle Maker (باللغة الانكليزية) - نيويورك، أميركا ٢٠٠٢
- في حفلة سحرية Auf einem magischen Fest (باللغة الالمانية) - برلين ١٩٩٨
- خارجا، داخلا Mittenaus, mittenein (أنطولوجيا رباعية باللغة الالمانية) - برلين ١٩٩٣
- غريب على الخليج Etranger sur le Golfe (أنطولوجيا رباعية باللغة الفرنسية) - باريس ١٩٩١

روايات

- مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة بغداد ١٩٦٩
- القلعة الخامسة دمشق ١٩٧٢
- الديناصور الاخير بيروت ١٩٨٠
- مدينة من رماد دمشق ١٩٨٩
- آخر الملائكة لندن بيروت ١٩٩٢
- كوميديا الاشباح كولونيا بيروت ١٩٩٦
- الاسلاف كولونيا بيروت ٢٠٠١

مجموعات قصصية

- الهبوط إلى الابدية بحبل دمشق ١٩٨٩

نقد ودراسات

- بعيدا داخل الغابة البيان النقدي للحدادة العربية دمشق ١٩٩٤
- الروح الحية جبل الستينات في العراق دمشق ١٩٩٧

ترجمات

- صاحب الفخامة الديناصور - رواية لخوزيه كوردوسو بيريس دمشق ١٩٩٥
- سماء وأرض - شعر لكرستيان مورغنشتيرن - كولونيا بيروت ١٩٩٦
- دماغ لينين - رواية لتيلمان شبينغلر - كولونيا بيروت ١٩٩٨
- حياتي مع بيكاسو - لفرانسواز جيلو بغداد ١٩٦٧
- ترجمات منشورة في الصحف والمجلات العربية لجويس، بریتون، همنفواي، فيرلنغهييتي، بريشت، إليوت، باوند، سيميك، إنتزينسبيرغر وروبرت موزيل
- ترجمات من العربية إلى الإنكليزية والألمانية، منشورة في المجلات والأنطولوجيات والصحف الإنكليزية والألمانية.

الفهرس

- مقدمة - الشاعر في العالم ٥
- ١ - سلاماً أيتها الموجة، سلاماً أيها البحر ١١
- في شوارع الجزيرة العربية ١٣
- ها اتذا أصرخ في شوارع الجزيرة العربية ١٥
- لنخرج إلى الشوارع ١٩
- كاتدرائية العصافير ٢٥
- سلاماً أيتها الموجة، سلاماً أيها البحر ٣٢
- ساحر في السلاسل ٤١
- إنتباه: تقاطع طرق ٤٣
- غرف التعذيب ٤٤
- القصيدة التي تاكل نفسها ٤٥
- السعادة في الشوارع ٤٦
- داخل حديقة ممنوعة ٤٧
- ناظراً إلى نفسي بالميكروسكوب ٤٨
- أسراب عصافير ٥٠
- هناك ٥١
- أنبياء في ليل اورشليم ٥٢
- مؤامرات ٥٤
- أغنية للجسد في الأبدية ٥٦

٥٧	الريح، الريح، الريح
٥٩	السائر فوق خط التماس
٦٢	عابر القوس
٦٣	مهنة السيد أدورد لوقا
٦٦	في ليل بغداد
٦٧	في الطريق إلى مملكتي
٦٨	أقواس
٧٠	الصقر في الريح
٧٣	في مدن مهجورة
٧٥	أغنية إلى ف. العزاوي
٧٦	حلم عن الحروب القادمة
٧٨	في غابة بدائية قبل مليون عام
٧٩	القصيدة
٨١	نهايات
٨٣	القتيل
٨٥	السجين رقم ٩٠٧
٨٦	نهر الزمان
٨٨	إنحراف الجزيرة
٩١	قوافل تائهة في صحراء
٩٣	المجوس في الصحراء
٩٩	قضية هاملت
١٠٨	المعلقة الثامنة التي لن تعلق أبدا
١١٣	إنني أؤمن بالريح
١١٧	دائرة العقرب
١١٩	أقنعة البوندي
١٢٣	الغد وحده لا يموت

١٢٦ المعلم الدموي
١٢٩ مرارات
١٣١ غربة يوليسيس
١٣٥ المهرج والراقصة
١٣٧ روميو العجوز في الشرفة
١٣٨ طيور في معطف الليل - «شذرات»
١٤٥ ٢ - الأسفار
١٤٧ نزهة المحارب
١٦٧ تعاليم ف. العزاوي إلى العالم
١٨٢ أنا الصرخة، أية حنجرة تعزفني؟
١٩١ ٣ - الصحراء
٢٢٢ ٤ - عويل العنقاء
٢٢٥ فاتح الابواب
٢٢٧ نشيد العربي الميت
٢٢٨ حقائق متروكة في الرمل
٢٢٩ قصيدة امرئ القيس الأخيرة
٢٣٠ الرجل الذي نسي رأسه في مقهى
٢٣١ مرثية الرجل المستحيل
٢٣٣ القناع
٢٣٤ القتل الذي يقتل المرة بعد الأخرى
٢٣٥ أسلاك شائكة
٢٣٦ قداس وثني
٢٣٨ الشاعر العجوز
٢٣٩ في قارب دانتي إلى الأبدية
٢٤٠ المغني السكير
٢٤١ السائر في الظلام

٢٤٢ غاري الحروب
٢٤٣ أقدار
٢٤٤ قطارات
٢٤٥ خيانات
٢٤٦ أمام باب المستحيل
٢٤٧ قف لحظة وانظر إلى وجهك في المرأة!
٢٤٨ مسمار حياتي الضائع
٢٤٩ هو
٢٥١ * - الشجرة الشرقية
٢٥٣ الفاتحة
٢٥٥ النهوض
٢٥٨ وادي الحيوان
٢٥٩ المهرج
٢٦٠ جبل البلور
٢٦١ أكتب اسمك في كل عذاب!
٢٦٢ طريق بين الظلمة والنور
٢٦٣ ما الانسان سوى حطاب في الغابة!
٢٦٤ الحبل المثلوث
٢٦٥ عبدالله يشخذ من البحر
٢٦٦ كيف تجيء الريح؟
٢٦٧ المفتاح
٢٦٨ عبدالله في مملكة الاعراب
٢٧٠ العاشق
٢٧١ عبدالله والأمير
٢٧٢ في قرية الاطفال
٢٧٤ حمار في الطاحونة

٢٧٥	الشيخوخة
٢٧٧	عبدالله في وادي الفجران
٢٧٩	الأضداد
٢٨١	عبدالله يدخل عاموراء
٢٨٢	موعد في سامراء
٢٨٥	جثة أعرابي
٢٨٦	دعني أطفئ هذا القنديل وأرحل!
٢٨٧	الوصايا العشر الجديدة
٢٨٩	الغرفة
٢٩٠	صداقة
٢٩١	ضياح
٢٩٢	في المعتقل
٢٩٣	قتيل منذ العام ١٩١٤
٢٩٤	أيتها البرية، أيتها البرية!
٢٩٦	المجنون
٢٩٨	علامات
٢٩٩	ضاق بنا ليل التاريخ
٣٠١	أسطورة
٣٠٢	من يعطي أزهارا لليؤساء؟
٣٠٤	التمثال
٣٠٥	أسئلة
٣٠٦	فنار
٣٠٧	ذكرى الأصدقاء
٣٠٩	جبل التنين
٣١١	ماضي التنين
٣١٢	حتى لا ننسى!

٢١٢	سعادة
٢١٥	هل تكفي عينان لشهد بؤس الإنسان؟
٢١٦	الرسام والعصفور
٢١٨	أسرار
٢٢٠	عويل
٢٢٢	الحيبة
٢٢٣	الفجر ينبثق من الكوة
٢٢٥	الخاتمة
٢٢٩	٦ - رجل يرمي أحجاراً في بئر
٢٣١	ذكرى نفسي
٢٣٣	ضوء
٢٣٤	المدخنة
٢٣٥	العين
٢٣٦	رجل وامرأة
٢٣٧	الفخ
٢٣٨	الرجل المجهول
٢٣٩	الصرصار
٢٤٠	جندي أمام خندقه
٢٤١	أحلام
٢٤٢	حقائق
٢٤٣	أشجار تنتظر في ميدان
٢٤٤	الابدية
٢٤٥	الوحش
٢٤٧	شيخوخة
٢٤٩	مقابلة قصيرة مع نفسي
٢٥١	الملوك الثلاثة

٣٥٢ إنطباعات
٣٥٣ القديس
٣٥٥ تحت أنصاب النصر
٣٥٧ سيف بن ذي يزن في وادي الغيلان
٣٥٨ البيت المهجور
٣٥٩ آثار
٣٦١ الباب
٣٦٢ قافلة
٣٦٣ غياب
٣٦٤ صمت
٣٦٥ الاعرابي الذي سرقته الصحراء
٣٦٦ عصيان
٣٦٨ لذلك
٣٧٠ بادية الله
٣٧٢ وداعا
٣٧٤ رجل في مقهى
٣٧٦ السجين السياسي
٣٧٨ الجلاد
٣٧٩ القصيدة المقفلة
٣٨١ آدم يتذكر أيامه في الجنة
٣٨٣ القارب
٣٨٤ هكذا
٣٨٥ ملك التاريخ
٣٨٦ آخر الموتى
٣٨٧ مثل جندي هارب من الجبهة
٣٨٨ إنتظار

٣٨٩ الحبل
٣٩٠ يوسف والذئب
٣٩١ قبعة الساحر
٣٩٣ فصول
٣٩٥ الملك وحماره
٣٩٦ ذكريات عن مكان بعيد
٣٩٨ الإمبراطور
٣٩٩ قديسون من كل الأصناف
٤٠١ الأصداف الضائعة
٤٠٢ الملك أيضا
٤٠٣ جريمة
٤٠٤ حينما خلق الله الإنسان
٤٠٥ مسافات
٤٠٧ ٧ - النشيد العضاد
٤٠٩ كل صباح تنهض الحرب من نومها
٤٢٣ مرثية المشنوقين
٤٣٥ الدكتاتور
٤٣٧ تاريخ ميلاد
٤٣٩ الخطبة
٤٤١ براءة اختراع
٤٤٣ الدكتاتور والعصفور
٤٤٤ الدكتاتور وشعراؤه

هذا الكتاب

«فاضل العزاوي من منبت نادر، جريء، ممتلئ بالفكاهة، تجريبي، ومبتكر بلا نهاية مع مس من العبقرية».

جيمس بيون - مجلة «ذي وولف» اللندنية

«فاضل العزاوي هو مندلشتام الحاضر، مع مهارة ماياكوفسكي بأعلى مقياس. هذه القصائد تشهد على مستقبل لا سابق له».

دونالد ريفيل (شاعر أميركي وأستاذ أدب)

«إنها لمعجزة تلك التي قدمها فاضل العزاوي خلال عقود».

خالد مطاوع

«مجموعة مدهشة من شاعر عراقي كبير يفتح أمامنا كل خيبة ورقة أزممتنا».

أرييل دورفمان (شاعر، روائي ومسرحي أميركي)

«مع فاضل العزاوي ظهر موقف شعري جديد».

خالد المعالي

«قصائد فاضل العزاوي تجعل الغامض السري من خلال وصفها الدقيق مألوفاً. ثمة شفرة تحكم هنا، لا تتجلى سلطتها إلا من خلال الوقائع اليومية».

«كوارتولي ريفيو أوف ليتريتشر» الأميركية

«يتحول حتى النثر إلى شعر عند فاضل العزاوي».

«الغارديان» البريطانية

«لغة مختزلة، مكثفة. لغة بيضاء. نصفها في الكلام ونصفها الآخر في الصمت».

بول شاوول

